

فرغلى هارون
الارهاب العولمى..
وانهيار الإمبراطورية الأمريكية !!
مراجعة وتقديم
الأديب والكاتب الصحفى
سامى فريد
فرغلى هارون
الارهاب العولمى..
دار الواقى للنشر
سلسلة الواقى الثقافية
العدد (٢)

مقدمة

الإرهاب ظاهرة اجتماعية قديمة، ظهرت منذ ظهور فكرة الدولة، وربما قبلهـــا، منذ ظهور فكرة السلطة والصراع على النفوذ. ولكن باختراع التكنولوجيا، وزيادة الاتصال والتقارب والتعاون المتبادل بين الـــدول، أصـــبح الفعـــل الإرهـــابى أداة للترويع، ليس فقط على المستوى المحلى أو الإقليمى، وإنما أيضاً على المـــستوى العالمى.

ومع ظهور العولمة، وتصاعد وتيرتها، واتساع نفوذهـــا وتأثيرهـــا، وازديـــاد توحشها وهيمنتها، أخذ الفعل الإرهابى أبعاداً جديدة، واتخذ الإرهاب أشكالاً حديثة، لم يعرفها العالم من قبل، وبما يتلائم مع هذه المرحلة التاريخية التى تسيطر عليهـــا العولمة.

ولا يبدو الحديث فيما قد يكون علاقة بين الإرهاب والعولمة من قبيل الاجتهـــاد المجرد لتصيد خيط ما يربط بين ظاهرتين قد تبـــدوان ظاهريـــاً مختلفتـــان فـــى طبيعتيهما، ومتباينتان فى سياقهما، ولكن بالنظر إلى الأحداث الإرهابية التى وقعت يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة الأمريكية، والتأمل فى نتائجها وتداعياتها التى لا زلنا نشهدها حتى الآن، يصبح من الممكن، بل ومن المـــشروع، الحديث عن علاقة الإرهاب بالعولمة، ومدى تأثير وتأثر كل منهما بالآخر.

وبناء على ذلك، فإن المشكلة الأساسية التى يقوم عليها هذا الكتاب، هى محاولة استكشاف العلاقة التى تربط بين الإرهاب والعولمة، بوصفهما عمليتـــان كونيتـــان تحدثان على نطاق عالمى، والتأثيرات التبادلية لكل منهما على الآخر.

كما أدى إعلان الإمبراطورية الأمريكية للحرب على الإرهـــاب بعـــد أحـــداث سبتمبر الإرهابية، إلى التأكيد على هذه العلاقة بين الإرهاب من جهـــة، والعولمـــة المهيمنة التى تقودها الولايات المتحدة، وتفرضها قسراً على العالم أجمع من جهـــة أخرى.

ومن هنا، فإن هذا الكتاب **يأتى بعد مرور خمس سنوات على أحـداث الحـادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وإعلان الولايات المتحـدة حربهـا المفتوحـة ضـد الإرهاب، ليؤكد على أمرين أساسيين:**

الأمر الأول: أنه رغم قدم ظاهرة الإرهاب فى التاريخ الإنسانى، إلا أن الإرهاب بالشكل الذى شاهده العالم أجمع، وأعلن عن نفسه فى ١١ سـبتمبر ٢٠٠١، هـو إرهاب من نوع خاص، ارتبط بتصاعد تيار العولمة الإمبريالية المتوحـشة؛ فهـى التى غرست بذوره، وخلقت دوافعه، وأمدته بأدواته ووسائله، التى أحسن استغلالها، ليظهر نمط جديد من الإرهاب يمكن أن نطلق عليه (الإرهاب العـولمى)، والـذى يفوق خطره وتأثيراته كل أشكال الإرهاب التى عرفها التاريخ.

الأمر الثانى: أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب العولمى، ربما تكـون آخـر حروب الإمبراطورية الأمريكية، والتى تؤذن بانهيار الإمبراطوريـة الأمريكيـة، وأفول نجمها، وزوال قوتها وسيطرتها؛ فالفشل الذريع والإخفاقات المتوالية التـى تواجهها الإمبراطورية الأمريكية فى أفغانستان والعراق والشرق الأوسط، إضـافة إلى تصاعد تيار الكراهية ضدها، وازدياد حدة موجات الغضب والعنف الموجه ضد مصالحها حول العالم، وتجرؤ العديد من الدول على الخروج مـن عبـاءة الـسيد الأمريكى والتمرد على هيمنته، بل والاتجاه نحو مواجهته ومنازلته، كل ذلك يمكن اعتباره بمثابة الألواح الخشبية التى بدأت تصنع نعش الإمبراطوريـة الأمريكيـة، والذى بات فى انتظار المسمار الأخير !!!

باختصار يهدف هذا الكتاب، من جهة، إلى توضـيح العلاقـة العـضوية بـين الإرهاب والعولمة، وتداعيات هذه العلاقة على النظام العالمى بوجه عـام، وعلـى المنطقة العربية والدول الإسلامية بوجه خاص، ومن جهة أخرى، يحـاول تقيـيم التجربة الأمريكية فى الحرب على الإرهاب خلال السنوات الخمس الماضية، فـى ضوء الواقع العيانى المشاهد.

فإن وفقت فى ذلك، فهو من فضل الله وتوفيقه، وإن كان هناك نقص أو تقصير فمن نفسى، وكفى بالمحاولة شرفاً. والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

فرغلى هارون
القاهرة فى ديسمبر ٢٠٠٦

تقديم

هذه هى الحقيقة .. فمن يدق الجرس ؟!!

بقلم/ الأديب والكاتب الصحفى

سامى فريد

نائب رئيس تحرير الأهرام

(لم تكن العولمة الإسلامية قهراً لبقية الحضارات، بل كانت مداً ثقافياً استوعب باقى الحضارات، وحافظ على هويتها الثقافية، بعد ان أصّلها بقيم إسلامية لخدمة الإنسان وليس لاستغلاله وقهره، وكانت إثراء للفكر الإنسانى على عكس العولمة الغربية التى جاءت لتقهر الفكر الإنسانى. إن الإسلام يدعو إلى العولمة لكن فى أسمى معانيها، فالإسلام جاء من أجل نشر حضارة شاملة، وفى نفس الوقت ليعترف بخصوصية كل شعب).

هذه واحدة من منطلقات هذا الكتاب الذى يحاول أن يضع حداً لحيرتنا فى بحث العلاقة بين الإرهاب والعولمة، وتعريف الإرهاب، ونسخ الخلط بينه وبين الكفاح المسلح. وهو يصك مصطلحاً جديداً تحت اسم الإرهاب العولمى بعد حادث ١١سبتمبر الذى قلب موازين الإرهاب فى العالم واتى بإرهاب جديد يسميه الكاتب إرهاباً عولمياً.

أما العولمة ذاتها، تلك التى حيرتنا فلم يضع أحد لها كلمة الختام أو القول الفصل فيها بعد .. فهى عند البعض تعنى إزالة الحواجز السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى تتحرك رءوس الأموال والأفكار والسلع والخدمات فى حرية .. وهى عند البعض الآخر، الوجه الحديث للاستعمار، والموجة الجديدة من سيطرة الغرب الأوربى والأمريكى على مقدرات العالم الثالث ..

وهى عند فريق ثالث المرادف الموضوعى للأمركة والهيمنة الأمريكية ولسيادة نمط الأفكار والثقافة الأمريكية .. وهى عند آخرين ليست إلا ستاراً تتحرك تحته

الشركات عابرة القارات والقوميات، صاحبة الميزانيات الأضخم مـن ميزانيـات بعض الدول، والتى لها مصالح لا تتفق مع مصالح الدول، ولها الطموحات التى لا تقف عند حد، ومن ثم فإنها ترفع شعار العولمة كى تفسح لنفسها طريق التوغـل، وهى ترفعه كى تزيل التشريعات والمنافسات المحلية، فتنتشر دون أى عائق بغض النظر عما إذا كانت مصالح هذه الشركات تضر بمصالح الدول الفقيرة فى العـالم الثالث.

وباختصار؛ فإن مذهب العولمة يقوم فى الواقع على أساس من قيم الداروينيـة الاجتماعية التى تعتمد على شعار البقاء للأصلح، فهل تكـون النتيجـة ان ينهـزم الضعفاء أمامها ؟!

الذى لا شك فيه، أن الهزيمة أمام العولمة تبدأ دائماً بأن تكون هزيمـة نفـسية؛ سببها اعتبار أن ظاهرة العولمة حتمية. وهو أمر مبالغ فيه، ولا يعبر عن حقيقـة هذه الظاهرة؛ لأن اعتبار ظاهرة العولمة حتمية قد لا يكون فى الحقيقة أكثر مـن الاعتراف بأننا لم تعد لدينا طاقة باقية للمقاومة.

والحـل ؟!

الحل فى الاستفادة القصوى من إيجابيات العلومة، وتحاشى سلبياتها، والـسبيل إلى ذلك متشعب .. من جهة فإنه يقتضى اعتماد الإجراءات اللازمة لحماية حركة الإنتاج الوطنى وتأمين أسواق التصريف لهذا الإنتاج داخلياً وخارجياً .. ووضـع برامج لتعزيز حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى .. ومن جهـة ثالثة تطوير المناخات اللازمة لتنشيط حركة التثمير داخل البلاد مع الحرص علـى صون أسباب الاستقرار الاجتماعى بمكافحة البطالة، ومعالجة الفقر، والتزام مبـدأ العدالة الاجتماعية، وتعزيز برامج الضمان الاجتماعى، والدخول فى تكتل دولى أو إقليمى يتمتع بالقدرة على منافسة الكبار فى الساحة الدولية، ولن يكون ذلـك فـى أروع صوره إلا بالانضواء تحت اتحاد عربى قادر على المواجهة تحـت شـمس النظام العالمى الجديد.

الكتاب الذى بين أيدينا يشرح ويحلل ويبحث عن الأسباب، ويرصد النتائج والحلول .. إن العالم اليوم يواجه موقف لا أخلاقى بعدما سقط برقع الحياء الدولى، وانتهى العشم بين القوة الكبرى وأصدقائها وحلفائها، وأصبح كل شىء محتملاً.

إن الإرهاب عمل لا أخلاقى، لا شك فى ذلك، ولكنه أحياناً يكون رداً على عولمة هى نفسها لا أخلاقية .. إن الإرهاب الحالى ليس إلا مجرد رد فعل لإرهاب آخر أكثر قوة تبنته واتخذته الولايات المتحدة الأمريكية سياسة لها فى توجهاتها الجديدة تجاه دول العالم الثالث.

لابد هنا من الربط بين العولمة والإرهاب، إن العلاقة بينهما هى علاقة توحد وتكامل، كما أنها فى الوقت نفسه علاقة تضاد وتنابذ، وكأننا ندور فى حلقة مفرغة لا يكسرها إلا ظهور قطب جديد يواجه الولايات المتحدة، ولتكن الصين أو كوريا الشمالية أو الاتحاد الأوربى أو الاتحاد العربى المأمول، أو حتى قوة الإرهاب ككيان بلا دولة!!

أما على صعيد العالم العربى، فقد كانت منطقتنا العربية هى الخاسر الأكبر سياسياً واقتصادياً بظهور الإرهاب ثم الحرب عليه، باعتبار أن منفذى عملية ١١ سبتمبر كانوا من المنطقة العربية، فبعد أن فرغت الولايات المتحدة الأمريكية من أفغانستان، استدارت إلى العراق لتحتله بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل، التى لم تجدها حتى الآن. وها هى تزرع بذور ديمقراطيتها فى عالمنا العربى بقوة سلاحها الذى تعطيه لإسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية، وضرب لبنان، والقضاء على المقاومة بكل صورها العربية الإسلامية، من رفض الاعتراف بحماس وحكومتها المنتخبة من الشعب الفلسطينى، وها هى تفرض عليها حصاراً شاملاً هو حصار الموت اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً .. ثم ها هى أيضاً تهدد سوريا وكأنها تبحث عن تكئة لضربها، ولن ننسى دورها الداعم بكل وقاحة وصلف وجرأة لإسرائيل فى محاولة تصفية حزب الله باعتباره منظمة إرهابية مناوئة لا تريدها أمريكا فى المنطقة.

ماذا بالضبط تريد أمريكا منا ومن منطقتنا العربية ؟ ..

وماذا يريد جورج بوش وعصابته اليمينية الرجعية الصهيونية تحديداً منا ؟!

إن كانوا يريدون استسلامنا فلن نستسلم، ولو كنا من أهل الاستسلام لاستسلمنا منذ أول بادرة غدر وإظهار عضلات من الولايات المتحدة فى أرضنا، منذ نظرية الفراغ الايزنهاورية أو حلف بغداد والهلال الخصيب، أو منذ سحب تمويل السد العالى والتشكيك فى الاقتصاد المصرى، ومن قبل هذا كله، منذ عصور سحيقة شهدت احتلالاً فرنسياً وعثمانياً وانجليزياً، بل وإيطالياً أيضاً، ناهينا عن الفرس والرومان .. كلهم ذهبوا إلى مزابل التاريخ وبقى الشعب العربى.

ولو أننا فقط راجعنا ميزانيات الانفاق العسكرى لقتل أبنائنا ونسائنا وشيوخنا، وتدمير بيوتنا فوق رءوسنا، وتحطيم بنياتنا الأساسية حتى نقعد متخلفين نلعق جراحنا ونداوى ما تحطم منا عشرات السنين.

لو راجعناها لاكتشفنا ما ليس سراً، وما لم يكن أبداً بسر، وقد بان القصد واتضح سبيل المجرمين. سنكتشف أن ميزانية البنتاجون الأمريكى (وزارة الدفاع عن مصالح أمريكا، ووزارة الحرب علينا) للعام ٢٠٠٧ قد زادت لتصبح ٥١٢,٩ مليار دولار !! .. تأملوا الرقم لتعرفوا حجم المشاكل التى تغرق فيها دول وشعوب فى أفريقيا وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية التى كانت من الممكن أن ينقذها نصف هذا المبلغ الذى خصصته شياطين الحرب للعدوان والتدمير.

وماذا عن منطقتنا ؟!

بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٩ وافق مجلس الشيوخ الأمريكى بالإجماع (لاحظوا بالاجماع هذه) على تخصيص ٧٠ بليون (نكرر ٧٠ بليون) دولار لنفقات الحملة العسكرية على العراق وأفغانستان .. يعنى على المسلمين .. وهذا يفسر معنى الإجماع والحماس فى الموافقة، فهى حرب صليبية كما أعلنها جورج بن بوش، ثم نصحوه فعاد ليصححها، أو فلنقل ليؤكدها باعتذار خائب !!

فى نفس العام ٢٠٠٦ يصوت مجلس الشيوخ الأمريكى وفى نفس الجلسة، على مشروع القانون الذى يبلغ إجماليه ٤٨٨ بليون دولار (نكرر أيضاً كلمة بليون، الذى يساوى مليون مليون، يعنى واحد أمامه ١٢ صفر، لمن أراد أن يعرف !) بموافقة

١٠٠ صوت مقابل لا شيء !! يعنى الاجماع أيضاً، ويخصص المشروع ٣٧٨ بليون دولار لبرامج البنتاجون الرئيسية، بزيادة قدرها ٥% عن العام ٢٠٠٥.

ما معنى هذا ؟

معناه أن أمريكا تلقى ببلايينها فى نار الحروب ولا تدفع بها إلى ما ينفع أمماً وشعوباً من حولها تحتاج إليها من أجل الحياة .. من أجل أن يعيش أطفالها ويجدوا كما يجد باقى أطفال العالم كوب اللبن، بل وكوب الماء أحياناً، وحفنة من قمح أو طحين، وقرصاً من دواء لعلاج أمراض توطنت وراحت تفتك بهم بلا رحمة.

هؤلاء الأطفال هم أيضاً وأهلهم ضحايا حروب إقليمية ومحلية، لو تأملناها .. ولو سألنا فيها المحللين .. لاكتشفنا أنها أيضاً من صنع أصابع وألعاب البنتاجون الأمريكى ووكالات مخابرات الأمريكان، لحاجة فى نفس يعقوب الأمريكانى، لكنه أبداً لن يقضيها !!

منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وافق الكونجرس الأمريكى على تخصيص ٥٠٧ بلايين دولار للحرب على العراق وأفغانستان، وبلغت تكلفة الحرب فى العراق حتى منتصف العام ٢٠٠٦، ٣٧٩ بليون دولار، مقابل ٩٧ بليون دولار للحرب فى أفغانستان، على اعتبار أن أفغانستان قد فقدت تقريباً كل مقومات الحياة، وتحولت إلى ركام أو أطلال دولة، والفضل كل الفضل للأمريكان وبلايينهم الطائرة والقاذفة والعنقودية، الذكية منها والغبية !!

يقول جورج بوش الجالس على عرش العالم فى مقعد الرئاسة الأمريكية أن العالم أصبح أكثر أمناً بعد حرب العراق ! (خطاب بوش فى ٢٠٠٦/٩/١١).

وربما تقول هذا أحلامه !! .. أو بعض التقارير المهدئة والمطمئنة والمربتة على مخاوفه، والمشجعة لخيباته وسوء تقديراته !!

أما التقارير الأمنية المخابراتية، فتقول أن الحرب على العراق قد زادت من خطر التهديد الإرهابى على الولايات المتحدة بصورة أسوأ مما كان سابقاً !

هذا عن أمريكا ومخابراتها ووزارة حربها وسياساتها الكولونيالية العولمية، فماذا عنا نحن شعوب ودول العالم الثالث ؟

يجيب عن هذا السؤال الكاتب الصحفى عطيه عيسوى فـــى عمـــوده "سياســـة خارجية" المؤرخ فى ٢٠٠٣/٨/١٣ فيقول أن شبح المجاعة قد عاد ليطل بوجهـــه الكئيب فى مناطق متفرقة من أفريقيا وآسيا بعد ٢٨ عاماً من تعهد زعماء العالم فى القمة الغذائية عام ١٩٧٤ بألا يبقى طفل جائع فى القارة السمراء بحلول عام ١٩٨٤ وناشدت الأمم المتحدة للمرة الثالثة الدول المانحة أن تسارع بإرســـال المعونـــات اللازمة لإنقاذ حياة حوالى ١٣ مليون إنسان يهددهم الموت فـــى ســـت دول فـــى الجنوب الأفريقى، وحوالى مليون آخرين فى أثيوبيا، فضلاً عن ٦,٤ مليـــون فـــى كوريا الشمالية يعانون نقصاً حاداً فى الغذاء.

وللأسف .. فإن النداءات الثلاثة لم تلق استجابة ملموسة – يقول عطيه عيسوى– حيث تطالب المنظمات الدولية المعنية بأكثر مـــن ٦٠٠ مليـــون دولار (تـــستطيع الولايات المتحدة وحدها دفعها بجرة قلم) لتفادى كارثة إنسانية، ربما لتدخل السياسة فى المسألة (لاحظ كلمة تدخل السياسة هذه) خاصة فى دول على خلاف شديد مـــع الغرب مثل زيمبابوى فى أفريقيا وكوريا الشمالية فى آسيا (وضحت المـــسألة إذن) حيث تتردد الاتهامات بالفساد (صناعة مخـــابرات أمريكـــا) وتبديـــد المـــساعدات واستخدامها من قبل الأنظمة فى تحقيق أغراض سياسية أو معاقبة المعارضين لها.

وعلى سبيل المثال .. فإن زيمبابوى تعانى من أسوأ موجة جفاف منذ استقلالها (كان هذا الكلام عام ٢٠٠٣) وتحتاج على معونة عاجلة قدرها ٢٨٥ مليون دولار، وسط أنباء عن أن الحزب الحاكم بزعامة الرئيس روبرت موجابى منـــع توزيـــع المساعدات الغذائية على المناطق التى لم يؤيده سكانها فى انتخابات الرئاسة الأخيرة رغم نفى الحزب الحاكم ذلك حسبما ذكرت الإذاعة البريطانية أخيراً، والتـــى قـــال مراسلها أن بعض السكان يعيشون على وجبة غذائية واحدة فى اليوم (تلقى المزارع والمصانع الأمريكية أحياناً فائض انتاجها فى المحيط حتى لا تـــنخفض أســـعارها العالمية !) وأن معظمهم خارج المدن لا يجدون سوى النباتات والثمار البرية لأكلها بينما تم منع سكان المدن حتى من شراء الغذاء الوارد ضمن المعونات !!

ولو صح ذلك فستكون النتيجة أسوأ لأن الدول المانحة (وعلى رأسها الولايـــات المتحدة بالطبع) ستمتنع عن تقديم المساعدة (وكأنها كانت تنتظر هذا السبب لا لكى تتدخل كما تتدخل دائماً ولكن لتمتنع .. فقط تمتنع) بينما توقفت الكثير من المزارع عن الإنتاج بعد انتزاعها عنوة من أصحابها البيض (كان البيض قد اغتصبوها منذ بداية الاحتلال من أصحابها السود ثم استردها السود بزعامة موجابى – للتصحيح فقط!)

وهناك مالاوى التى تحتاج إلى ١٤٤ مليون دولار لإنقاذ حياة ٣ ملايين جائع .. وزامبيا التى تحتاج إلى ٧١ مليون دولار لإنقاذ مليونين من البـــشر (يـــستطيع أى رجل أعمال متوسط القدرة أن يوفرها من جيبه) .. وليسوتو التى يواجه ٣٠% من سكانها الموت جوعاً وتحتاج إلى ٤١ مليون دولار (ما قلناه عن زامبيا ينـــصرف أيضاً على ليسوتو) .. ثم سوازيلاند التى تحتاج إلى ١٩ مليوناً لتفادى موت ١٥٠ ألفاً جوعاً !! (نفس الكلام الذى قلناه عن زامبيا وليسوتو !!)

ولا يختلف حال موزمبيق كثيراً عن حال سابقاتها. أمـــا فـــى إقلـــيم اوجـــادين ومناطق الفقر فى أثيوبيا فإن مليون شخص يواجهون الموت بسبب الجفاف، ممـــا أدى إلى نفوق معظم الحيوانات (فى الولايات المتحدة فنـــادق للكـــلاب، ومحـــلات لتصفيف شعرهم، وأطباء نفسيين لعلاج الكلاب، وقوانين تحميهم من ظلم البشر !!) ونزوح مئات الآلاف من منازلهم، وكان مليون أثيوبى قد ماتوا جوعاً فى ظـــروف مشابهة عام ١٩٨٤.

أما فى كوريا الشمالية فيعتمد ٦,٤ مليون إنسان على المـــساعدات الخارجيـــة، حيث لا يجد البعض ما يأكله سوى الأعشاب والطحالب، ويعانى ســـكان المـــدن، باستثناء بيونج يانج العاصمة من نقص حاد فى الغذاء !

وكما يقول المفكر الفرنسى انبياسيو رامونيه فى كتابه "حروب القـــرن الحـــادى والعشرين" الصادر فى ٢٠٠٥: إن الأشخاص الثلاثة الأكثر غنى فى العالم، يملكون ثروة تفوق مجموع النواتج المحلية الإجمالية للـــ ٤٨ بلداً الأكثر فقـــراً، أى ربـــع إجمالى دول العالم، وفى أكثر من ٧٠ دولة صار نصيب الفرد من الدخل أدنى مما

كان عليه منذ عشرين عاماً، وعلى المستوى الكوكبى يعيش حوالى ٣ مليار شخص هم نصف البشرية بأقل من ٢ يورو فى اليوم. وتصل وفرة السلع إلى مستويات لم يسبق لها مثيل، غير أن عدد أولئك الذين لا يملكون مأوى ولا عملاً ولا ما يكفى من الطعام، يزداد بلا انقطاع.

وعلى هذا النحو، فإن ٤,٥ مليار من السكان الذين تضمهم البلدان النامية، لا يتمتع حوالى الثلث بالوصول إلى مياه صالحة للشرب !!، ولا يتناول خمس الأطفال سعرات حرارية أو بروتينات بصورة كافية، ويعانى حوالى ٢ مليار من الأفراد – ثلث البشرية – من الأنيميا. وكل سنه يموت من الجوع ٣٠ مليون شخص، ويعانى ٨٠٠ مليون آخرين من نقص الغذاء المزمن.

فهل هذا الوضع قضاء وقدر ؟ – يتساءل رامونيه – ويجيب: **أبداً إطلاقاً.**

فوفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة، يكفى لكى نوفر لكل سكان الكرة الأرضية الوصول إلى حاجاتهم الأساسية (الغذاء، المياه الصالحة للشرب، التعليم، الصحة) اقتطاع أقل من ٤% (نكرر أربعة بالمائة فقط) من الثروة التراكمية من أضخم ٢٥٥ ثروة فى العالم. ولا يكلف الوصول على الإشباع الشامل للحاجات الصحية والغذائية سوى ١٣ مليار يورو، أى بالكاد ما ينفقه سكان الولايات المتحدة والاتحاد الأوربى فى السنة على استهلاك الروائح العطرية !!!!!

يبدو أن الموت جوعاً سيبقى كابوساً رهيباً يجثم فوق صدور سيئى الحظ من سكان العالم الثالث، لأن الجوع صار سلاحاً سياسياً، ومن الآن فصاعداً فإنه ما من مجاعة تقع بالمصادفة، ما دامت السياسة تدس انفها وتفرض قوانينها ومصالحها فى الأعمال الإنسانية ومصائر الشعوب !

هذه هى الحقيقة .. وتلك هى المشكلة ..

وهذا هو الصياد .. وهذه هى الفريسة ..

فمن يدق الجرس ؟

ليوقظ الشعوب من هذا الخرس ؟



الإرهاب العولمى

وانهيار الإمبراطورية الأمريكية



الباب الأول

الإرهاب والعولمة ..

محاولة للفهم !!

الفصل الأول: الإرهـاب

الفصل الثانى: العولمة

يعتبر كلاً من مفهومى الإرهاب والعولمة من المفاهيم الشائعة بشكل كبير فى المجالات الأكاديمية والنظرية، بل وفى الحياة اليومية أيضاً فى السنوات الأخيـــرة، وبرغم شيوعهما إلا أن الجدال لازال محتدماً حول تعريف كل منهما بشكل يرضى جميع المهتمين بهاتين الظاهرتين.

" فكل من مفهومى الإرهاب والعولمة أصبح تقريباً فارغاً من المعنى؛ فهمـــا يعنيان فى نفس الوقت كل شىء ولا شىء. وفى حالة كل من المفهـــومين، كـــافح الأكاديميون لوقت طويل لإيجاد تعريف محدد، وفى الحالتين كانوا غير قادرين على تطوير تعريف واحد يكون مقبولاً لكل شخص. علاوة على ذلك فإن كلاً من فكـــرة الإرهاب والعولمة، أصبحت مستعملة على نحو متزايد ويتسع بشكل ثابت من قبـــل أجهزة الإعلام المختلفة وتطبيقاتها، فبطريقة ما أصبح الإرهاب مترابطاً أكثر مـــن أى نوع من العنف، وبطريقة ما أصبح أى حدث يتضمن أشخاصـــاً مـــن بلـــدين مختلفين يعتبر كعولمة "[(1)]

وما يجب الانتباه إليه عند التعامل مـــع هـــذه المـــصطلحات والمفـــاهيم " أن المصطلحات فى نشوئها، تعود إلى أسباب ومسببات وأهداف وغايات، فقد يتكـــون هذا المصطلح أو ذاك وينتشر فى أصقاع العالم، ويكون الهدف منه خدمة الإنسانية جمعاء، كما هو الحال فى بعض المصطلحات العلمية أو الفكرية، وقد يكون محدود

---

(1) Maskliunaite,Asta, Terrorism and Globalization: Recent Debates, http://venus.ci.uw.edu.pl/

الانتشار ويستخدمه مجتمع دون غيره من المجتمعات، وفى الوقت ذاته قد يتم تخليق أو افتعال مصطلح ما من قبل جهة أو جهات معينة، ويكون الهدف منه نفعياً يخدم مصالح هذه الجهة أو تلك، مثلما يكون فى الوقت ذاته إضراراً بجهات بعينها، وهذا النوع من المصطلحات أخذ يتحول إلى سلاح فعال فى عصرنا الراهن، وبات يستخدم فى الوسائل الإعلامية والثقافية التى اصبحت تمتلك تقنيات إيصال هائلة فى أيامنا هذه، حتى أصبح لا يقل أهمية أو خطورة عن البندقية والمدفع والصواريخ العابرة للقارات. "[1]

وفى هذا الباب نحاول الوقوف على أبعاد هذين المفهومين متتبعين نشأة كل منهما وتطوره والموقف منه، فى محاولة للخروج بتعريف محدد لكل مفهوم منهما يساعدنا على الاقتراب، قدر المستطاع، من الفهم الموضوعى لهذين المفهومين.

---

(1) عبد الرحمن عمار، قضية الإرهاب بين الحق والباطل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣. (نسخة إلكترونية)





الإرهــــاب

متهمون نحن بالإرهاب
إذا رفضنا محونا ..
على يد المغول .. واليهود والبرابرة
إذا رمينا حجراً ..
على زجاج مجلس الأمن الذى
استولى عليه قيصر القياصرة
متهمون نحن بالإرهاب ..
إذا رفضنا أن نفاوض الذئب ..
وأن نمد كفنا لعاهرة !!
متهمون نحن بالإرهاب ..
إذا رفضنا زمناً صارت به أمريكا
المغرورة .. الغنية .. القوية
مترجماً محلفاً للغة العبرية !!

الشاعر السورى/ نـزار قبـانـى

أولاً: مشكلة التعريف:

بداية لابد من الإقرار بأن هناك عدداً كبيراً جـداً مـن التعريفـات لمفهـوم الإرهاب – رصد بعض الباحثين أكثر من ٩٠٠ تعريف للإرهاب – وذلك بحكـم تعقد الظاهرة وتعدد مستوياتها وتباين وجهات النظـر بـشأنها، سـواء بالنـسبة للأشخاص أو القوى السياسية أو الدول التى تواجههـا، بالإضـافة إلـى تـداخل الاعتبارات السياسية مع الاعتبارات الموضوعية الأخرى. ومن هنا يبدو أن لكـل طرف – شخصاً أو حزباً أو دولة – رؤيته الخاصة لهذه الظاهرة والمختلفة عـن رؤى الآخرين، وذلك انطلاقاً من المقولة الشائعة التى ترى أن **(الإرهابى فى نظـر البعض هو مقاتل من أجل الحرية فى نظر البعض الآخر).**

ولهذا فإنه ليس من الصعب إنشاء تعريف مقبول ضمن أوساط جماعة متآلفة بعينها، وأما المشكلة فتبدأ حين تحاول تلك المجموعة الانخراط فـى حـوار مـع الآخرين.

" ولأن الإرهاب ينطوى على مشاعر بالغة الحدة، تعود جزئياً إلى رد الفعـل على الأهوال المقترنة به، وتعود فى جزئها الثانى إلى سياقه الأيديولوجى، فإن من الصعوبة العثور على تعريف دقيق يضمن توافق جميع الأطراف المـشاركة فـى النقاش ...إن أكبر العوائق أمام الدراسة الجادة للإرهاب هـى أن الإرهـاب فـى الجوهر مشكلة أخلاقية. وهذا واحد من أبرز الأسباب الكامنة فى صعوبة التوصل إلى تعريف للإرهاب "[1]

---

[1] غرانت وردلو، مشكلة تعريف الإرهاب، فى: الإرهاب قبل ١١ أيلول وبعده، مجلة الكرمـل، العدد ٦٩، خريف ٢٠٠١. ص ص ٧-٨

وهناك عدة **إشكاليات تعوق الوصول إلى مفهوم متفق عليه نحــو الإرهــاب** يتمثل أهمها فيما يلى:[1]

أولاً: إشكاليات على المستوى النظرى: تتصل بالمفاهيم والمعانى والأطــر، وهى تشمل عدة إشكاليات أهمها: عدم وجود إجماع بين البــاحثين حــول مفهــوم الإرهاب بسبب تباين الثقافات والأهداف – تداخل مفهوم الإرهاب مع عــدد مــن المفاهيم القريبة فى المعنى مثل مفاهيم: العنف السياسى أو الجريمــة الــسياسية أو الجريمة المنظمة أو التطرف – أن مفهوم الإرهاب دينــاميكى ومتطــور تختلــف صوره وأشكاله ودوافعه باختلاف الزمان والمكان.

ثانياً: إشكالية على المستوى المنهجى: فغالبية ما كتب حول الظــاهرة مــن بحوث ودراسات تتصف بأنها ذات طابع نظرى عام يصف الظاهرة دون استخدام المناهج العلمية الدقيقة.

ثالثاً: إشكالية غياب الموضوعية فى تحليل ظاهرة الإرهاب.

رابعاً: إشكالية غياب التكوين المعرفى حول هذه الظاهرة: فالدراسات حولها ذات طابع سياسى وقانونى فقط، ولذا لابد من قيام تخصص جديــد يــستند علــى التداخل المعرفى والمنهجى بين علوم الاجتماع والسياسة والانثروبولوجيا والاقتصاد وغيرها، لرصد وتحليل الظاهرة من أبعاد منهجية متعددة للكــشف عــن ماهيتهــا وأسبابها وطرق التصدى لها.

ويمكن أن نضيف إلى الإشكاليات السابقة **بعض الأسباب الجزئيــة** التى تحول دون التوصل إلى تعريف محدد لمفهوم الإرهاب والتى أهمها:[2]

١- اختلاف المفاهيم والرؤى حول العنف والإرهاب والمعايير المتصلة بهما.

---

[1] د. محمد بن عبد الله بن حجر الغامدى، الإرهاب وجدلية التعريف، مجلة الشورى السعودية، السنة السادسة، العدد ٦٤، ذو الحجة ١٤٢٥هـ.

[2] مجلة المختار الإسلامى، مفهوم العنف وعلاقته بمصطلح الإرهاب والمقاومة المشروعة، الموقع الإلكترونى للمجلة www.islamselect.com

٢- استفادة بعض الدول من ذوبان هذه المفاهيم وعدم تحديدها، وخاصة أمريكا وإسرائيل، وذلك للتحرك السياسى والعسكرى والاقتصادى ضمن مفهوم فضفاض يفصلونه حسب مرادهم.
٣- استفادة بعض الحكومات المحلية لتصفية خصوماتها تحت طائلة هذه المفاهيم غير المحددة.
٤- غلبة الفكر البرجماتى المادى القائم على مفاهيم نفاقية (الوصول للكسب بأى طريقة – تطبيق معايير مزدوجة – النسبية الأخلاقية) ومن أبشع من يطبق هذه المفاهيم الحكومة الأمريكية ومن خلفها اللوبى اليهودى.

معنى الإرهاب فى اللغة:

" تكاد تتفق **المراجع الأجنبية** على أن مصدر كلمة Terrorism فى اللغة الإنجليزية هو الفعل اللاتينى Ters الذى استمدت منه كلمة Terror أى الرعب أو الخوف الشديد "[(1)]

أما فى **اللغة العربية** فقد " اشتقت كلمة إرهاب من الفعل المزيد (أرهب) ويقال أرهب فلان فلاناً أى خوفه وأفزعه، وهو نفس المعنى الذى يدل عليه الفعل المضعف (رهّب) أما الفعل المجرد من نفس المادة وهو (رهب) يرهب رهبة ورهباً فيعنى خاف، فيقال رهب الشىء رهباً ورهبة أى خافه، أما الفعل المزيد بالتاء (ترهب) فيعنى انقطع للعبادة فى صومعته، ويشتق منه الراهب والرهبانية ..الخ، وكذلك يستعمل الفعل ترهب بمعنى توعد إذا كان متعدياً فيقال: ترهب فلاناً: أى توعده، وكذلك تستعمل اللغة العربية صيغة (استفعل) من نفس المادة فتقول استرهب فلاناً أى أرهبه "[(2)]

---

(1) د. أحمد جلال عز الدين، الإرهاب والعنف السياسى، كتاب الحرية، العدد ١٠، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مارس ١٩٨٦. ص ٢٢

(2) د. حسن عزوزى، الإسلام وتهمة الإرهاب، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٠٩، رابطة العالم الإسلامى، اكتوبر ٢٠٠٥. ص ص ١٤ – ١٥

تعريف مصطلح الإرهاب:

على الرغم من وجود اثنتى عشرة اتفاقية دولية حول الإرهاب، فإن المجتمع الدولى لما يتوصل بعد إلى تعريف محدد لمفهوم الإرهاب الذى تدور حوله كل تلك الاتفاقيات والقرارات.

" ولأن مفهوم الإرهاب تحول إلى إشكالية معقدة، فإن الناس رضوا بالتوصيف لا التعريف، والتوصيف مرتبط بذوات الأحداث لا بذات الظاهرة ... ومما يعمق الإشكالية تعدد مثيرات الإرهاب، إذ أن لكل مثير حيثياته ومغايرته ... وباختلاف المثير يختلف المفهوم والموقف "[1]

" وفى ظل تعدد الأسباب والمفاهيم والمكاييل والحياد والانحياز السلبيين تبدت للمتابع عشرات الرؤى والتصورات المعمقة للإشكالية بحيث لم تكن وقفاً على التعريف، وإنما هى فى المفاهيم والمواقف. فجذر (رهب) من حيث (لغويته) يعنى التخويف والقمع، ومن حيث (إجراؤه) يعنى مباشرة الاعتداء، ومن حيث (الممارسة) يكون فردياً وجمعياً ودولياً، ومن حيث (الأهداف) يكون ضد أى كيان سياسى أو دينى أو عرقى، ومن حيث (الدوافع) يكون بسبب اضطهاد أو اعتداء أو انحياز أو هو مبدئى تمليه أيديولوجية معينة وتفرضه نحلة متطرفة، ومن حيث (النتائج) يؤدى إلى الفوضى والاضطراب واختلال الأمن والتخلف. إذ هناك مسلمات لا يختلف حولها أحد، وحين نفرق بين الدلالة والمفهوم نكون قد وضعنا المؤشر على المفصل "[2]

" نحن إذن بصدد تشوش فى الحقل الدلالى. وهو تشوش غير قابل للاختزال فى الحدود بين المفاهيم ... وكل هذه الأشياء لا يجب التعامل معها باعتبارها مجرد

---

[1] د. حسن بن فهد الهويمل، الإرهاب وإشكاليات المفهوم والانتماء والمواجهة، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. ص٧
www.alminbar.al-islam.com

[2] المرجع السابق، ص٨

خلل فى التنظير أو فوضى فى المفاهيم ... فعلى العكس من ذلك، يجب أن نـرى فيها استراتيجيات وعلاقات القوى. فالقوى المهيمنة هى القوى التـى تـتمكن فـى ظروف معينة من فرض تسمياتها ومن ثم فرض التأويل الذى يناسـبها وبالتـالى إضفاء الشرعية على هذه التسميات بل وتقنينها "[1]

ومن هنا، " فإن الطابع الزلق لمفهوم الإرهاب (أياً كان تعريفـه فـى نهايـة المطاف) يتبدى على أوضح صورة فى استخدامه الانتقائى، وخصوصاً اسـتخدامه الانتقائى الإزدرائى "[2]

وهذا هو نفس ما يؤكده فيلسوف التفكيك الفرنسى جاك دريدا قائلاً إنه " كلمـا ازداد المفهوم غموضاً كلما أصبح عرضة للتطويع الانتهازى ... فقد أمكن الإشادة بارهابيين باعتبارهم مكافحين من أجل الحرية – فى سياق المقاومة ضد الاحـتلال السوفيتى فى أفغانستان على سبيل المثال – وجرى التنديد بهم باعتبارهم إرهابيين فى سياق آخر "[3]

" إن مما لا شك فيه أن المصطلحات التى تستخدم لوصف حدث تاريخى مـا هى التى تحدد فهمنا له، وإذا جردناها من التحديد فإن الكلمات تصبح حواجز أمـام المعرفة، وهذا ما هو حاصل الآن عندما يناقش موضوع الإرهاب وتختلف النظرة إليه بين العرب والغربيين. ومن المؤسف حقـاً أن يكـون تحديـد المـصطلحات الحضارية والسياسية الأكثر شيوعاً وذيوعاً انتاجاً غربياً محـضاً لا يـسع الأمـم والشعوب سوى الإذعان والقبول به. "[4]

---

[1] جاك دريدا، ما الذى حدث فى حدث ١١ سبتمبر؟، ترجمة: صفاء فتحى، مراجعة: بشير السباعى، المشروع القومى للترجمة، العدد ٥٣١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣. ص٨٦

[2] غرانت وردلو، مرجع سابق، ص٩

[3] جاك دريدا، مرجع سابق، ص٨٤

[4] د. حسن عزوزى، مرجع سابق، ص٧٧

ويتبدى ذلك بوضوح عند استعراضنا **لبعض التعريفات التى قدمت لمفهـــوم الإرهاب** سواء فى الغرب أو الشرق، وسواء من قبل أفراد أو منظمات، والتى منها:

١- تعرف موسوعة Encarta الإلكترونية الإرهاب Terrorism بأنه: استعمال العنف أو التهديد باستعماله من أجل إحداث جو من الذعر بين أناس معينـــين يستهدف مجموعات عرقية أو دينيـــة أو حكومـــات أو أحزابـــاً سياســـية أو غيرها.[1]

٢- الإرهاب هو عنف منظم ومتصل بقصد خلق حالة من التهديد العام، الموجه إلى دولة أو جماعة سياسية، والذى ترتكبه جماعة منظمـــة بقـــصد تحقيـــق أهداف سياسية.[2]

٣- تعريف ثورنتون: الإرهاب فعل رمزى يراد منه التأثير فى السلوك السياسى عن طريق وسائل غير عادية تنطوى على استخدام التهديد بالعنف.[3]

٤- الإرهاب هو استعمال العنف أو التهديد باستعماله ضد الأفراد أو الجماعـــات أو الدولة بغية تحقيق هدف غير مشروع يؤثر علـــى الأوضـــاع الـــسياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة والتى أقرها المجتمع.[4]

٥- الإرهاب هو استخدام العنف من جانب الجماعات غير الحكومية مـــن أجـــل انجاز أهداف سياسية.[5]

٦- تعريف كرينشاو: الاستعمال المنظم للعنف السياسى غير التقليدى بواســـطة مجموعات تآمرية صغيرة بهدف التأثير فى الاتجاهات السياسية.[6]

---

(1) المرجع السابق، ص١٢

(2) د. أحمد جلال عز الدين، مرجع سابق، ص٤٩

(3) غرانت وردلو، مرجع سابق، ص١٤

(4) د. محمود حمدى زقزوق (مشرفاً)، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣. ص١٠٤

(5) Giddens,Anthony,Sociology, 3rd ed, Polity Press, Cambridge, 2000. P.751

(6) Maskliunaite,Asta, Op.Cit.

٧- تعريف لجنة الشئون العربية والخارجية والأمن القومى لمجلس الشورى المصرى الإرهاب بأنه: استعمال العنف – بأشكاله المادية وغير المادية – للتأثير على الأفراد أو المجموعات أو الحكومات، وخلق مناخ من الاضطراب وعدم الأمن، بغية تحقيق هدف معين، يرتبط بتوجهات الجماعات الإرهابية، لكنه – بصفة عامة – يتضمن تأثيراً على المعتقدات أو القيم أو الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة، التى تم التوافق عليها فى الدولة والتى تمثل مصلحة قومية عليا للوطن.[1]

٨- تعريف الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة بالقاهرة عام ١٩٩٨: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.[2]

٩- تعريف المجمع الفقهى الإسلامى بمكة المكرمة فى دورته السادسة عشرة المنعقدة فى الفترة من ٥-٢٠٠٢/١/١١م: العدوان الذى يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان – دينه، ودمه، وعقله، وماله – بغير حق، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم

---

[1] هانى خلاف، أحمد نافع، نحن وأوربا: شواغل الحاضر وآفاق المستقبل، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٩٧. ص١٨٥

[2] د. محمد الحسينى مصيلحى، الإرهاب: مظاهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. ص٨ www.alminbar.al-islam.com

أو أموالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد فى الأرض التى نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها (وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[1]

١٠- يعرف مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية الإرهاب بأنه: الاستخدام غير المشروع للقوة أو العنف من قبل مجموعة من الأفراد، لهم صلة ما بدولة أجنبية، أو تتجاوز أنشطتهم الحدود القومية، ضد أشخاص وممتلكات، لترويع أو إكراه حكومة ما والسكان المدنيين أو أى جزء منها، لتعزيز أهداف سياسية أو اجتماعية. [2]

١١- تعريف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) عام ١٩٨٠: التهديد الناشئ عن عنف من قبل أفراد أو جماعات.

١٢- تعريف وزارة العدل الأمريكية عام ١٩٨٤: أسلوب جنائى عنيف يقصد به بوضوح التأثير على حكومة ما عن طريق الاغتيالات أو الخطف.

١٣- تعريف وزارة الدفاع الأمريكية عام ١٩٨٦: الاستعمال أو التهديد غير المشروع للقوة ضد الأشخاص أو الأموال، غالباً لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية.

١٤- تعريف وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٨٨: عنف ذو باعث سياسى يرتكب عن سابق تصور وتصميم وضد أهداف غير حربية من قبل مجموعات وطنية فرعية أو عملاء دولة سريين، ويقصد به عادة التأثير على جمهور ما.

---

[1] رابطة العالم الإسلامى، الإرهاب، ملف خاص من موقع الرابطة الإلكترونى. ص ص ٢-٣ www.themwl.org

[2] ويليام بلوم، الدولة المارقة، دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة فى العالم، ترجمة: كمال السيد، المشروع القومى للترجمة، العدد ٤٦٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢. ص٦٤

١٥- تعريف مكتب جمهورية ألمانيا الاتحادية لحماية الدستور١٩٨٥: كفاح موجه نحو أهداف سياسية يقصد تحقيقها بواسطة الهجوم على أرواح وممتلكات أشخاص آخرين، وخصوصاً بواسطة جرائم قاسية.

١٦- تعريف دائرة المعارف الروسية: سياسة التخويف المنهجى للخصوم بما فى ذلك استئصالهم مادياً.[1]

١٧- تعريف تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الصادر فى أكتوبر ٢٠٠١: العنف المتعمد ذو الدوافع السياسية والذى يرتكب ضد غير المقاتلين، وعادة بنية التأثير على الجمهور ... والإرهاب الدولى هو الإرهاب الذى يشترك فيه مواطنو أكثر من دولة واحدة أو يتم على أرض أكثر من دولة.[2]

وبالتأمل فى التعريفات السابقة يمكننا الخروج بالملاحظات التالية:

١. جميع التعريفات الغربية التى قدمت للإرهاب، سواء من خلال أفراد أو منظمات، تتسم بأنها فضفاضة، غير دقيقة، لا تفرق بين الأنواع المختلفة من الفعل العنيف، وتخلط بين الإرهاب والعنف السياسى، كما تخلط بين إرهاب الأفراد أو الجماعات وإرهاب الدول، كما تتجاهل فى أغلبها الدوافع المسببة للإرهاب، ولا تحدد بشكل دقيق أشكال الإرهاب المختلفة، وبالتالى فهى غير موضوعية.

٢. أغلب التعريفات الأمريكية للإرهاب تخلط، بشكل متعمد غالباً، بين الإرهاب والكفاح المسلح المشروع ضد الاحتلال الأجنبى، لأهداف تخص مصلحتها أولاً، ومصلحة الصهيونية العالمية ثانياً، حيث تصنف ضمن جرائم الإرهاب أعمالاً لا يمكن بأى حال أو معيار للشرعية الدولية إلا أن تكون مقاومة مسلحة مشروعة ضد الاحتلال.

---

[1] التعريفات من ١١-١٦: هانى السباعى، الإرهاب فى المنظومة الغربية، مقال منشور على موقع مجلة المختار الإسلامى www.islamselect.com

[2] د. طه عبد العليم، خطيئة التعريف الأمريكى للإرهاب، فى: مناقشة قانونية وتحليلية لتعريف الإرهاب، ملف خاص من موقع البلاغ. www.balagh.com

٣. " التعريف الرسمى للإرهاب من قبل المؤسسات الأمريكية لا يحدد أبداً نوعية مصادر الفعل الإرهابى أو فئة من قاموا بارتكابه. فهو لا يحدد أبداً إذا كان هذا من فعل فئة فردية أو جماعية، قومية أو دولية، من فعل دولة معينة أو خارجاً عن إطار الدولة ... وهذا التعريف فضفاض لدرجة أنه ينسحب على جميع الجرائم وعلى جميع الاغتيالات، ومن ثم فهو تعريف غير صارم. حيث إننا لم نعد نرى ما الفرق بين الجريمة الإرهابية والجريمة غير الإرهابية، ولا الفرق بين الإرهاب القومى والإرهاب الدولى، ولا الفرق بين فعل الحرب وفعل الإرهاب، ولا الفرق بين ما هو عسكرى وما هو مدنى."[1]

٤. تميل التعريفات العربية للإرهاب أكثر إلى الموضوعية – رغم قصور بعضها – حيث يتحرر واضعوها من التحيز الذى يدمغ التعريفات الغربية.

٥. يعتبر تعريف المجمع الفقهى الإسلامى بمكة المكرمة أشمل التعريفات؛ حيث يتسع ليشمل كل أشكال الإرهاب المادى والمعنوى، الفردى والجماعى والدولى، حيث يرد الإرهاب بالمفهوم الغربى الذى يشتمل على القتل والتدمير والترويع، إلى مفهومه الإسلامى وهو مفهوم (الحرابة) و (الإفساد فى الأرض)، ولكن يؤخذ عليه إغفاله للدوافع المختلفة للإرهاب، وعلى رأسها الدوافع السياسية، كما يلاحظ أنه لم يختلف كثيراً عن تعريف الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، بل يكاد يكون متطابقاً معها.

وهكذا نجد أن " كلمة الإرهاب اليوم أخذت فى لغتنا، بتأثير الأحداث والمتغيرات معنى (الرعب الدموى والعدوان المادى والمعنوى والمس بأبرياء والقيام بأعمال من شأنها التأثير سياسياً ونفسياً على الجهة المستهدفة لإرغامها على اتخاذ قرار أو تعديل قرار، أو أداء ما يريده صاحب الفعل الإرهابى من المستهدف بالفعل المنفذ من أغراض) ... كما أدى الاستخدام السياسى والإعلامى للكلمة إلى انحراف فى اتجاهين: اتجاه يبعدها عن مدلول الردع أو الزجر الشديد الذى تنطوى

---

(1) جاك دريدا، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١

عليه وتنم عنه وتنذر به. وآخر يعتمد على خلط مقصود – أو غيــر مقــصود – للمفاهيم والدلالات حيث يطلق كلمة الإرهاب بكــل دلالتهــا وإيحاءاتهــا الــسلبية والجرمية على أفعال مشروعة مثل مقاومة الاحتلال."[1]

وفى ظل هذه الظروف يصبح الإرهاب " ثوباً فضفاضاً تضعه قــوى معينــة على جسد غيرها وتوجه الاتهام لها فى ظل غيبة التعريف القانونى الدقيق واختلاط المفاهيم المرتبطة به، وهو أمر يدعو إلى القلق الحقيقى؛ فسوف يتحول ذلك الرداء الأحمر الذى يشبه (بدلة الإعدام) إلى ذريعة لتصفية من يريدون الخــلاص منــه، وتشويه من يرغبون فى إقصائهم."[2]

هذا ويميل الكاتب إلى الأخذ بتعريف محدد للإرهاب يتمثل فى أنه:

(استخدام العنف والعدوان – بأشكاله المادية وغير الماديــة – أو التهديــد باستخدامه، ضد الأرواح والأموال والممتلكات الخاصة أو العامة والموارد الوطنية أو الطبيعية، من قبل أفراد أو جماعات أو دول، للتأثير على أفراد أو جماعات أو دول وحكومات أخرى، وخلق مناخ من الاضطراب وفقدان الأمن وإشاعة الرعــب والخوف بين الناس، بهدف تحقيق أهداف سياســية أو اقتــصادية أو اجتماعيــة ترتبط بتوجهات القائمين بالفعل الإرهابى، وتتعارض مع مصالح المستهدفين بهذا الفعل).

---

[1] د. على عقلة عرسان، مفهوم الإرهاب ومفهوم المقاومة، مجلة الفكر السياسى، العدد ١٤/١٣ عدد مزدوج، ربيع وصيف ٢٠٠١. الموقع الإلكترونى للمجلة.

[2] د. مصطفى الفقى، العرب الأصل والصورة، دار الشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٢. ص٣٠٤

ثانياً: نشأة الإرهاب وتطوره:

الإرهاب – بمعنى استخدام العنف للترهيب – ظاهرة اجتماعية قديمة قدم المدنية ذاتها، عرفتها جميع الحضارات الإنسانية على مر العصور، ولكن بالعودة إلى تاريخ الإرهاب بدلالته المعاصرة التى سعت واشنطن والغرب من خلفها لتكريسها نجد أنه غير إسلامى، بل هو **سابق على ظهور الإسلام** ذاته. " فالمؤلفان الفرنسيان جيرارد تشالياند، وأرنود بلين، يذكران فى كتابهما (تاريخ الإرهاب من العصور القديمة إلى القاعدة) أن الفعل الإرهابى كعمل إجرامى جماعى، كان **أول من قام به هم اليهود** ضد سلطة الرومان، ممثلين بجماعة تسمى الأتقياء أو الورعاء، وهم جماعة أطلق عليهم الرومان أنفسهم اسم (المخنجرين) نظراً لأنهم كانوا يعتمدون الخنجر وحده فى اغتيال ممثلى السلطة الرومانية، وكذلك فى تصفية أبناء جلدتهم ممن كانوا يعتبرونهم كفاراً، أو مقصرين فى التقيد بحرفية الشريعة التوراتية. وعلى امتداد الألفية الأولى والثانية وبعد ظهور الإسلام، لم يعرف العالم حركات إرهابية تنتمى إلى العالم الإسلامى، وتتخذ من العنف المادى وسيلة للوصول إلى أهدافها، سوى حركة (الحشاشين) التى أسسها (الحسن الصباح) المنسوب إلى الطائفة الإسماعيلية النزارية، وهى حركة خارجة عن الإجماع الإسلامى. وفيما عدا ذلك – كما يرى المؤلفان الفرنسيان – فإن الإرهاب كعمل جماعى إجرامى هو ابن شرعى للحضارة الغربية فكراً وممارسة."[(1)]

ولا شك أن تعبير الإرهاب Terrorism هو من ابتداع **الثورة الفرنسية**، حيث كان أول استخدام سياسى له خلال الفترة القصيرة من ١٧٩٢ – ١٧٩٤ ، وهى الفترة التى استولى فيها اليعاقبة على السلطة وأجروا محاكماتهم الشهيرة لكل أنصار العهد الملكى، والتى أطاحت برقاب العديدين وبلغت ذروتها خلال فترة

---

(1) أحمد محمد إبراهيم، الإرهاب نشأ يهودياً والأمريكيون ألصقوه بالإسلام كعدو بديل، مقال منشور على موقع: www.lahaonlin.com

هيمنة روبسبير على لجنة الأمن العام الحاكمة، حيث أعلن سيادة حكم الإرهاب فى فرنسا وقاد حملة إعدام رهيبة شملت كل أنحاء فرنسا، حتى قدر عدد من أعـــدموا فى الأسابيع الستة الأخيرة من عهد الإرهاب بـــ ١٣٦٦ مواطناً فرنسياً من الجنسين فى باريس وحدها.[1]

ويؤكد عالم الاجتماع البريطانى أنتونى جيدنز أنه فى هذه الفترة " آلاف الناس – الارستقراطيون فى الأساس، ولكن بعد ذلك العديد من المـــواطنين العـــاديين – طوردوا من أصحاب السلطة ووضعوا على المقصلة. والإرهاب – بمعنى استخدام العنف للترهيب – استخدم بواسطة الحكومات بشكل واسع منذ هذا الوقت."[2]

وإذا كان الإرهاب قديماً وملازماً للبشرية منذ بدء التاريخ، فإن الأمر الـــذى جعل له تلك الأهمية القصوى فى زماننا الحاضر هو **التقدم الهائـــل فـــى وســـائل الإعلام** أو ما يسمى بثورة الاتصالات. " فنوعية وكثافة المشاعر التى قـــد يـــسببها الفعل الإرهابى لا تتناسب مع عدد الضحايا أو فداحة الخسائر. ففى إطار ظـــروف معينة أو فى إطار ثقافة معينة وفى غياب رنين إعلامى قادر على أن يحول حدث قتل آلاف الأشخاص فى زمن وجيز إلى حدث استعراضى. يمكن لهذا الحـــدث أن يخلق آثاراً نفسية وسياسية أقل وطأة من تلك الآثار التى قد يسببها اغتيال شـــخص واحد فى بلد معين وفى إطار ثقافة معينة أو فى إطار دولة قومية معينـــة معـــززة بجهاز إعلامى فائق القوة."[3]

وهكذا، وفى ظل الثورة الاتصالية التى نعيشها أخذ الإرهاب وضـــعاً مميـــزاً وشكلاً متميزاً فى عصرنا الحاضر، وأصبح الإرهابيون يدركون تماماً أهمية ودور وسائل الإعلام الجماهيرى، فهى الطريق الذى لا غنى عنه لحمل رسالتهم، وعملية

[1] د. أحمد جلال عز الدين، مرجع سابق، ص٨٩. و د. يونان لبيب رزق، شئون وشجون تاريخية، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥. ص ص ١٥٧ – ١٥٨

[2] Giddens, Anthony, Op.Cit, P.362

[3] جاك دريدا، مرجع سابق، ص٩١

نقل الرسالة هذه كما يمليها الإرهابيون، هى هدف لا يقل أهمية فى نظـرهم عـن انجاز ونجاح العملية التى يرغبون فى إذاعتها.

وهكذا أيضاً، نجد أن : الدلالة السائدة التى نسحبها اليوم على كلمة الإرهـاب فى جميع معانيها، إنما توضع حيز التنفيذ فى الخطاب المهيمن على المجال العـام أساساً عن طريق النفوذ التقنى – الاقتصادى للإعلام."[1]

إضافة إلى كل ذلك فإن " عصرنا هو عصر العالمية المتزايدة، ولكنه أيـضاً عصر التفتيت المتزايد، وهاتان القوتان تساعدان على انتشار الإرهاب، فالتفتيـت يعصف بالتضامن الاجتماعى، ويدفع الجماعات المتطرفة إلى تعميـق معارضـتها للمدنية، كما أن العالمية تؤثر فى قدرة الحكومات على حفظ النظام، واتساع نطـاق ثورة الاتصالات، والتطور التكنولوجى المذهل وخصخـصة الاقتـصاد العـالمى، وزوال الحدود بين الدول، كل هذه التطورات ساهمت فى توفير المنـاخ المـواتى للقيام بأعمال إرهابية، نتيجة لذلك كله أصبح الإرهاب خطـراً عالميـاً ... وقـد تصاعدت الأنشطة الإرهابية لأن الإرهاب قد تواءم بنجاح مع العالمية، فى حين أن الجهود الرامية لمكافحة الإرهاب لا تزال جهوداً إقليمية ووطنية، ولم تتبلور بعـد بالشكل الكافى على المستوى الدولى."[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ٩٢

[2] د. بطرس بطرس غالى، الأمم المتحدة ومواجهة الإرهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير ١٩٩٧. الموقع الإلكترونى

ثالثاً: أشكال الإرهاب:

للإرهاب أشكال متعددة وأنماط مختلفة، وفى هذا الإطار " يميز ثورنتون بين مقولتين عريضتين فى استخدام الترهيب، الأولى هى **الترهيب التنفيذى** الذى يستخدمه مالكو السلطة الراغبون فى تصفية التحديات لسلطتهم، والثانية هى **الترهيب التحريضى** والذى يصف النشاطات الإرهابية لأولئك الراغبين فى تقويض النظام القائم وامتلاك السلطة لأنفسهم. وتحليله بذلك يلبى متطلبات التطبيق المتكافئ لمفهوم الإرهاب بالنسبة إلى نشاطات المتمردين والحاكمين على حد سواء. تمييز مماثل يلاحظه (ماى) الذى يقسم الإرهاب إلى نوعين: **نظام الترهيب وحصار الترهيب**، الأول يشير إلى إرهاب موضوع فى خدمة النظام القائم، والثانى يشير إلى إرهاب موضوع فى خدمة الحركات الثورية."[1]

أما ولكنسون فيميز بين اربعة أنماط من الإرهاب: جنائى، ونفسى، وحربى، وسياسى. "**الإرهاب الجنائى** يعرف بأنه استخدام الترهيب لأغراض الكسب المادى، **والإرهاب النفسى** ينطوى على أغراض صوفية ودينية وسحرية. **والإرهاب الحربى** يسعى إلى شل العدو واستنزاف مقاومته واختزال قدرته على القتال على أن يكون تدميره هو الهدف الختامى. وتمييز ولكنسون الأساسى بين الإرهاب المدنى والإرهاب العسكرى يقوم على أن الأول يهدف عموماً إلى الإبادة والثانى إلى السيطرة. أما **الإرهاب السياسى** فيعرف عموماً بأنه الاستخدام المنهجى للعنف أو التهديد به لضمان تحقيق أهداف سياسية."[2]

وبشكل عام يمكننا رصد الأشكال التالية للإرهاب:[3]

---

(1) غرانت وردلو، مرجع سابق، ص١٥

(2) المرجع السابق، ص ص ١٧-١٨

(3) د. سامى الشيخ، الإرهاب وأشكاله، فى: مناقشة قانونية وتحليلية لتعريف الإرهاب، ملف خاص منشور بموقع: www.balagh.com

١- **الإرهاب المسلح (الجنائى):** وهو استخدام العنف المسلح بواسطة حكومات أو جماعات أو أفراد بهدف إلحاق الأذى بالإنسان وبالممتلكات وبالمرافق والمنشآت الخدمية والاقتصادية العامة والخاصة. وغالباً ما يذهب ضحيته أناس أبرياء. وهو قد يكون **خارجياً:** كالاحتلال العسكرى والأعمال العدوانية الحربية على الشعوب والدول الآمنة. أو **داخلياً:** تمارسه الحكومات وأجهزتها الأمنية الداخلية مثل عمليات الإبادة والتطهير العرقى ..الخ. وما يميز الأعمال الإرهابية المسلحة بنوعيها أنها من طبيعة اجرامية جنائية، مهما حاول مرتكبوها إسباغ المشروعية عليها.

٢- **الإرهاب السياسى:** وهو نوعان، إما **خارجى:** يتمثل فيما تمارسه دولة أو مجموعة دول بحق دولة أو جماعة أو أفراد من ضغوط سياسية بهدف حملهم على تغيير سياساتهم ومواقفهم لمصلحة الدولة أو مجموعة الدول الأقوى. وإما **داخلى:** يتمثل فى النظم الديكتاتورية الفاشية التى تمنع المشاركة السياسية وتمارس القهر والسيطرة على مواطنيها، ويتعاظم هذا النوع فى البلدان الخاضعة لسيطرة المؤسسة العسكرية.

٣- **الإرهاب الاقتصادى:** وهو إما **خارجى:** يتمثل فيما تمارسه القوى الدولية الفاعلة سواء كانت دولاً أو منظمات أو شركات من ضغوط على الدول والحكومات والجماعات والأفراد، بهدف إجبارهم على القبول بسياساتها المختلفة. وهو ليس معزولاً عن الأهداف السياسية للجهات التى تقف وراءه. ومن أمثلته: فرض العقوبات والاستيلاء على الثروة ومصادرها الخارجية. وإما **داخلى:** يتمثل فيما تمارسه القوى الداخلية والأنساق السياسية والاقتصادية المحلية من ضغوط وتهديدات وما تفرضه من قيود اقتصادية تحد من فاعلية النشاط الاستثمارى لأطراف معينة.

٤- **الإرهاب الفكرى:** ومن أهم أسبابه: غياب الحرية والديمقراطية والوعى وانتشار الظلم والاستبداد، وتنتشر هذه الظاهرة أكثر فى المجتمعات التقليدية المنغلقة ذات الثقافة الأحادية، ولكنها أيضاً موجودة فى المجتمعات

المتطورة والمنفتحة، مثل: الحملات الدعائية التى تعرض لها المفكر الفرنسى روجيه جارودى والنائب البريطانى جورج جالوى وغيرهم، وذلك بتهديد الأمن الشخصى لكل واحد منهم وتقديمهم للمحاكم القضائية فى بلادهم بدعم من القوى السياسية والإعلامية الصهيونية.

٥- **الإرهاب المجتمعى:** وهو تهديد مجتمعى للأفراد الخارجين عن سلطة مجتمعهم، بآرائهم وسلوكياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، وهو خاصية أساسية فى المجتمعات التقليدية المتخلفة.

٦- **الإرهاب النفسى:** جميع أشكال الإرهاب العسكرى والاقتصادى والسياسى والمجتمعى والفكرى تترك بصماتها على النفس، وتفضى إلى حالة من الخوف والهلع والشعور بالقلق وانعدام الأمن والاستقرار، ولذلك لا تقل الآثار النفسية للإرهاب فداحة عن آثاره المادية.

والإرهاب الذى يهتم كتابنا بمعالجته هو **الإرهاب الدولى المسلح** الذى يمكن اعتباره أحد صور العنف السياسى التى تقع بديلاً للحروب التقليدية. " حيث يمكن للقوى الصغيرة التى تملك الرادع الأصغر أن تتصدى للقوى ذات الرادع الأكبر، بل ثبت أن القوى الصغيرة يمكنها أن تحدث فى القوى الكبيرة خسائر كبيرة. ففى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تمكنت جماعة مدنية قليلة العدد تستخدم معدات مدنية أن تحدث خسائر ضخمة فى القوة العظمى، وثبت ايضاً أن القوات المحدودة عدداً وتسليحاً يمكنها أن تغير الأهداف السياسية للقوة العظمى أثناء القتال بما تملكه من قدرة على التصدى وتوقيع العقاب، كما يحدث الآن فى العراق ضد القوات الأمريكية، وفى فلسطين ضد القوات الإسرائيلية، بتفعيل معادلة المقاومة العنيدة فى مواجهة العدوان، ومبدأ التدمير المتبادل والردع المتبادل، ومواجهة توازن الرعب فى تحديه لتوازن القوى."[1]

---

[1] أمين هويدى، إدارة الأزمات فى عصر الهيمنة الأمريكية، جريدة الأهرام المصرية، عدد الثلاثاء ٢٠٠٦/٥/٢٣.

ويوضح خبير الإرهاب الدولى بريان جنكنز – المستشار الأول لرئيس مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث التى تعد العقل الاستراتيجى الأمريكى- **الأسباب التى جعلت الإرهاب الدولى وسيلة صالحة للاستخدام كبديل للحروب التقليدية فى العصر الحاضر** فيما يلى:[1]

١- أن التقدم العصرى قد أتاح للإرهاب قدرات جديدة، وأهدافاً جديدة أيضاً لمهاجمتها، مما مكن الجماعات التى تفتقر إلى أى وسيلة من وسائل القوة أن تستعين به فى كفاحها.

٢- الانتشار الهائل لوسائل الإعلام، مما أعطى للإرهاب مزية خطيرة، وهى تشجيع اللجوء إلى الإرهاب كوسيلة من وسائل الدعاية، حيث يصبح العالم كله مسرحاً للعملية الإرهابية حيث يقع تأثيرها على كل من يشاهدها عن طريق وسائل الإعلام فى كل بقاع العالم.

٣- ازدياد استخدام التكنولوجيا الحديثة، مما خلق أنواعاً كثيرة من الأهداف التى يمكن فى حالة ضربها أن تحدث تأثيراً فى مسار الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمعات.

٤- أن الحرب التقليدية فى العصر الحديث أصبحت أمراً غير عملى لأنها بالغة التدمير وباهظة النفقات، كما أن الأوضاع العالمية الحالية جعلت من الحرب التقليدية أمراً مدمراً للاقتصاد الوطنى باهظ التكاليف.

ولهذه الأسباب يرى جنكنز أن بديل الحروب التقليدية هو (الحرب الأدنى مستوى وطويلة الأمد) والتى تؤدى إلى استنزاف النمط العسكرى، وتكون فيها قوة الصمود أهم من قوة السلاح.

---

[1] د. أحمد جلال عز الدين، مرجع سابق، ص ص ١٤٢-١٤٥

رابعاً: أسباب الإرهاب ودوافعه:

يعد الإرهاب من الظواهر الاجتماعية التى تنشأ وتنمو وتتطور فى ظل عوامل نفسية واجتماعية خاصة، وتحت ظروف سياسية وثقافية معينة، وتشترك جميع هذه العوامل والظروف بشكل أو آخر فى انتاج ظاهرة الإرهاب فى الواقع الاجتماعى. ومن ثم، فإن أية معالجة جادة لهذه الظاهرة تتطلب معرفة دقيقة لهذه العوامل والظروف التى تساعد على وجودها.

" وقد حددت **اللجنة الخاصة للإرهاب الدولى التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة** فى ١٩٧٩/١١/٢٩ أسباباً سياسية واقتصادية واجتماعية للإرهاب تتلخص فى: سيطرة دولة على دولة أخرى، واستخدام القوة ضد الدول الضعيفة، وممارسة القمع والعنف والتهجير، وعدم التوازن فى النظام الاقتصادى العالمى، والاستغلال الأجنبى للموارد الطبيعية للدول النامية، وانتهاك حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالتعذيب أو السجن أو الانتقام، والجوع والحرمان والبؤس والجهل، وتجاهل معاناة شعب ما يتعرض للاضطهاد، وتدمير البيئة."[1]

ويرى المفكر المصرى **الدكتور مصطفى الفقى** أن الأوضاع الاقتصادية وتدنى مستويات المعيشة وتدهور نوعية الحياة تقف خلف أسباب العنف والصدام وينسحب ذلك بدرجة كبيرة على الإرهاب، فأغلب المنخرطين فى العمليات الإرهابية من أبناء الطبقات الفقيرة، كما أن الظروف الدولية والمشكلات الإقليمية القائمة تعد من أهم مسببات الإرهاب، وأيضاً الفهم الخاص للعقيدة لدى فئة معينة، وأخيراً المسافة الشاسعة بين ما تؤمن به الشعوب وما تمارسه الدول والحكومات مما أدى إلى ظهور فجوة كبيرة تجعلنا ندرك أن الإرهاب ابن شرعى للفقر المختلط بالظلم.[2]

---

[1] د. محمد الهوارى، الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. ص ص١٤-١٥ www.alminbar.al-islam.com

[2] د. مصطفى الفقى، العرب الأصل والصورة، مرجع سابق، ص ص ٢٩١-٢٩٣

ويؤكد الكاتب الصحفى المصرى **صلاح الدين حافظ** أن هناك علاقة عضوية واضحة بين الإرهاب والإرهابيين ونزوعهم للعنف المنفلت في أكثر من مكان، وبين القهر السياسي والظلم الاجتماعي، سواء وقع في دولة من دول العالم الثالث مثل بلادنا، أو وقع في واحدة من أكثر دول الحضارة الإنسانية تقدماً ورقياً وحرية مثل فرنسا، ومن قبلها اسبانيا وبريطانيا بل والولايات المتحدة الأمريكية.. فالقهر السياسي والظلم الاجتماعي يولدان هذا الإرهاب ويشجعانه، بصرف النظر عن المكان والزمان، وقد آن الأوان، لكي نراجع جميعاً، حكومات وشعوباً، في الشرق المستبد وفي الغرب الديمقراطي !! مقولة أن الإرهاب هو نتيجة لانحراف فكري أو ديني فقط، ثم نقاومه علي هذا الأساس بإجراءات أمنية أو غزوات عسكرية، ونتجاهل أن العامل الأساسي يكمن في القهر السياسي والظلم الاجتماعي اللذين إن اجتمعا دفعا إلي الانحراف الفكري والديني أيضا.[1]

فى حين يرى أستاذ التاريخ المصرى **الدكتور يونان لبيب رزق** أن الإرهاب هو الابن الشرعى للعنصرية، ويدلل على ذلك بما ارتكبته سياسات التفرقة العنصرية بين البيض والسود فى أمريكا، وسياسات الأبرتيد فى جنوب أفريقيا، وما قامت به حكومة النازى فى ألمانيا استناداً إلى فكرة تفوق الجنس الآرى، وما تقوم به إسرائيل فى فلسطين استناداً إلى فكرة شعب الله المختار.[2]

ويحدد **بهى الدين حسين** – مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان – أهم أسباب الإرهاب فى: تهميش دول الشمال لدول الجنوب، الإهمال المتزايد للدول الفقيرة والمتخلفة، قصر نظر دول الشمال فيما يتعلق بالتركيز علي العوامل الاقتصادية في تحديد شكل العالم علي حساب العوامل السياسية، الاتساع المستمر للهوه بين القوه وسيادة القانون الدولي، وحرص بعض دول الشمال علي استغلال

---

[1] صلاح الدين حافظ، اندلاع الإرهاب بين القهر السياسى والظلم الاجتماعى، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٥/١١/١٦.

[2] د. يونان لبيب رزق، مرجع سابق، ص ص ١٥٩–١٦٢

هذه الفجوة في تعزيز مصالحها في جميع أنحاء العالم التناقض الحاد في السياسة الخارجية لدول الشمال، وخاصة فيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين، وبصورة خاصة الدعم المفتوح الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل، دعم بعض الأنظمة الفاسدة والمستبدة سعياً إلي المصالح الذاتية والربح والنفوذ الجيوسياسي، تقويض حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الجنوب.[1]

أما فيلسوف التفكيك **جاك دريدا** فيرى أن الإرهاب هو " فشل أخلاقى فى مواجهة النسبية والاختلاف. فمثلما يريد حكم الحزب الواحد استئصال الاختلاف والفردية، فالإرهاب رفض للحوار العالمى وإعادة تأكيد للفردية."[2]

" أما فى العصور الحديثة، فإن الإرهاب الحالى نشأ من سبب يكاد أن يكون وحيداً، أو سبباً رئيسياً فى نشأته، ألا وهو **الاستعمار الغربى** بأشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، عبر ثلاثة قرون من النهب والقهر والاستعباد والترويع لشعوب العالم الثالث عامة وللبلدان العربية والإسلامية خاصة. وخلق **كيان صهيونى يشكل النموذج الأمثل للإرهاب** فى الترويع والقتل والتدمير لكل أشكال الحياة، وسرقة الأرض وطرد أصحابها الأصليين، وغيرها من الممارسات الإرهابية التى تعتبر من أبشع أشكال وصور الإرهاب."[3]

و " فى كتابه الصادر أوائل عام ٢٠٠٣ بعنوان (القوة والإرهاب) يؤكد الباحث السياسى **نعوم تشومسكى** مرات ومرات أننا لا نستطيع أن نعالج قضايا الإرهاب التى يرتكبها الضعفاء ضد الأقوياء، إذا لم نواجه ما يتم تجاهله من العنف

---

[1] بهى الدين حسين، واقع الحرب ضد الإرهاب قبل وبعد ١١ سبتمبر، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٢/٩/١١.

[2] Teschner,George,Globaization,Universalization, and the Origine of Terrorism, http://h06.cgpublisher.com

[3] زبير سلطان، الإرهاب صناعة غربية أمريكية صهيونية، بحث مقدم إلى الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات بعنوان (العرب والعالم اليوم)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٦-١٧ /١٢/ ٢٠٠٣. ص١

الرهيب بمختلف صوره لما يمارسه الأقوياء على الضعفاء. ومن ثم فإن المبادرة بالإرهاب تنطلق من حائزى القوة، وأن الطرف الضعيف يمثل فى محاولاته رد فعل وإرهاباً مضاداً."[1]

ويرى تشومسكى من خلال استعراضه التاريخى أن الولايات المتحدة الأمريكية هى المصدر الأول للإرهاب، وأن ما تقوم به الدول أو الجماعات الأخرى إنما هو مواجهة لإرهاب القوى وقهر الضعيف واستغلاله، أو فيما يطلق عليه بأنه حرب عادلة. فلا ينبغى أن تُسأل الدول الفقيرة والجماعات المقهورة عما ترتكبه من جرائم الإرهاب، قبل أن تُسأل الدول القوية عما تمارسه من إرهاب أشد وأعنف على الدول الفقيرة والجماعات المضطهدة. [2]

وهو نفس ما يؤكده الباحث الأمريكى **ويليام بلوم** حيث يؤكد " أن معظم الإرهابيين هم أناس يقلقهم بصورة عميقة ما يعتبرونه ظلماً اجتماعياً أو سياسياً أو دينياً، وتتمثل المبررات المباشرة لإرهابهم عادة فى الانتقام من عمل قامت به الولايات المتحدة."[3]

ويذكر الدكتور عبد الرازق الشايجى فى جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢ " أن عدداً من مواليد الأرجنتين وبنما وكوبا قد تم تسميتهم بأسامة بن لادن. ويعتبر الكاتب أن هذه التسمية أصبحت ظاهرة من ظواهر الكره عند العديد من شعوب العالم ضد أمريكا؛ فهى التى: أسقطت قنابل على ٢٢ بلداً، وتدخلت فى أكثر من ١٠٠ دولة، ودخل جيشها دولاً أكثر من ٢١١ مرة، واغتالت ١٢ زعيم دولة، وساعدت أو نفذت أكثر من ٢٠ انقلاباً فى دول متعددة."[4]

---

[1] د. حامد عمار، الحادى عشر من سبتمبر وتداعياته التربوية والثقافية فى الوطن العربى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤. ص ٢٩

[2] المرجع السابق، ص ص٣٣-٣٤

[3] ويليام بلوم، مرجع سابق، ص٩

[4] عبد الرحمن عمار، مرجع سابق، ص٤٤

" فجميع من قاموا بتنفيذ هذه العملية – عملية ١١ سبتمبر – وجميع من حاولوا تبريرها فى العالم، قاموا بذلك لأنهم اعتبروها بمثابة رد على إرهاب الدولة الذى تمارسه الولايات المتحدة وحلفاؤها."[1]

وهكذا " ففى ضوء عدوانية السياسة الأمريكية وطابعها التدميرى المستمر، يتعين توقع الانتقام، فى وقت أو آخر، وفى مكان ما."[2]

خامساً: موقف الإسلام من الإرهاب:

يؤكد المفكر المصرى **الدكتور جلال أمين** – أستاذ الاقتصاد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة – أنه " مهما كانت الكذبة كبيرة، فيكفى أن تكررها عدداً من المرات، وبإلحاح وصوت مرتفع، حتى يصدقك عدد كبير من الناس."[3]

هذا القول ينطبق تماماً على محاولات الغرب المستميتة بقيادة الولايات المتحدة الربط بين العرب والمسلمين وبين الإرهاب. والحقيقة هى " أن العرب والمسلمين يتعرضون اليوم، فى عصر العولمة وإسرائيل، لحملة من التشهير والتحقير لا أظن أنهما قد تعرضا لمثلها فى تاريخهم الطويل."[4]

وكلمة الإرهاب لها فى الثقافة العربية الإسلامية معناها اللغوى ودلالتها الشرعية؛ إذ هى – كما أسلفنا – مصدر للفعل الرباعى أرهب يرهب إرهاباً بمعنى أخاف يخيف إخافة، وجذرها فى الفعل الثلاثى رهب بمعنى خاف، **ودلالة الفعل هنا دلالة معنوية، لا تتجاوز إلى الفعل المادى**، بمعنى أن التخويف لا يعنى الضرب أو القتل، بل إظهار وسائل ودلائل الحزم والقوة لردع الآخر (العدو) وإخافته وإرهابه.

---

[1] جاك دريدا، مرجع سابق، ص٨٩

[2] ويليام بلوم، مرجع سابق، ص٢٢

[3] د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، دار الشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤. ص٢٦

[4] المرجع السابق، ص١٩

وتظهر هذه الدلالة واضحة فى الآية الكريمة التى ورد فيها لفظ (ترهبون) فى قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) الأنفال:٦٠. فالأمر بالإعداد هنا دعوة لرفع درجة الاستعداد الدائمة، وإبراز مظاهر القوة عياناً للعدو الظاهر المبارز بالعداوة، والعدو الخفى المتمثل فى الطابور الخامس من العملاء والمنافقين والمتربصين.

" وهنا نجد أن مفهوم الإرهاب فى الآية الكريمة **مفهوم وقائى،** يقوم على ردع العدو عن الإتيان بأفعال العدوان المادية، ودفعه للتفكير أكثر من مرة قبل الإقدام على ذلك، مما يضمن حالة من الاستقرار والسلام. وهذا المفهوم للإرهاب، أى الردع، أمر مشروع تمارسه القوى الدولية بلا حرج، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية."[1]

" وقد أصبح اسم الإرهاب يستعمل للدلالة على مفهوم جديد يقابل دلالة اسم Terrorism الذى يعنى السلوك المضاد لما وصفنا، لكونه ليس مجرد وعيد بل هو تصرف نسقى يستند إلى العدوان الفعلى، فهو ليس قوة ردع فحسب بل هو تركيع لإرادة الغير بالقوة المتوحشة خارج التحديدات القانونية والقوة العامة التى تعضدها أعنى بغير القوة الشرعية. إنه إذن ضرب من الخروج عن القانون فى استعمال القوة من أجل غايات غير شرعية. لذلك فحكمه الشرعى هو حكم الحرابة* داخلياً، وحكم الغزو الأجنبى خارجياً."[2]

---

[1] أحمد محمد إبراهيم، مرجع سابق.

* **حكم الحرابة** هو الوارد فى قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة:٣٣

[2] د. أبو يعرب المرزوقى، البديل الإسلامى للإرهاب العولمى، مقال منشور على موقع: www.balagh.com

وهكذا نجد أن مصطلح الإرهاب جاء فى القرآن الكريم فى دلالات مختلفة لا صلة لها البتة بالمفهوم الغربى له، إنه نوع من المقاومة القبلية أو الدفاع عن النفس والدين عن طريق الوقاية من الاضطرار إلى الرد على العنف بالعنف المضاد.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح الإرهاب بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع، والبعض الآخر يدل على الرهبنة والتعبد.

وهكذا وردت مشتقات مادة (رهب) سبع مرات فى مواضع مختلفة من الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفزع، مثل: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) البقرة:٤٠ – (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) الأعراف:١١٦ – (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) الأنفال:٦٠ – (وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) النحل:٥١ – (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الأنبياء:٩٠ – (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) الحشر:١٣. ووردت مشتقات نفس المادة خمس مرات فى مواضع مختلفة لتدل على الرهبنة والتعبد، مثل: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) الحديد:٢٧ – (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) التوبة:٣١.

بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيراً فى الحديث النبوى، ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) فى بعض الأحاديث النبوية منها حديث الدعاء (وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك). ومما يلاحظ ايضاً أن القرآن الكريم والحديث النبوى قد

اشتملا على بعض المفاهيم التى تتضمن معانى ودلالات الإرهاب والعنف بمعنى استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف معينة، ومن هذه المفاهيم: القتل والبغى والحرابة والعدوان ..الخ.[1]

ولا يخفى على عارف بحقيقة الإسلام وعظيم شمائله براءته من وصمة الإرهاب؛ فالإسلام هو السلام، وقد قال الله تعالى مرادفاً بين الإسلام والسلام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) البقرة:٢٠٨. أى أدخلوا فى الإسلام الذى هو السلم. وفى مقابل ذلك حرم الإسلام وجرم كل مظاهر الإرهاب وأنواعه، واعتبرها فساداً وإفساداً فى الأرض.

وحتى الحروب التى خاضها الإسلام، لم تكن إلا ضرورة فرضتها ظروف خاصة، كدفع الظلم أو رد الاعتداء أو الدفاع عن العقيدة. و" مما يدل على أن حرب الإسلام لم تكن تعطشاً للدماء ولا حباً للانتقام، التوجيه بعدم التعرض لغير الحاملين للسلاح من الرهبان والنساء والصبيان، والتوصية بالرحمة البالغة فى الحرب، فهى كالعملية الجراحية ضرورة تقدر بقدرها، والتوصية بقبول الصلح إن عرضه الأعداء، وكذلك التوصية بعدم تخريب العمران لغير ضرورة الحرب، والإحسان إلى الأسرى، وغير ذلك من آداب الحرب العظيمة التى فصلها العلماء." [2]

فالإرهاب محرّم فى الإسلام لأنه يشتمل على عدة أنواع من المحرمات التى حرمتها الشريعة الإسلامية والتى من أهمها:[3]

أولاً: الإفساد فى الأرض فى كل ما يقلق حياة الإنسان واستقراره من تهديد.

ثانياً: هتك حرمة النفس البشرية التى صانها الإسلام، فالجناية على إنسان واحد هى جناية على الجنس البشرى بأكمله، قال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى

---

[1] د. حسن عزوزى، مرجع سابق، ص ص ١٥-١٧

[2] عطيه صقر، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٤٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٦. ص ٩٣

[3] رابطة العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ٩-١٢

بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) المائدة:٣٢.

ثالثاً: ترويع الآمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً).

رابعاً: الإرهاب نقيض الرحمة، والإسلام دين الرحمة؛ حيث جعل الله عز وجل غاية إرساله للنبى صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء:١٠٧، كما وصف كتابه القرآن الكريم بالرحمة فقال: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأعراف:٥٢، كما كانت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للمقاتلين فى الغزوات الإسلامية هى: (انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضمنوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين).

وهكذا يتضح بجلاء براءة الإسلام وشريعته السمحة من تهمة الإرهاب التى يحاول الغرب وأمريكا إلصاقها به " أما ربط الحرب على الإرهاب بالحركات الإسلامية بالذات، فيظهر فقط أهمية النفط واللوبى الصهيونى والجغرافيا السياسية للوطن العربى والعالم الإسلامى فى استراتيجية النخب الأمريكية الحاكمة والشركات متعدية الحدود للهيمنة على العالم. ولكن لو دققنا قليلاً سنجد أن **ربط الإسلام بالإرهاب لا أساس له من الصحة إلا بقدر ما تعبر الحركات الإسلامية عن موقف رافض للهيمنة الإمبريالية.**"[1]

[1] د. إبراهيم علوش، ماذا تعنى الحرب على الإرهاب؟، دراسة نشرت فى الملحق الأسبوعى لجريدة (العرب اليوم) الأردنية فى ٨/٢٩ و ٢٠٠٥/٩/٥. موقع مفكرة الإسلام.

سادساً: لماذا يلصق الغرب الإرهاب بالإسلام ؟

" لقد أصبحت هناك مزاوجة تلقائية وعفوية تقرن الإسلام بالإرهاب، وتصف المسلمين بالإرهابيين، والمفارقة الغريبة فى تعامل الإعلام الغربى مع موضوع الإرهاب أنه إذا تم الاشتباه فى قيام عرب أو مسلمين بأعمال عنف، فإنهم إرهابيون مسلمون، فيقرن إرهابهم بإسلامهم، وذلك بصورة تلقائية، لكن عندما تكون هناك أعمال عنف يرتكبها غربيون فى أيرلندا – الباسك وغيرها فإن إرهاب هؤلاء لا يقترن بأديانهم ... إن **العنصرية الغربية** تطال حتى ميدان الإرهاب، **فليس مفهوماً أن يكون المسلم وحده من دون كل البشر هو الذى تذكر هويته الدينية وليس القومية إذا قام بعمل عنف، فالصرب** ارتكبوا كل ما لا يخطر على البال من مذابح وجرائم ضد الإنسانية ولم ينعتهم أحد بالإرهابيين الأرثوذكس، وبعد الذى فعله **الروس** فى الشيشان لم يقل أحد بأن تلك الجرائم اقترفها أرثوذكس، كما أن أحداً لم يذكر طيلة نصف قرن من الزمن أن **النازيين** بأفعالهم وجرائمهم كانوا بروتستنتاً، ولا أن **الفاشيين** فى إيطاليا كانوا كاثوليكاً."[1]

" إن الحرب العالمية ضد الإرهاب الدائرة حالياً والدعاية التى تصاحبها، يمكن أن تحملا على الاعتقاد أنه لا يوجد إرهاب إلا الإرهاب الإسلامى، ومن الجلى أن هذا زور. ففى نفس اللحظة التى تدور فيها هذه الحرب العالمية الجديدة، تعمل إرهابات أخرى، فى كل مكان تقريباً، فى العالم غير الإسلامى، إرهاب منظمة إيتا ETA فى أسبانيا، إرهاب القوات الثورية المسلحة FARC والمنظمات شبه العسكرية فى كولومبيا، إرهاب نمور التاميل فى سريلانكا، إرهاب الجيش الجمهورى الأيرلندى فى أيرلندا الشمالية ...الخ." [2]

---

[1] د. حسن عزوزى، مرجع سابق، ص ص ٥٦–٥٧

[2] ابنياسيو رامونيه، حروب القرن الحادى والعشرين .. مخاوف وأخطار جديدة، ترجمة: خليل كلفت، دار العالم الثالث، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٦. ص٤٩

إذاً فهى العنصرية الغربية التى تربط الإرهاب بالإسلام وهو منه براء، فبعد "فناء الاتحاد السوفيتى سمح للغرب بملء الفراغ الأيديولوجى السياسى الذى تركه هذا الحدث بخيال العالمية الإسلامية. وهكذا، جاءت الأصولية الإسلامية للسيطرة على متلازمة (هم ضد نحن) التى تخللت الروح الاستراتيجية الغربية منذ تجربة الحرب الباردة والاستقطاب الثنائى. نظرية هنتنجتون العاطفية (صراع الحضارات) أضافت القوة الثقافية لهذه العقلية، و ٩/١١ قدمت الدليل النهائى لهذه النظرية ... فهناك إطار سياسى كلى الآن أصبح يتقبل أن الإسلام حل محل الشيوعية كتهديد رئيسى للحضارة الغربية."[1]

ولكن، لماذا تحتاج أمريكا إلى خلق عدو جديد بعد زوال الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفيتى؟ ولماذا الإسلام تحديداً؟، الإجابة ببساطة تتحدد فى كلمتين اثنتين فقط (**المصلحة والعقيدة**)!!

فنحن يمكننا فهم سعى الولايات المتحدة التى يهيمن عليها تحالف شركات السلاح وشركات البترول والمؤسسة العسكرية، أو ما يعرف بالمجمع العسكرى الصناعى البترولى، إلى إيجاد عدو بديل بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، حتى تستمر موازنات التسلح الضخمة والاستثنائية، والتى لم يعد لها ما يبررها بعد سقوط العدو الشيوعى، أو الخطر الأحمر كما كانوا يسمونه، وقد كان البديل جاهزاً فى نظر صقور الإدارة الأمريكية وهو الإرهاب الإسلامى، فهو عدو تحدث عنه الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون فى كتابه الذى صدر فى الثمانينيات من القرن الماضى بعنوان (نصر بلا حرب ١٩٩٩م) وهو الكتاب الذى بشر فيه بسقوط الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٩، إلا أنه سقط قبل ذلك بعشر سنوات، كما حذر فيه من الإسلام، أو **الخطر الأخضر** كما أسماه، وهكذا اصبح الإسلام الحليف التقليدى للولايات المتحدة فى حربها ضد الشيوعية بالأمس، عدواً بديلاً تجب مواجهته اليوم.

---

(1) Mazari, Shireen M., Terrorism: A Consequence of Globalization, http:// www.issi.org.pk/journal

ويؤكد هذه الفكرة إدواردو غالينو قائلاً: " ليس المتشددون المتدينون هم وحدهم الذين يحتاجون إلى أعداء من أجل تسويغ جنونهم. صناعة الأسلحة وآلة الحرب الأمريكية تحتاج بدورها إلى أعداء لتبرير وجودها."[1]

"فالنظام الجديد القائم على انتشار نشاط الشركات متعددة الجنسيات، وعلى عولمة الإنتاج وتقسيم العمل والتسويق ووسائل الاتصال ونقل المعلومات والأفكار، كان لابد أن يتطلب إعادة ترتيب العلاقات الدولية بما يتفق مع الأهداف الجديدة للنظام ووسائله. فهناك مناطق ودول كانت أبوابها مغلقة أمام هذه الشركات ولابد الآن من فتحها. وهناك الكثير من الحواجز الجمركية والسياسية والثقافية التى لابد من إزالتها أو إضعافها. وتعدد مراكز النمو السريع فى العالم جعل الحاجة إلى مصادر جديدة لبعض المواد الأولية الأساسية ومن أهمها النفط أكثر إلحاحاً ... والعالم العربى يثير نوعاً آخر من الاحتياجات الجديدة لا يثور مثله فى أى منطقة أخرى من العالم، ويرجع ذلك إلى سببين، يتعلق أحدهما بالنفط والثانى بإسرائيل، فالعالم العربى ليس مجرد منطقة كغيرها من مناطق العالم تصلح سوقاً لبيع السلع والخدمات، وميداناً لاستثمار فوائض رءوس الأموال، بل هو أيضاً مستودع لأكبر مصدر للنفط فى العالم، كما أنه يضم مطمع المشروع الصهيونى وأهم ميدان لتحقيقه وتوسعه ... إن كلا الأمرين، **النفط وإسرائيل**، يتطلبان الآن إعادة ترتيب للمنطقة العربية بأسرها، وقد تشمل إعادة الترتيب هذه بعض أعمال الاحتلال الجديدة وتقسيم لبعض الدول العربية أو ضم لبعضها. ما الذى يناسب ظروفاً كهذه، سواء فيما يتعلق بأهداف النظام العالمى الجديد أو بأهداف إسرائيل، أكثر من اختراع عدو جديد يسمى بالإرهاب، وعلى الأخص الإرهاب الإسلامى العربى.[2]

[1] إدواردو غالينو، مسرح الخير والشر، فى: الإرهاب قبل ١١ أيلول وبعده، مرجع سابق، ص٢١

[2] د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، مرجع سابق، ص ص ١٥-١٧

" إن أمريكا تعز أعداءها، فبدون أعداء، تتحول إلى أمة بلا هدف أو اتجاه، إن مختلف مكونات وزارة الأمن القومى، تحتاج إلى أعداء لتبرر ميزانيتها المتضخمة، وتضفى العظمة على عملها وتحمى وظائفها، وتخلق لنفسها رسالة بعد زوال الاتحاد السوفيتى، وأخيراً تعيد اختراع نفسها. وهى تفهم ذلك وحده جيداً، حتى وإن كان بصورة مؤلمة."[1]

ومن سوء حظ الدول العربية والإسلامية أنها تمتلك موارد الطاقة الأعظم فى العالم!!، متمثلة فى **بحار من حقول البترول والغاز الطبيعى**، وهو ما يسيل له لعاب الصفوة الحاكمة فى الحكومة الأمريكية، ولذلك لابد للإسلام أن يكون هو العدو البديل للشيوعية!!.

" إن صفوة السلطة العنصرية فى الولايات المتحدة وحكوماتها كانت تعمل باستمرار على التخطيط والإعداد والتآمر لسرقة حقول بترول الخليج العربى منذ زمن نظام نيكسون/ كيسنجر، رداً على حظر تصدير البترول العربى إلى أوربا والولايات المتحدة بسبب تأييدهما لإسرائيل. ويمكن اعتبار أن **الجمع بين النفط وإسرائيل** كان هو السبب فى معظم سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط قبل وبعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١."[2]

أضف إلى ذلك **العداء العقائدى** المتجذر فى العقلية الغربية الصليبية ضد الإسلام. فنحن "نشهد الآن حرباً صليبية أخرى من نوع حروب العصور الوسطى، تشنها القوى الاستعمارية للأوربيين المسيحيين البيض ضد ١,٢ مليار مسلم فى العالم تضمهم نحو ٥٨ دولة، وينظر إلى معظمهم بأنهم ملونون فى نظر الأوربيين العنصريين، وهم أيضاً الذين شاء القدر أن يملكوا الموارد الضخمة للنفط والغاز

---

[1] ويليام بلوم، مرجع سابق، ص٤٤

[2] فرانسيس بويل، تدمير النظام العالمى، الإمبريالية الأمريكية فى الشرق الأوسط قبل وبعد ١١ سبتمبر، ترجمة: سمير كريم، مراجعة وتقديم: محمد نور فرحات، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧٤٨، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥. ص٤٩

الطبيعى فى الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا والتى يحتاج إليها الغرب بشدة. وهذه هى حقيقة الوضع، وحقيقة ما يجرى هنا. وإذا ما كان لديك أى شك، فإن عليك أن تتذكر أن بوش الابن نفسه هو الذى أطلق علناً على حربه المقدسة ضد الإرهاب العالمى اسم الحرب الصليبية."[1]

وهكذا " لا يخفى على كل مهتم ومتتبع لمسار تكوين صورة الإسلام المشوهة فى الغرب، وبروز ظاهرة الكراهية والخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) أن عملية تعريب الإرهاب وأسلمته تعتبر أبرز معالم تلك الصورة التى ازدادت قتامة وسلبية فى الآونة الأخيرة ... ويعتبر إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين أبرز سلاح يوظفه الغرب فى مواجهة العالم العربى والإسلامى فى سبيل إذكاء روح الخوف والتوجس منه، بهدف **إقصائه من الساحة الدولية** وتقليص درجة التعاطف معه ومستوى التعامل معه."[2]

ولأن الإسلام يمثل مرجعاً روحياً جذاباً يخشى الغرب من تنامى قوته وثقله فى المستقبل، دأب الإعلام الغربى من خلال عملية (القولبة الإعلامية) على إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام، من اجل الحيلولة دون إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام أو حتى التعرف عليه.

ومن أجل ذلك أيضاً " فإن التخويف منه عن طريق إفراز وإنتاج نظريات متشائمة تحذر من الإسلام وحضارته يعكس مبلغ حدة عقدة الخوف لديه، ويؤكد (هنتنجتون)[*] على ذلك بشكل مقارن وذلك عندما يصف الحضارة الكونفوشيوسية التى يجعلها على قدم مساواة مع الإسلام فى الصراع مع الغرب بأنها خطر بطىء

---

[1] المرجع السابق، ص٢٣٤

[2] د. حسن عزوزى، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٢

[*] **صمويل هنتنجتون:** مفكر أمريكى، رئيس أكاديمية الدراسات الدولية بجامعة هارفارد، مؤلف كتاب (صدام الحضارات) و (إعادة تشكيل النظام العالمى)، شغل منصب منسق التخطيط الأمنى لمجلس الأمن الأمريكى فى عهد الرئيس الأسبق جيمى كارتر.

معتدل، فى حين ينعت صحوة الإسلام بأنها صحوة متوحشة مفترسة، وهذه المقارنة المقصودة إن دلت على شىء فإنما تدل على رغبة فى الإيهام بأن الإسلام وحده يبقى العدو المنافس والخطر المحدق بحضارة الغرب وقيمه."[1]

ويلخص لنا **الدكتور جلال أمين** أسباب إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام تحديداً قائلاً: " كل الدلائل تشير إلى أن الإدارة الأمريكية كان لديها، ولا يزال، مخطط لإحكام سيطرتها على أماكن متعددة من العالم، وعلى موارد اقتصادية أساسية خارج حدودها، من أهما النفط، وأن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ساعدت الإدارة الأمريكية فى السير حثيثاً نحو تنفيذ هذا المخطط. حيث كان من المفيد جداً للإدارة الأمريكية وكذلك للمشروع الصهيونى وإسرائيل، أن تستغل أحداث ١١ سبتمبر إلى أقصى درجة ممكنة لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين ... ذلك أن من الصعب جداً أن نتصور أن تستطيع الإدارة الأمريكية السير فى تحقيق مخططها العسكرى والاقتصادى دون وجود عدو، بل عدو خطير، يبرر كل هذا الإنفاق على الحرب، وكل هذه التضحيات التى لابد أن يتحملها الشعب الأمريكى، اقتصادية وبشرية.

وقد وُجد أن الإسلام والمسلمين عدو مناسب جداً؛ أولاً: لوجوده وانتشاره فى معظم المناطق التى يراد تنفيذ المخطط العسكرى والاقتصادى فيها. **وثانياً:** لسهولة الربط بين العنف والخطر المراد تخويف الناس منهما وبين الدين، إذ أن التطرف أو التعصب الدينى يمكن قبوله بسهولة كتفسير للعنف والقتل والاعتداء، مما وجد من المناسب تسميته بالإرهاب. **وثالثاً:** لأن الفلسطينيين الذين يقاومون المشروع الصهيونى والدولة الإسرائيلية، والعرب الذين يعادون هذا المشروع وهذه الدولة، غالبيتهم العظمى من المسلمين. فلماذا لا تضرب كل هذه العصافير بحجر واحد، وهو تشويه سمعة الإسلام والمسلمين؟ ... كما أن تضخيم حجم ما سمى بـــ (الإرهاب الإسلامى) بل وربما خلقه خلقاً فى بعض الأحوال كان مفيداً لتحقيق أهداف أمريكية مهمة، حتى قبل ١١ سبتمبر بكثير، كتخويف بعض الحكومات

---

[1] د. حسن عزوزى، مرجع سابق، ص١٠٥

العربية وإجبارها على الاعتماد على الدعم الأمريكى لمواجهة هذا الإرهاب، وفى الوقت نفسه إعطاء هذه الحكومات مبرراً للاستمرار فى الحكم واستخدام أساليب القمع، بحجة التصدى للإرهاب الإسلامى. "[1]

سابعاً: موقف القوانين والمنظمات الدولية من الإرهاب:

منذ إنشاء الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء وهى تحاول تلمس تعريف ووضع قوانين لأفعال كان يراها البعض مشروعة ويراها البعض الآخر محرمة، كل من وجهة نظره ووفق مصالحه والمعايير التى يستند إليها، ولم تكن المعايير المستندة على القيم، ومفاهيم تلك القيم هى التى تحدد نقاط الاختلاف والاتفاق فى هذا المجال، ولكن الصراعات السياسية بين القوى الكبرى بالدرجة الأولى هى التى وقفت وراء هذه الاختلافات.

والإرهابيون كما يرى **أنتونى جيدنز** يعتمدون على نفس رموز الشرعية مثل الحكومات ولكنها مضادة لها، " والإرهابيون يميلون على التأكيد على أن أفعالهم شرعية، وغالباً ما يطلقون على أنفسهم جنوداً، متخذين مصطلحات عسكرية لتنظيماتهم – مثل الجيش الجمهورى الأيرلندى –."[2]

وقد عرفت أول مبادرة بشأن تعريف الإرهاب عام ١٩٣٧ " عندما أقر المؤتمر الذى عقدته عصبة الأمم اتفاقية لقمع ومنع الإرهاب. وقد وصفت الاتفاقية الإرهاب بأنه: الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ويكون هدفها أو من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو لدى جماعات من الناس أو لدى الجمهور. ولئن بقيت منظمة الأمم المتحدة عاجزة عن وضع تعريف موحد للإرهاب الدولى، فقد عمدت على صعيد آخر إلى محاولة تصنيف وإدانة بعض الأنشطة التى اعتبرتها إرهابية. وهكذا وافقت لجنة القانون الدولى (٢) سنة ١٩٥٤

---

[1] د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، مرجع سابق، ص ص ٧٢-٧٣

[2] Giddens, Anthony, Op.Cit., P. 362

على مشروع تقنين الجرائم الدولية. كذلك أصدرت الجمعية العامة بتاريخ ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٧٠ الإعلان المتعلق بمبادئ القانون الدولى فيما يخص العلاقات الدولية والتعاون الدولى."[1]

" ولقد أدرج موضوع الإرهاب لأول مرة فى جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الدورة السابعة والعشرين عام ١٩٧٢، وشكلت لجنة من ٣٥ دولة لمتابعة الموضوع."[2]

" كما وافقت بتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩٧٣ على الاتفاقية الخاصة بمنع وقوع الجرائم التى ترتكب ضد الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم الدبلوماسيين. وقررت إنشاء لجنة خاصة لتعريف الإرهاب الدولى تفرعت عنها ثلاث لجان اقتصرت مهمة إحداها على وضع تعريف للإرهاب الدولى. وقد اتضح منذ البداية أن لجنة تعريف الإرهاب الدولى تتخبط فى نفس الصراع القائم حول القضايا الأساسية داخل الأمم المتحدة."[3]

" وفى عام ١٩٧٩ فى الدورة ٣٤ اعتمدت الهيئة العامة للأمم المتحدة نتائج أعمال اللجنة التى أدانت بصورة قاطعة جميع أعمال الإرهاب التى تعرض للخطر أرواحاً بشرية أو تودى بها أو تهدد الحريات الأساسية، وأدانت استمرار أعمال القمع والإرهاب التى ترتكبها النظم الاستعمارية والعنصرية والأجنبية، سالبة الشعوب حقها المشروع فى تقرير المصير والاستقلال وغيره من الحقوق والحريات الأساسية. وفى الدورة ٤٢ صدر القرار ١٥٩/٤٢ الذى حث جميع الدول على أن تولى اهتماماً خاصاً لجميع الحالات، بما فيها الاستعمار والعنصرية والحالات التى تنطوى على انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان والحريات الأساسية،

---

[1] عصام مفلح، مفهوم الإرهاب والموقف الدولى، إرهاب الدولة وإرهاب المنظمات، مجلة الفكر السياسى، العدد ١٧، خريف/شتاء ٢٠٠٢. الموقع الإلكترونى للمجلة.

[2] د. على عقلة عرسان، مرجع سابق.

[3] عصام مفلح، مرجع سابق.

والحالات التى تنطوى على سيطرة أجنبية واحتلال أجنبى، والتى يمكن أن تولد الإرهاب الدولى وتعرض السلم والأمن الدوليين للخطر."[1]

وقد " ناقش مؤتمر القمة الإسلامى الخامس الذى عقد بالكويت فى يناير ١٩٨٧ موضوع الإرهاب الدولى والفرق بينه وبين نضال الشعوب من أجل تحريرها، كما ناقش المؤتمر العربى الطارئ الذى عقدته الجامعة العربية فى عمان فى نوفمبر ١٩٨٧ موضوع الإرهاب الدولى وأدان كل منهما الإرهاب الدولى فى جميع أشكاله، ولكنهما أيدا نضال الشعوب من أجل تحريرها والوقوف ضد القوى الاستعمارية، كما أيدا كفاح حركات التحرير الوطنى وحق تقرير المصير. كما أصدرت مؤتمرات القمة التى عقدت حتى الآن القرارات نفسها من حيث إدانتها للإرهاب فى جميع أشكاله وصوره ولكنها أيدت حق الشعوب فى تقرير المصير ونضالها من أجل تحرير أراضيها."[2]

وهكذا " بقيت كلمة الإرهاب تضفى ظلالها على ممارسات مشروعة وغير مشروعة فى آن معاً، وبقى التوازن الدولى للقوى يلعب دوراً فى توازن مواز للتفسيرات إلى أن حدث انهيار الاتحاد السوفيتى، وتفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة – عن طريق القوة – على قرار كثير من الدول، وعلى المنظمة الدولية ومؤسساتها، الأمر الذى نتج عنه خلل واضح فى ميزان القوى، تبعه خلل فى توازن التفسيرات والمواقف والأفكار، وفى النظر إلى الأفعال والمصطلحات معاً. وقد أدى هذا إلى انهيارات كثيرة وتغيير جذرى فى مواقف بلدان وأحزاب من قضايا مركزية، كما أدى إلى اتخاذ قرارات دولية أو باسم المنظمة الدولية، خلقت خللاً أعمق فى مستندات قانونية وخلقية كثيرة. وسأكتفى بالإشارة إلى قيام الولايات المتحدة الأمريكية بدعم إسرائيل ضد العرب فى كل المجالات، وقيادتها لحملة أدت إلى إلغاء القرار ٣٣٧٩ الذى يساوى الصهيونية بالعنصرية، وتبعه إلغاء أكثر من ثلاثين قراراً من قرارات مجلس الأمن أدانت

---

[1] د. على عقلة عرسان، مرجع سابق.

[2] د. محمد الحسينى مصيلحى، مرجع سابق، ص١١

إسرائيل بالعدوان والممارسات العنصرية والإرهابية، وجاء كل ذلك تحت شعار (إزالة ما يكدر إسرائيل) ... وهكذا أخذت الجهود تتواصل لتنقية صفحة إسرائيل الصهيونية العنصرية من كل ما يشوهها ... وازداد بالمقابل تكثيف الجهد لتشويه صورة العرب ونضالهم وكفاحهم المشروع ضد الاحتلال، والاستعمار الاستيطانى العنصرى، وأخذت المقاومة الوطنية المشروعة للاحتلال والعدوان تأخذ شكل الإرهاب وتدمغ به، ويصنف كل من يؤيدها على أنه يرعى الإرهاب ويمارسه."[1]

وهكذا أيضاً " اتجهت الولايات المتحدة إلى توسيع مفهوم الإرهاب ليشمل أعمال المقاومة والجهاد والكفاح المسلح المشروع، وخاصة بعد اتفاقية أوسلو ١٩٩٣، ثم رسخت بعد مؤتمر شرم الشيخ ١٩٩٦، حيث ضغطت فى اتجاه إدانة أعمال المقاومة المسلحة الفلسطينية وإدخالها تحت مسمى الإرهاب. وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تشجعت الإدارة الأمريكية فخلعت قفازات السلوك الدبلوماسى، واستخدمت العنف والتهديد والضرب والحصار العسكرى والاقتصادى، وحيث صبت سخطها على العرب والمسلمين دولاً وحركات وأفراداً، واستغل اللوبى اليهودى هذا الاتجاه ليحرض العالم كله ضد كل ما هو عربى وإسلامى."[2]

" وفى مايو ٢٠٠٣، هاجمت منظمة العفو الدولية الحرب على الإرهاب، فبعيداً عن جعل العالم مكاناً أكثر أماناً، جعلته أكثر خطورة بتقليص حقوق الإنسان وتقويض قاعدة القانون الدولى وحماية الحكومات من المراقبة. لقد عمقت الانقسامات بين الشعوب ذات المعتقدات والأصول المختلفة، وبذرت البذور لصراع أكثر."[3]

وهكذا نجد تطوراً فى الموقف الدولى من إدانة الإرهاب إلى إدانة المقاومة المشروعة للشعوب المقهورة تحت ضغط القوة العظمى المهيمنة على القرار الدولى.

---

(1) د. على عقلة عرسان، مرجع سابق.

(2) مجلة المختار الإسلامى، مرجع سابق.

(3) Shah, Anup, War on Terror, http://www.globalissues.org

ثامناً: هل تعتبر حركات المقاومة إرهاباً ؟ [1]

أتضح لنا من استعراضنا السابق لمفهوم الإرهاب وطبيعته والجوانب المتعلقة به، أن **الموقف الدولى الراهن قد تحول – تحت ضغط وهيمنة القوة الأمريكية المتفردة – من إدانة الإرهاب، إلى إدانة المقاومة المشروعة ونضال الشعوب** ضد الاستعمار والقهر والانتهاك الأجنبى.

حيث كانت الهجمة الاستعمارية تشتد ضد نضال الشعوب بمقدار اتساع مظاهر المقاومة ضدها، ولذلك لجأت فى الآونة الأخيرة إلى استخدام تعبير الإرهاب والأعمال الإرهابية كوسيلة وغطاء وذريعة للقضاء على نضال الشعوب من أجل حريتها واستقلالها وتقرير مصيرها ومحاولة تصفية الأدوات والأساليب المتنوعة التى تلجأ إليها تلك الشعوب فى مقاومة المعتدى والتصدى لأطماعه ومخططاته.

كما أتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن " من أهم ما يرمى إليه مبتدعو مصطلح الإرهاب، هو انتزاع حق المقاومة ضد كل ما هو جائر وباطل وظالم، وبالتالى إلغاء كل المفردات اللغوية التى كانت سائدة فى منتصف القرن العشرين وما بعده، والتى تنتمى إلى قاموس كل شعب يعانى من الاضطهاد والاستغلال والاستعمار، كالنضال والكفاح والجهاد وغير ذلك من المفردات التى تدور حول محور المقاومة لكل معتد وغاصب."[2]

والمقاومة فى اللغة العربية هى مصدر للفعل الرباعى **(قاوم)** يقاوم مقاومة، وهى تعنى **الممانعة والمدافعة**، والمقاومة جزء لا يتجزأ من فطرة الله وسننه فى

---

[1] حول المقاومة، تعريفها ونشأتها وتطورها، وموقف الإسلام والقوانين والمنظمات الدولية منها، وأسباب إصرار الولايات المتحدة على وصمها بالإرهاب، والعداء للإسلام وجذوره فى الغرب **انظر كتابنا القادم: لعبة خلط الأوراق .. مقاومة الإرهاب أم إرهاب المقاومة.**

[2] عبد الرحمن عمار، مرجع سابق، ص٣٦

الكون والإنسان والتاريخ؛ فعندما يتعرض جسم الإنسان لهجوم أو غزو فيروسى أو ميكروبى، فإن كل خلايا الجسم تنشط للدفاع عنه ومقاومة هذا الدخيل، ونفس الأمر ينطبق تاريخياً على الشعوب التى تهب للدفاع عن أرضها وقيمها وسيادتها إذا تعرضت للغزو أو الاحتلال أو الانتهاك.

ويمكن تعريف المقاومة بأنها (**الكفاح من خلال الاستخدام المشروع لكافة الوسائل – المادية وغير المادية – بما فيها القوة المسلحة، من قبل جماعة أو شعب ما، لمواجهة أعمال العدوان والهيمنة، ورغبات السيطرة على أرضه أو فكره أو ثقافته أو قراره السياسى، وإزالة الاحتلال والاستعمار – بكافة صوره – ودفع الظلم المستند إلى القوة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية، من أجل تحقيق الاستقلال الكامل – سياسياً وثقافياً وعسكرياً – ، وبما يتفق مع مبادئ الأمم المتحدة والمواثيق الدولية**).

ومن المعروف أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر و" فى إطار المناخ العالمى الرافض للإرهاب تحاول الولايات المتحدة وإسرائيل تكييف المقاومة الإسلامية باعتبارها إرهاباً ومن ثم ترفضها وتسعى بدأب لتصفيتها، وهى الاستراتيجية التى بدأتها إسرائيل فى المرحلة الأخيرة، حيث تعمل على تصفية العناصر القيادية للمقاومة الإسلامية."[1]

ويعود **سبب الالتباس بين مفهوم المقاومة والكفاح وبين مفهوم الإرهاب** إلى أمرين هما:[2]

أولاً: وجود قدر من العنف يجمع بين الإرهاب والكفاح المسلح مع اختلاف بينهما فى الدوافع لاستعمال العنف؛ ففى الكفاح من أجل التحرر يمارس العنف

---

[1] د. على ليلة، النظام العربى المعاصر، متغيرات الإصلاح وحدوده، سلسلة الوافى الثقافية، العدد الأول، دار الوافى للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦. ص٢٣٠

[2] رابطة العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ١٢

بدافع رد العدوان ورفع الظلم، وهو فى هذا الحال مشروع وجائز. بخلاف العنف الذى يمارس فى الإعمال الإرهابية فإنه غير مشروع ولا مبرر له، تدفع إليه غايات غير شرعية.

ثانياً: الحملات الإعلامية التى تشنها أجهزة إعلام الدول الاستعمارية ضد الكفاح من أجل التحرر. ومحاولة الربط المستمر بينه وبين الإرهاب بقصد سلب المشروعية المعترف له بها دولياً. لأن الكفاح من أجل التحرر يمثل تهديداً للتواجد الأجنبى فى البلاد المستعمرة، ويؤدى فى النهاية إلى حرمان المستعمر الغاصب من السيطرة على الشعوب واستغلالها.

وقد حددت رابطة العالم الإسلامى **أربعة فوارق أساسية** بين المقاومة والكفاح من أجل التحرر من جهة والإرهاب من جهة أخرى، تتمثل فيما يلى:[1]

١- **الدافع:** فالدافع الذى يحرك المقاومة والكفاح هو دافع وطنى يتمثل فى السعى لتحرير الوطن من الظلم والعدوان، بينما الدافع فى الإرهاب هو الرغبة فى إلحاق الأذى بالآخرين.

٢- **الهدف:** فالكفاح من أجل التحرر يتوجه أساساً ضد العدوان الأجنبى المفروض بالقوة العسكرية الغاشمة، لتحرير الوطن من هذا الأجنبى الدخيل، بينما النشاط الإرهابى يتوجه نحو الوطن وأبناؤه أو يضرب مصالح الوطن فى الخارج.

٣- **التأييد:** فالكفاح من أجل التحرر يحظى بتأييد أبناء الوطن، باعتباره شرفاً يتنافسون فيه مما يدفعهم للانخراط فى سلك المقاومين، بينما الإرهاب لا يجد تأييداً شعبياً.

٤- **المشروعية:** فالكفاح من أجل التحرر أمراً مشروعاً فى الشرع الإسلامى، وفى القانون الدولى، وتقره الاتفاقات الدولية، بينما الإرهاب ممنوع شرعاً، ومرفوض من القانون الدولى، وتدينه الاتفاقات الدولية.

---

[1] رابطة العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص١٣

وقد أقرت **قواعد القانون الدولى** حق الخاضعين لسلطات الاحتلال فى مقاومته وكفاحه بشتى الوسائل، وأقرت لرجال المقاومة بصفة المقاتل القانونى، واعتبار من يقع منهم فى يد العدو أسير حرب. وذلك فى اتفاقية لاهاى الرابعة بشأن الحرب البرية عام ١٨٩٩م فى مادتها الثانية، وأيضاً الفقرة أ/٢ من المادة الرابعة لاتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بمعاملة أسرى الحرب والصادرة عام ١٩٤٩م.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس هيئة الأمم المتحدة، صدر ميثاق الأمم المتحدة الذى أقر مبدأ وحق تقرير المصير فى الفقرة الثانية من مادته الأولى، وأكدته المادة ٥٥ منه، ولعل التوصية رقم ١٥/١٥١٤ الصادرة فى ١٤ ديسمبر ١٩٦٠م والخاصة بمنح البلدان والشعوب المستعمرة استقلالها، والتى اشتهرت فيما بعد بقرار (تصفية الاستعمار)، تشكل النص الأوضح والأكثر تقدماً على هذا الصعيد. وإذا كان ميثاق هيئة الأمم المتحدة لم ينظم المقصود بحق تقرير المصير ولا كيفية تطبيقه، إلا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد تصدت لهذا الموضوع، فأصدرت عدة قرارات بهذا الخصوص من أهمها: قرار الجمعية العامة عام ١٩٦٠ وإنشاء لجنة تصفية الاستعمار عام ١٩٦١.

وفى عام ١٩٦٥ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يطالب الدول الاستعمارية بالكف عن سياسة خرق حقوق الشعوب، وأخذ القرار بمشروعية كفاح الشعوب الواقعة تحت الحكم الاستعمارى من أجل حقها فى تقرير المصير والاستقلال، ودعت جميع الدول إلى توفير المساعدة المادية والمعنوية لحركات التحرر القومى فى الأقاليم المستعمرة. وتأكدت هذه المعانى فى قراريها بتاريخ ٣٠ نوفمبر و١٣ ديسمبر ١٩٦٦ حيث تم إقرار حق الشعوب المحتلة فى استخدام القوة فى كفاحها من أجل الحصول على الاستقلال.

وتوالت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٢ أكتوبر ١٩٧٠ التى قضت بمعاملة المناضلين الأحرار المعتقلين معاملة أسرى الحرب المنصوص عليها فى اتفاقية جنيف ١٩٤٩، كما أقرت شرعية كفاح الشعوب المحتلة من أجل حريتها

بجميع الوسائل المناسبة مع مطالبة جميع الدول والمنظمات الدولية بتقديم كافة المساعدات لها.

وتوالى هذا التأكيد فى القرار رقم ٢٦٤٩ الصادر فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٠، والقرار رقم ٣٧٨٧ الصادر فى ٦ ديسمبر ١٩٧١، كما صدر القرار رقم ٣٠٣٤ بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٧٢ الذى نص على تأكيد الحق الثابت فى تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت الاستعمار، وأنظمة التمييز العنصرى، وأنواع السيطرة الأجنبية الأخرى، كما نص على شرعية نضال الحركات التحررية وفقاً لأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. وهو نفس ما أكدته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى القرار رقم ٣٠٧٠ لعام ١٩٧٣ فى البندين الثالث والرابع، وأيضاً القرار رقم ٣١٠٣ الصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ والذى جاء فيه أن استمرار الاستعمار فى جميع أشكاله ومظاهره يعتبر جريمة، وأن للشعوب المستعمرة حقاً طبيعياً فى النضال بكل الوسائل ضد الدول الاستعمارية والسيطرة الأجنبية.

وفى ١٤ ديسمبر ١٩٧٤ فى الجلسة رقم ٢٣١٩ أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها رقم ٣٢٣٦ البند الخامس شرعية كفاح الشعوب فى سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية والقهر الأجنبى بكافة الوسائل المتاحة بما فى ذلك الكفاح المسلح.

وفى عام ١٩٧٧ قدمت لجنة الإرهاب الدولى التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة تقريرها الذى تضمن استبعاد الأعمال التى تقوم بها حركات التحرر الوطنية المعترف بشرعيتها لتحقيق أهدافها فى تقرير المصير والاستقلال من أعمال الإرهاب، كما أقر مؤتمر جنيف الذى عقد عام ١٩٧٧ بروتوكولين إضافيين لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ أكد الأول منها على اعتبار النزاعات المسلحة الناجمة عن نضال الشعوب من أجل تقرير المصير من قبيل النزاعات المسلحة المشروعة.

كما نصت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٦ فى الفقرة الأولى من المادة الثانية على أنه (لا تعد جريمة، حالات الكفاح بمختلف

الوسائل بما فى ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبى والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولى، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأى من الدول العربية).

وفى هذا السياق اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة مراراً بحقوق الشعب الفلسطينى غير القابلة للتصرف مثل قرارها رقم ٣٢٣٦ لعام ١٩٧٤ البندان الأول والثانى، وقرارها رقم ١٧/٣٩ لعام ١٩٨٤ البند الثالث، وقرارها رقم ١٤٩/٤٩ لعام ١٩٩٥ فى البندين الأول والثالث، وبحقه فى استرجاع حقوقه بالوسائل المتاحة كافة بما فى ذلك الكفاح المسلح.

كما أكد المشاركون فى التوقيع على (إعلان بيروت لدعم المقاومة) الصادر فى ٣٠ مارس ٢٠٠٦ والذى شارك فيه ٣٢٣ من مختلف ألوان الطيف الفكرى والسياسى العربى، ومن كل أقطار الأمة، والعديد من دول المهجر، أكدوا إجماعهم على الدفاع عن المقاومة حيث يوجد احتلال، وعلى اعتبار الوحدة الوطنية والديمقراطية حصن كل مقاومة ومصدر قوتها واستمرارها، كما أنه لا ديمقراطية فعلية ولا وحدة وطنية خارج نهج المقاومة للأطماع الاستعمارية والتدخلات الأجنبية.[1]

وعلى الرغم من كل هذه الجهود التى قامت بها الأمم المتحدة والقرارات التى صدرت عن جمعيتها العامة، لحصر مفهوم الإرهاب وعدم خلطه بحق المقاومة ومشروعيتها، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت غير متعاونة لإنجاح هذه الجهود، بل كانت معرقلة لها، وذلك بسعيها لتغييب المعايير وإحلال الانتقائية محلها، لكى تنفرد بعد ذلك بتصنيف أعمال العنف وفق هواها، وقد تصاعد اتجاه

---

[1] إعلان بيروت لدعم المقاومة، المؤتمر العربى العام الرابع لدعم المقاومة تحت شعار (سلاح المقاومة شرف الأمة)، بيروت، ٣٠ مارس ٢٠٠٦، مجلة المستقبل العربى، العدد ٣٢٧، مايو ٢٠٠٦. ص ص ٧٤-٩٣

توسيع مفهوم الإرهاب لديها ليشمل أعمال المقاومة والجهاد والكفاح المسلح من أجل التحرر، وخاصة بعد اتفاقية أوسلو ١٩٩٣، ومؤتمر شرم الشيخ ١٩٩٦، حيث ضغطت أمريكا لإدانة المقاومة المسلحة تحت اسم الإرهاب.

إضافة إلى ذلك فقد أحدثت تداعيات ١١ سبتمبر هزة فى النظرية الأمنية الأمريكية، وهزة فى القوانين، الدولية، نتج عنها تغير فى سلوك الإدارة الأمريكية الدبلوماسى، بلجوئها إلى لغة العنف والتهديد والحصار العسكرى والاقتصادى، وتقسيمها العالم إلى معسكرين إما مع أمريكا أو مع الإرهاب، حيث صبت جام غضبها على العرب والمسلمين، وقد استغل اللوبى الصهيونى بنفوذه العالمى هذا الحادث لتشجيع التطرف اليمينى فى الإدارة الأمريكية ضد كل ما هو عربى وإسلامى.

وهكذا، فإنه فى ظل هذه الظروف، تبدو الحاجة أكثر إلحاحاً لإعادة تأكيد المفاهيم الإنسانية السليمة للمقاومة والكفاح والحفاظ عليها وعلى شرعيتها كحقوق إنسانية ثابتة أقرتها جميع المواثيق الدولية.

الفصل الثانى



العـولمـة

المطرقة ناحــت على السندان

اتقسمت كتل الحــديد قضبان

الرأســمالى بــيملك الآلـــه

الرأســمالى بيسجــن الإنسان

الرأســمالى بــيملك الآلـــه

أغلال على استغلال على بطاله

يجعل حــياتك يا فــقير عـــاله

ويموتــك ويبــيع لك الأكفــان

فـؤاد حـداد

أولاً: مشكلة التعريف:

" العولمة لفظ حديث جداً فى العربية، ولكنه، ليس من اختراعنا نحن العرب، بل هو ترجمة لكلمة صكت فى الغرب Globalization وانشغل الناس بها هناك، وعقدوا لمناقشتها الندوات والمؤتمرات، فإذا بنا ننشغل بها بدورنا، ونحاول البحث عن معناها الحقيقى وتعريفها الصحيح. وهذه ليست بالطبع المرة الأولى التى يصك فيها الغرب فكرة أو شعاراً فننشغل نحن بها، ثم يخبو اهتمام الغرب بها فيخبو بالتالى اهتمامنا ... وأنا لا أقول هذا من باب الاعتراض على مناقشة ما يناقشه الغرب، ولكن أقوله فقط من باب التنبيه إلى وجوب الحذر من أن صياغة الأفكار والشعارات تتأثر بالمصدر الذى تنبع منه. فهى تعكس جانباً من الحقيقة، وقد يكون جانباً مهماً منها، ولكن اختيار تعبير دون غيره واختيار صياغة معينة للفكرة دون غيرها من الصياغات قد يحملان فى طياتهما خطر صرف الذهن إلى نواحى قد لا تكون هى الأجدر بانصراف الذهن إليها."[1]

والحقيقة أن " للعولمة تعريفات بقدر عدد المؤلفين الذين يكتبون عنها، أو ربما بعدد زوايا الرؤية التى ينظر الباحث إليها ... ولا يخفى أن **تعريفات العولمة تتأثر بانحيازات الباحثين الأيديولوجية وموقفهم من العولمة رفضاً أو قبولاً**. وقد تبلورت هذه التعريفات فى تيارين يسيطر عليهما الانحياز المسبق، التيار الأول يتحيز للعولمة ويعتبرها قدراً حتمياً لا مفر من قبوله بغير تحفظ. والتيار الثانى يرفضها رفضاً مطلقاً باعتبارها إعادة إنتاج لنظام الهيمنة الرأسمالى القديم. وبين التيارين يتخلق تيار يدعو إلى نوع من التفاعل الواعى مع العولمة فى اتجاه تعظيم المنافع التى تبشر بها وتقليل التكاليف الاجتماعية المقترنة بالاندماج فيها والتكامل

[1] د. جلال أمين، العولمة كمثال لصناعة الأفكار، رد على مقال جلال صادق العظم، مجلة وجهات نظر، العدد ١١، ديسمبر ١٩٩٩. ص٧٨

معها ... وربما كان جيمس روزناو – أستاذ السياسة الأمريكي– محقاً في دعوته إلى الكشف عن جوهر العولمة قبل الاقتراب من صياغة تعريف شامل لها."[1]

وهكذا فإننا " إزاء العولمة كالعميان إزاء الفيل، في تلك القصة الشهيرة التي يلمس فيها كل من العميان جانباً من الفيل، فيصفه على أنه الفيل بأكمله، دون أن يعرف أن للفيل جوانب أخرى كثيرة. كل منا في وصفه للعولمة على صواب تماماً، لولا أن معظمنا لا يريد أن يعترف بأن بقية العميان على صواب أيضاً."[2]

المعنى اللغوي للعولمة:

العولمة ترجمة لكلمة Globalization الإنجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وبهذا المعنى يمكن أن نفترض أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني نمطاً من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل العالم كله.

و " أي تعريف للعولمة يضعنا في مأزق. ففي الحقيقة الكلمة نفسها تضعنا أمام مشكلتين: الأولى هي كلمة (global)، والثانية هي المقطع (ization-). فالمعنى المتضمن في الأولى هو أن هناك نظام موحد من الاتصالات الملاحظة خلال رأس المال وأسواق السلع وتدفق المعلومات ومناظر متخيلة (مجتمع مدني عالمي) تغلغلت كامل الكرة الأرضية، والمعنى المتضمن في الثانية هو أنها تتم الآن، حيث أننا دخلنا عصراً عالمياً. وكلا المعنيين صحيح."[3]

---

[1] د. محمد إبراهيم منصور، العولمة والهوية الوطنية، في: العولمة وحوار الحضارات، صياغة عالم جديد، أعمال المؤتمر الدولي الأول للحضارات المعاصرة، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣. ص ص ٢٨٣-٢٨٤

[2] د. جلال أمين، العولمة، سلسلة اقرأ، العدد ٦٣٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨. ص٤٤

[3] Coker, Christopher, Globalization and Terrorism, Paper prepared for seminar on "The Prospects for the Canadian Summit", Sponsord by the Canadian Embassy in Tokyo, Japan, June 10, 2002. P.2

و " العولمة – فى دلالتها اللغوية أولاً – هى جعل الشيء عالمياً، بما يعنى ذلك من جعل العالم كله وكأنه فى منظومة واحدة متكاملة. وهذا هو المعنى الذى حدده المفكرون باللغات الأوربية للعولمة Globalization فى الإنجليزية والألمانية، وعبروا عن ذلك بالفرنسية بمصطلح Mondialisation ... ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال (العولمة) بمعنى جعل الشيء عالمياً. وجاء فى المعجم العالمى الشهير Webster's أن العولمة هى إكساب الشيء طابع العولمة، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالمياً، ولكن هذا المعنى شديد البراءة بالغ الحيدة، لا ينسجم فى عمقه مع دلالة اللفظ ومفهوم المصطلح، كما يشاع ويتردد فى العالم اليوم."[1]

تعريف مصطلح العولمة:

" نعرف من واقع الجدل العنيف الذي دار حول العولمة في العقود الماضية أن هناك معركة نظرية كبري دارت بين الباحثين والمفكرين في مختلف أنحاء العالم حول تعريف العولمة. من بين التعريفات الأيديولوجية للعولمة **تعريف يساري** شهير مبناه أن العولمة هي أعلي مراحل الرأسمالية الاحتكارية. وهذا التعريف يركز علي النشأة التاريخية للعولمة والتي هي في جوهرها امتداد وتعميق للنظام الرأسمالي ونزوعه للهيمنة الكلية علي الاقتصاد العالمي من خلال المؤسسات الدولية، وعن طريق الشركات دوليه النشاط.

غير أن هناك تعريفاً ايديولوجياً آخر للعولمة يأتي **من قبل اليمين** الذي تمثله الليبرالية الجديدة وهو أنها المدخل الحقيقي لليبرالية الاقتصادية المؤدية للتنمية والتقدم، والمعبر الحق عن الديمقراطية في إدارة العلاقات الدولية. ومن المهم أن

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، مستقبل الحضارة الإسلامية فى ظل العولمة، فى: مستقبل الأمة الإسلامية، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣. ص ص ١٢٧–١٢٨

نؤكد أن صراع تعريفات العولمة بين اليسار واليمين قد تعدي مسألة الجدل النظري، وانتقل الي مجال الصراع السياسي علي النطاق العالمي. وذلك لأن قوي العولمة اليمينية إذا كان يمثلها رمزياً منتدي دافوس الذي يجتمع سنوياً ويضم أقطاب الرأسمالية من مديري الشركات الكبرى ورؤساء الدول والمفكرين والإعلاميين والذي يحظى بتغطية إعلامية هائلة، فإن الحركة المضادة لدافوس AntiDavos والتي تتمثل في شبكة مترابطة من مؤسسات المجتمع المدني العالمي هي القطب المناهض للعولمة الرأسمالية.

غير أنه بالإضافة إلي هذه التعريفات الأيديولوجية للعولمة هناك **تعريف إجرائي** يركز لا علي المضمون السياسي أو الفكري لها، ولكن علي العمليات الرئيسية التي تتضمنها. وهكذا فالعولمة وفق هذا التعريف هي التدفق الحر للسلع والخدمات والافكار والبشر بغير قيود ولا حدود. غير أن هذا التعريف الإجرائي المجرد يتجاهل في الواقع عدداً من القيود التي تفرضها حتى الدول الرأسمالية التي تؤمن بالعولمة. وأبرز مثال لذلك القيود العديدة التي وضعتها الدول الأوروبية أخيراً علي هجرة العمالة اليها من البلاد النامية، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية وهي زعيمة العولمة خالفت قواعد منظمة التجارة العالمية فيما يتعلق بالحماية غير القانونية التي فرضتها للصلب الأمريكي في مواجهة الصلب الأرخص المستورد من بلاد أخري. وبغض النظر عن هذه الخلافات حول تعريفات العولمة وسياساتها، فان هناك إجماعاً بين العلماء الاجتماعيين علي أن العولمة تتضمن نزوعاً لتوحيد العالم ليس علي صعيد الاقتصاد فقط بالتركيز علي الاقتصاد الحر، وليس علي صعيد السياسة فقط بالتأكيد علي الديمقراطية الليبرالية، وإنما علي صعيد القيم أيضاً من خلال التركيز علي احترام التعددية وحقوق الإنسان. غير أن العولمة بحكم الجدل التاريخي ومن واقع الممارسات الفعلية، أدت إلي نوع من أنواع التفتت المجتمعي والتشتت الثقافي."[1]

---

[1] السيد يسين، الإرهاب كظاهرة عالمية، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٥/٤/٢١

ومن هنا فإن مصطلح العولمة " قد يكتسب معانى مختلفة جداً عندما يوظف فى مواضع مختلفة. على سبيل المثال، وكما كتب المفكر الأمريكى **نعوم تشومسكى:** إذا استعملنا التعبير بشكل محايد، فإن العولمة تعنى مجرد تكامل دولى مقبول، ولكن فى الأنظمة المذهبية الغربية، التى تسود فى كل مكان كنتيجة للقوة الغربية، فإن المصطلح يأخذ معنى مختلفاً وأكثر ضيقاً. فهو يشير إلى شكل محدد من التكامل الدولى ... صمم مبدئياً لمصلحة التجمعات الخاصة من القوة."[1]

" فالعولمة تعنى تحويل العالم المتعدد فى دياناته وعاداته وثقافاته إلى شىء متجانس وغير متفاوت، يتميز بعلامة واحدة، يتحد ثقافة وحضارة ومدنية. وهذا مكمن الخطورة؛ فما الجنس الثقافى والاجتماعى والحضارى والمدنى الذى سوف يسود العالم ويجذبه إليه؟. لأن العولمة ممارسة من طرف واحد سلطوى، يحكم العالم بالقوة، ويصوغه على شاكلته ذهنياً وسلوكياً بالعنف، وهو إذ يفعل ذلك فلن يجعله مثله فى علمه وإنتاجيته وانضباطه واحترامه للقانون، ولن يفيض عليه من علمه الدقيق بظاهر الحياة الدنيا ما يجعله نداً، وإنما سيفيض عليه ما يضمن التبعية، ويمكِّن من السيطرة والاستغلال، وهذا ما توحى به صيغة (فوعل) إذ هى إجبار وإلزام، فكأن الغرب المستكبر يفرض ثقافته واقتصاده وأنماط سلوكه ويحتفظ بعلمه وتقنيته، وهو قد فعل مثل ذلك حين لم يسو بين الرجل الأبيض والأسود، والعربى واليهودى، والغربى والشرقى."[2]

ويرى **رولند روبرتسن** – أستاذ علم الاجتماع بجامعة بيتسبرج – أن " ما يسمى عولمة يمكن فهمه بأفضل صورة بأنه يشير إلى مشكلة الشكل التى يصبح العالم من زاويتها موحداً، ولكن دون أن يندمج بصورة وظيفية ساذجة. بعبارة أخرى، فالعولمة كموضوع هى مدخل فكرى لمشكلة النظام العالمى بأشمل معانيه،

---

[1] Maskaliunaite, Asta, Op.Cit.

[2] د. حسن بن فهد الهويمل، الثقافة وتحديات العولمة، فى: العولمة وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص ص ١٤٩-١٥٠

ولكنها مع ذلك مدخل ليست له وسيلة ادراكية دون مناقشة مستفيضة للمسائل التاريخية والمقارنة. كما أنها ظاهرة تتطلب ما يعرف عادة بالتناول المتعدد الأفرع العلمية."[1]

ووفقاً لأستاذ السياسة الأمريكى **جون جراى** فإن " تعبير العولمة يمكن ان يعنى أشياء كثيرة. فهو من ناحية يعنى الانتشار العالمى للتكنولوجيات الحديثة فى الإنتاج الصناعى والاتصالات من كل الأنواع عبر الحدود فى التجارة ورؤوس الأموال والإنتاج والمعلومات. وهذه الزيادة فى الحركة عبر الحدود فى حد ذاتها نتيجة لانتشار التكنولوجيات الجديدة إلى مجتمعات مازالت حتى اليوم فى مرحلة ما قبل الحداثة. والقول بأننا نعيش فى عصر العولمة إنما يعنى القول بأن كل مجتمع تقريباً هو الآن مجتمع صناعى أو يسير فى طريق التصنيع. والعولمة تعنى أيضاً أن كل الاقتصادات تقريباً متشابكة مع الاقتصادات الأخرى على نطاق العالم ... وبمعنى آخر تعد العولمة اختزالاً للتغيرات الثقافية التى تجئ عندما تصبح المجتمعات مرتبطة بالأسواق العالمية ومعتمدة عليها بدرجات متفاوتة. كما أن مقدم التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصالات كان يعنى أن تأثر أشكال الحياة الثقافية ببعضها أصبح أكثر عمقاً من ذى قبل. وخلف ما للعولمة من هذه المعانى كلها، توجد فكرة أساسية واحدة يمكن أن تسمى (**طمس الخصائص المحلية**). اقتلاع الأنشطة والعلاقات من أصولها وثقافاتها المحلية. كما تعنى دفع أنشطة كانت محلية حتى وقت قريب إلى شبكات العلاقات البعيدة أو العالمية النطاق."[2]

---

[1] رولند روبرتسن، رسم خارطة للوضع العالمى، العولمة كفكرة محورية، فى: مايك فيذرستون (محرراً)، ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المشروع القومى للترجمة، العدد ١٣٢، المجلس الأعلى للثقافة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٥. ص٢٠

[2] جون جراى، الفجر الكاذب، أوهام الرأسمالية العالمية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المشروع القومى للترجمة، العدد ١٢٤، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠. ص ص ٨١-٨٣

ويعرف أستاذ علم الاجتماع البريطانى **أنتونى جيدنز** العولمة بأنها: " تنمية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بامتداد العالم، وتمديدها على نطاق عالمى."[(1)]

وهو يرى أن العولمة ليست " مجرد ظاهرة اقتصادية، ولا هى كذلك فى أساسها. وحرى ألا نساوى بينها وبين ظهور نظام عالمى. تتعلق العولمة فى حقيقتها بالتحول فى الزمان والمكان. وأحدد معناها بأنها العمل أو التأثير عن بعد، وأربط شيوعها بكثافة متزايدة فى السنوات الأخيرة بظهور وسائل الاتصال الفورى وحركة الانتقال الجماعية الواسعة على نطاق الكوكب ... وليست العولمة عملية واحدة ووحيدة، بل هى مزيج مركب من عمليات تعمل فى الغالب الأعم بأساليب متناقضة، وتنتج عنها نزاعات وتحزبات حادة وأشكال جديدة من التآلفات الطبقية. وهكذا على سبيل المثال نجد أن عملية إحياء النزاعات القومية المحلية وتزايد حدة الهويات القومية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بتأثيرات العولمة التى يقفون منها موقفاً مناهضاً."[(2)]

" والعولمة وفقاً **لجارودى** هى الوجه الآخر للهيمنة، أو هى التسمية البديلة للهيمنة الشاملة على العالم. والعولمة هى الاستعمار، يقول **ريتشارد هبوت** فى كتابه **(العولمة والأقلمة)**: العولمة هى ما اعتدنا أن نطلق عليه فى العالم الثالث ولعدة قرون اسم الاستعمار. ويعرف **ووترز** العولمة بأنها: عملية اجتماعية يتم من خلالها تقليص القيود التى تفرضها الجغرافيا على الأنظمة الثقافية والاجتماعية كما يصبح الأفراد بدرجة متزايدة على وعى بتراجع هذه القيود."[(3)]

---

(1) Giddens, Anthony, Op.Cit., P.727

(2) أنطونى جيدنز، بعيداً عن اليسار واليمين، مستقبل السياسات الراديكالية، ترجمة: شوقى جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٦، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٢. ص ص ١١-١٢

(3) كمال توفيق حطاب، رؤية إسلامية نحو العولمة، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٣٥. الموقع الإلكترونى للمجلة.

وقد حاولت البحوث الأكاديمية أن تقدم للعولمة مفهوماً وحيد البعد، يقوم على أساس تحديد الأسباب ورصد النتائج، مع أن ظاهرة العولمة – كما يرى المفكر الاجتماعى المصرى **السيد يسين** – " تحتاج إلى صياغة نموذج متعدد الأبعاد حتى نصل إلى جوهرها الحقيقي. وهذا النموذج – من وجهة النظر المعرفية – لابد له من أن يربط ربطاً عضوياً وثيقاً بين تعريفات العولمة المختلفة والمسلمات التى تقوم عليها، والأطروحات التى تتضمنها، ومجالات السياسات التى تصاغ بناء على هذه المسلمات، وصور المقاومة لها، وذلك من خلال منظور معرفى متكامل."[1]

ويقسم **السيد يسين** تعريفات العولمة المتعددة إلى أربعة مجموعات تتباين فى نظرتها للعولمة وطبيعتها كالتالى:[2]

١- **حقبة تاريخية:** ينزع هذا التعريف للعولمة إلى اعتبارها حقبة تاريخية أكثر منها ظاهرة اجتماعية، أو إطاراً نظرياً، وهى المرحلة التى أعقبت الحرب الباردة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

٢- **مجموعة ظواهر اقتصادية:** ويعتبر بمثابة تعريف اقتصادى للعولمة، حيث يعتبرها سلسلة مترابطة من الظواهر الاقتصادية التى تتضمن تحرير الأسواق، وخصخصة الأصول، وانسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها، ونشر التكنولوجيا، والتكامل بين الاسواق الرأسمالية، وإعادة صياغة للتقسيم الدولى للعمل.

٣- **هيمنة القيم الأمريكية:** ويعبر عن هذا الاتجاه كتاب فوكوياما[*] (نهاية التاريخ) الذى اعتبر فيه سقوط الاتحاد السوفيتى وانهيار الكتلة الشيوعية انتصاراً نهائياً للرأسمالية والأيديولوجية الأمريكية.

---

[1] السيد يسين، الحوار الحضارى فى عصر العولمة، دار نهضة مصر للطباعة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٥. ص٢٣٨

[2] المرجع السابق، ص ص ٢٤١-٢٤٣

[*] **فرنسيس فوكوياما:** مفكر أمريكى من أصل يابانى، أستاذ السياسة بجامعة جورج ماسون، ومستشار مؤسسة راند الأمريكية، عمل نائباً لمدير إدارة التخطيط فى وزارة التخطيط الأمريكية عام ١٩٨٩، من أهم مؤلفاته (نهاية التاريخ وخاتم البشر) و(الاضطراب العظيم).

٤- **ثورة تكنولوجية اجتماعية:** يرى هذا التعريف أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط تم فيها الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم ما بعد الصناعى استناداً إلى الثورة التكنولوجية والاتصالية، لتدعيم السوق الكونية الواحدة.

ويرى السيد يسين أن " هذه التعريفات جميعاً تكاد تكون المكونات الأساسية لتعريف واحد جامع للعولمة، فهى تجمع بين جنباتها كونها تمثل حقبة تاريخية، وهى تجلٍ لظواهر اقتصادية، وهى فى الوقت الراهن على الأقل هيمنة للقيم الأمريكية، وهى أخيراً ثورة تكنولوجية واجتماعية. غير أن هذا لا ينفى أن من يتبنى أى تعريف من التعريفات، يمكن أن يصل فى تحليله إلى نتائج سياسية مختلفة، وذلك وفقاً للأيديولوجية التى ينطلق منها."[1]

ويرى بعض المفكرين أن **العولمة ليست سوى مرادف للأمركة**، انطلاقاً من الهيمنة الاقتصادية الأمريكية على النطاق العالمى، وتأثر السياسات الاقتصادية فى كل بلدان العالم بما يجرى فى الولايات المتحدة، لعدة أسباب فى مقدمتها:[2]

١- ضخامة الاقتصاد الأمريكى وأبعاده الكونية.

٢- سيطرة رأس المال الأمريكى على مشروعات واقتصاديات فى كافة أرجاء المعمورة.

٣- أن الدولار الأمريكى أصبح وسيلة التبادل ومخزن القيم وأداة التسوية الرئيسية لمعظم دول العالم.

٤- سيطرة الولايات المتحدة على مؤسسات (بريتون وودز) وإملاء سياستها عليها، لتمليها هذه المؤسسات بدورها على مختلف دول العالم.

---

(1) المرجع السابق، ص ٢٤٤

(2) إبراهيم نافع، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢. ص ص ٩٧-٩٨

٥- سيطرة الولايات المتحدة على الانشطة الاقتصادية الحاكمة، مثل صناعة المعلومات والبرمجيات، وعلى صناعة الخدمات والتمويل.

٦- تحول الولايات المتحدة لأكبر سوق لاستثمار رءوس الأموال الأجنبية.

٧- حرص البنوك الأجنبية على فتح فروع لها فى الولايات المتحدة للاستثمار فيها.

فالعولمة " شقت طريقها منذ بداية التسعينات، أى مع انهيار الاتحاد السوفيتى وانتصار الرأسمالية. وكانت الولايات المتحدة هى موطن هذا التيار وقائدته أيضاً. ومع أن البعض اعتبرها تطوراً طبيعياً لما اعترى الاقتصاد العالمى من تطورات فى أواخر القرن العشرين حيث أصبح العالم سوقاً اقتصادية واحدة زالت فيها الحدود الوطنية، إلا أنها فى الحقيقة هى الوجه الفكرى لفلسفة السوق الأمريكية ذاتها، والأهم من ذلك هى الجسر الذى تنتقل من خلاله الثقافة الأمريكية بكل رموزها. ولم تكن مصادفة أن يتزامن تصاعد الظاهرة مع الإعلان عن قيام النظام العالمى الجديد الذى بشر به الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب عقب سقوط الاتحاد السوفيتى. وكان هدف هذا النظام هو إعادة صياغة العلاقات الدولية والأسس التى تقوم عليها وفقاً للرؤية الأمريكية فقط، أى بما يحقق مصالح الولايات المتحدة الوطنية حتى لو اجتهد الأمريكيون فى تقديمها على أنها سبيل الخلاص للبشرية جمعاء من العنف والتخلف. "[1]

وهكذا " أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى القوة الرئيسية فى العالم، وقد تمكنت باستخدامها من إفساح الساحة أمامها لتحقيق مآربها وفرض قوانينها على حساب الدول الأخرى، حتى ولو تعارض ذلك مع القوانين الدولية المتعارف عليها. حيث تعمل جميع المنظمات – ومن بينها منظمة التجارة العالمية – وفقاً لرغبات

---

[1] د. عبد العاطى محمد، شيوخ بلا خناجر .. تحولات الإسلام السياسى فى مصر، دار مصر المحروسة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤. ص ص ٢٤-٢٥

الإدارة الأمريكية، ومن يخالفها يتم إبادته أو تفكيكه وإعادة تركيب نظامه الداخلى بما يتسق والتوجهات والمصالح الأمريكية. ومن هنا أصبحت العولمة مرتبطة بالهيمنة الأمريكية، وشكل ذلك عائقاً للنمو والتقدم أمام الدول الصغرى، الأقل تطوراً، والتى لا تملك القدرة على منافسة الدول الكبرى والمتقدمة، وبذلك نشأ العداء ضد العولمة بصفة عامة، وضد الإدارة الأمريكية نفسها بصفة خاصة."[1]

" فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهراً أساسياً من مظاهر التطور الحضارى الذى يشهده عصرنا، هى أيضاً **أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته**. وقد حددت وسائلها لتحقيق ذلك فى الأمور التالية:"[2]

١- استعمال السوق العالمية أداة للإخلال بالتوازن فى الدول القومية، فى نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية.

٢- اتخاذ السوق والمنافسة التى تجرى فيها مجالاً للاصطفاء بالمعنى الداروينى للكلمة (البقاء للأقوى)، وهذا يعنى أن الدول والأمم والشعوب التى لا تقدر على المنافسة سيكون مصيرها، بل يجب أن يكون، الانقراض.

٣- إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلى والعالمى.

ويرى البعض أن غياب التعريف المحدد للعولمة يعود إلى كونها " مقولة يود أصحابها ابقاءها بعيداً عن الفهم الكامل والصحيح، وتقديمها فى بعض مظاهرها الاقتصادية والإعلامية الإيجابية، حتى تظل سراً من جهة، ومن جهة ثانية، حتى يتركوا فرصة للمجتمعات الأخرى لتعطيها المفهوم الذى تتصوره لتظهر وكأنها انبثقت من داخل هذه المجتمعات ولم ترد إليها من خارجها، وهذا أسوأ أشكال

---

[1] د. أحمد مجدى حجازى، أمركة العولمة ورد الفعل المضاد، جريدة الأهرام المصرية، عدد السبت ٢٠٠٦/٢/٤.

[2] محمد عابد الجابرى، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، مجلة فكر ونقد، ص ص٣-٤ الموقع الإلكترونى للمجلة. www.fikrwanakd.aljabriabed.net

الاستعمار الفكرى، كما يشرحه مالك بن نبى فى كتابه الصراع الفكرى، فتصبح العولمة فى هذه الحالة عولمة ذاتية، وهذه أخطر أنواع العولمة، لأن المجتمعات تتصور أنها تطور طبيعى فى حركتها بينما هى سيقت مجبرة إليها."[1]

وهكذا تتعدد وجهات النظر حول العولمة، وتتعدد تبعاً لذلك محاولات توصيفها وتعريفها، فهى عند البعض " تعنى إزالة الحواجز السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى تتحرك رؤوس الأموال والأفكار والسلع والخدمات بحرية. وعند **فريق ثان**، فإن العولمة هى الوجه الحديث للاستعمار، والموجة الجديدة من سيطرة الغرب الأوربى والأمريكى على مقدرات العالم الثالث. وعند **فريق ثالث**، فإن العولمة هى المرادف الموضوعى للأمركة، وللهيمنة الأمريكية، ولسيادة نمط الأفكار الأمريكية، والثقافة الأمريكية، والمأكولات والأزياء الأمريكية. وعند **فريق رابع**، فإن العولمة ليست إلا ستاراً تتحرك تحته الشركات العملاقة متعددة الجنسيات وعابرة القارات، التى لها ميزانيات تفوق ميزانيات العديد من الدول، ولها مصالح لا تتطابق مع مصالح الدول، ولها طموحات لا تقف عند حدود، ومن ثم فإنها ترفع شعار العولمة كى تفسح لنفسها طريق التوغل، وترفع شعار العولمة كى تزيل التشريعات المحلية والمنافسات المحلية، فتنتشر دون أى عائق، بغض النظر عما إذا كانت مصالح هذه الشركات تضر بمصالح الدول الفقيرة فى العالم الثالث."[2]

ويرفض **الدكتور جلال أمين** إصرار البعض على تقديم تعريف جامع مانع للعولمة، لأن "الظواهر التى يثيرها فى الذهن لفظ العولمة كثيرة ومعقدة، وتمس مختلف جوانب الحياة، اقتصاداً وسياسة واجتماعاً وثقافة ..الخ" ولذلك فهو يرى أنه " من الأنسب فى التعامل مع ظاهرة كالعولمة أن يكون الكاتب مستعداً للاعتراف بأنه لم يلمس كل جوانبها وأطرافها، تاركاً بعض هذه الجوانب لغيره."[3]

---

[1] د. عبد الله العشى، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. ص ٦ www.alminbar.al-islam.com

[2] إبراهيم نافع، مرجع سابق، ص ٢٣٩

[3] د. جلال أمين، العولمة كمثال لصناعة الأفكار، مرجع سابق. ص٧٨

وانطلاقاً من هذا الرأى حاولنا وضع تعريف للعولمة يلائم طبيعة الكتاب وأهدافه، تمثل فى تعريف العولمة بأنها:

(مرحلة تاريخية بدأت مع بداية التسعينات من القرن العشرين، نتيجة للثورة التكنولوجية والمعلوماتية والاتصالية، بهدف تحويل العالم كله إلى نظام موحد – اقتصادياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً وإعلامياً – تسوده القيم الغربية عامة، والأمريكية على وجه الخصوص، من خلال آليات معينة للهيمنة تتمثل فى: الشركات متعددة الجنسيات، وبعض المنظمات الدولية (كمنظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولى، والبنك الدولى)، وبعض الاتفاقيات الدولية، والشبكات العالمية للمنظمات غير الحكومية، والهيمنة الإعلامية، والقوة العسكرية.)

ثانياً: نشأة العولمة وتطورها:

" إن التاريخ الإنسانى مزدحم بالأفكار عن البنية الفيزيقية للعالم وجغرافيته وموقعه الكونى ومكانته الروحية والعلمانية. وقد نشأت الحركات والتنظيمات المهتمة بتنميط العالم ككل أو توحيده منذ ألفى عام على الأقل، وهناك أفكار عن الصلة بين العالمى والخاص كانت محورية بالنسبة لكل الحضارات الكبرى ... كما أن **معظم تاريخ العالم يمكن اعتباره سلاسل متتابعة من صيغة مصغرة من العولمة**، بمعنى أن قيام الإمبراطوريات التاريخية مثلاً كان يشتمل على توحيد أقاليم وكيانات اجتماعية كانت منعزلة من قبل. كما كانت هناك تحولات فى الاتجاه المضاد، كما هو الحال فى تفكك أوروبا فى العصور الوسطى، ولو أن نشأة الدولة الإقليمية ساعد على دفع **الإمبريالية**(*) قدماً ومعها تصورات عن العالم ككل."[(1)]

(*) **الإمبريالية Imperialism** : يعنى المصطلح حرفياً نزعة تكوين إمبراطورية، ويعود أصل استخدامه إلى ستينات القرن ١٩ للإشارة إلى الطموحات العسكرية والسياسية لنابليون الثالث فى فرنسا، ثم استخدم فيما بعد لوصف تنافس القوى العظمى بشكل عام، بما فى ذلك المنافسة العسكرية والسيطرة على المستعمرات فى أفريقيا وآسيا. وفى الوقت الحالى يكاد يقتصر =

وقد اختلف الباحثون فى التأريخ لنشأة العولمة على قولين:

الأول: يرى أنها ظاهرة قديمة، ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى. "فالعناصر الأساسية فى فكرة العولمة: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة فى تبادل السلع والخدمات، أو فى انتقال رؤوس الأموال، أو فى انتشار المعلومات والأفكار، أو فى تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم. كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ عدة قرون، وعلى الأخص منذ الكشوف الجغرافية فى أواخر القرن الخامس عشر، ومنذ ذلك الحين والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول تزداد قوة، باستثناء فترات قصيرة للغاية مالت خلالها الدول إلى الانكفاء على ذاتها ... الظاهرة عمرها إذن خمسة قرون على الأقل، وبدايتها ونموها مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بتقدم تكنولوجيا الاتصال والتجارة، منذ اختراع البوصلة وحتى الأقمار الصناعية."[2]

والثانى: يرى أن العولمة ظاهرة حديثة. " فما هى إلا امتداد للنظام الرأسمالى الغربى، بل هى المرحلة الأخيرة من تطور النظام الرأسمالى العلمانى المادى النفعى، وقد برزت فى النصف الثانى من القرن العشرين نتيجة أحداث سياسية واقتصادية معينة، منها: انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية بسقوط الاتحاد السوفيتى سياسياً واقتصادياً، وما أعقبه من انفراد الولايات المتحدة بالتربع على عرش الصدارة فى العالم المعاصر، وانفرادها بقيادته السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومنها: بروز القوة الاقتصادية الفاعلة من قبل

=

استخدامه على الإشارة إلى الهيمنة الاستعمارية التى تمارسها الدول الأكثر تقدماً، ومن ثم أصبح مرادفاً للاستعمار.

[1] رولند روبرتسن، مرجع سابق، ص ص٢٢-٢٣

[2] د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص ص ١٣-١٤

المجموعات المالية والصناعية الحرة عبر شركات ومؤسسات اقتصادية متعددة الجنسيات، ومدعومة بصورة قوية وملحوظة من دولهم."[1]

ويتتبع **رولند روبرتسن** – أستاذ الاجتماع بجامعة بتسبرج – النشأة التاريخية للعولمة من خلال تعقب البعد الزمنى الذى أوصلنا إلى الوضع الراهن من خلال المراحل الخمس التالية:[2]

المرحلة الأولى: وهى المرحلة **الجنينية**، والتى استمرت فى أوروبا منذ أوائل القرن الخامس عشر وحتى أواسط الثامن عشر، والتى شهدت النمو الأولى للجماعات القومية، وبروز مفاهيم الفرد وظهور أفكار إنسانية.

المرحلة الثانية: وهى المرحلة **الأولية**، والتى استمرت منذ أواسط القرن الثامن عشر وحتى السبعينيات منه، واتسمت بالتحول الجذرى نحو فكرة الدولة المتجانسة الموحدة، وتبلور مفاهيم العلاقات الدولية الشكلية، والزيادة الهائلة فى عدد المؤسسات والهيئات المختصة بالنظم والاتصال الدولى وعبر القومى، وطرح قضية النزعتين القومية والدولية.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة **الانطلاق**، والتى استمرت من سبعينيات القرن الثامن عشر وحتى أواسط عشرينيات القرن العشرين، وتميزت بظهور مفاهيم عالمية عن الصورة المثلى للمجتمع الدولى، والزيادة الهائلة فى عدد أنماط الاتصال العالمى وسرعتها، ونمو صور التنافس العالمى، والحرب العالمية الأولى، وتأسيس عصبة الأمم.

المرحلة الرابعة: وهى مرحلة **الصراع على الهيمنة**، واستمرت من أوائل عشرينيات القرن العشرين وحتى أواسط الستينيات منه، وتميزت بالجدل حول

---

[1] د. صالح الرقب، العولمة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢. ص ٥ نسخة الكترونية من موقع: www.aklaam.com

[2] رولند روبرتسن، مرجع سابق، ص ص ٢٦–٢٧

المصطلحات الهشة لعملية العولمة، ونشوب صراعات دولية حول أساليب الحياة وطبيعة الإنسانية ومستقبلها، وظهور القنبلة الذرية، وتأسيس الأمم المتحدة.

المرحلة الخامسة: وهى مرحلة **الشك،** وبدأت فى الستينيات واتجهت نحو التأزم فى أوائل التسعينيات من القرن العشرين، وتميزت بارتفاع الوعى العالمى، والهبوط على سطح القمر، وبروز قيم ما بعد المادية، ونهاية الحرب الباردة، وانتشار الأسلحة النووية، وتزايد عدد المؤسسات والحركات الدولية، ونهاية الثنائية القطبية، وظهور المشكلات الثقافية والعرقية، وتزايد الاهتمام بالمجتمع المدنى والمواطنة العالمية، واندماج النظام الإعلامى العالمى.

أما عالم الاجتماع الأمريكى **تشارلز تلى** فيميز بين ثلاث موجات للعولمة:[1]

الموجة الأولى ١٥٠٠-١٨٥٠: ونتجت عن النفوذ سريع الانتشار لأوروبا، ونمو الامبراطورية العثمانية، والتوسعات الموازية للتجار الصينيين والعرب فى المحيطين الهندى والهادى، وانتهى التوسع العثمانى فى القرن التاسع عشر، وحل التجار الأوروبيين محل التجار المسلمين جزئياً عبر المحيط الهندى والباسفيك، إلا أن الأوروبيين والصينيين واصلوا نصيبهم فى العملية الأولى للعولمة ما بعد عام ١٥٠٠ وحتى القرن العشرين.

الموجة الثانية ١٨٥٠-١٩١٤: حيث بلغت التجارة الدولية وتدفقات رأس المال ارتفاعات غير مسبوقة خاصة عبر المحيط الأطلنطى، وقد كان للتحسينات التى أدخلت على وسائل النقل والاتصال مثل السكك الحديدية والبواخر والهاتف والتلغراف أن تخفض من تكلفة هذه التدفقات بل والإسراع من إيقاعها، وقد عمقت الموجة الثانية من العولمة التباين فى الثروة ومستوى المعيشة بين هؤلاء المستفيدين منها ومن عداهم، وتباطأت هذه الموجة بين الحربين العالميتين.

---

[1] تشارلز تلى، الحركات الاجتماعية ١٧٦٨-٢٠٠٤، ترجمة وتقديم: ربيع وهبه، المشروع القومى للترجمة، العدد ٩٥٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥. ص ص ٢٠١-٢٠٣

الموجة الثالثة والأخيرة ١٩٥٠ فصاعداً: وبدأت بعد تعافى أوروبا وآسيا من آثار الحرب العالمية الثانية، حيث تسارعت تدفقات البضائع ورءوس الأموال لمستوى تجاوز حتى مستويات القرن التاسع عشر، وتسارعت التجارة الدولية بين البلدان والمؤسسات اعتماداً على الشركات متعددة الجنسيات وسيطرتها على الأسواق ومواقع التصنيع ومواقع الموارد الخام فى بلدان مختلفة.

وعلى الرغم من إرجاع أغلب الباحثين نشأة العولمة إلى أكثر من خمسة قرون مضت، إلا أنه من المهم الاعتراف بأن هناك أشياء جديدة ومهمة قد طرأت على ظاهرة العولمة فى الثلاثين عاماً الأخيرة، يحددها **الدكتور جلال أمين** فى النقاط التالية:[1]

١- انهيار أسوار عالية كانت تحتمى بها بعض الأمم والمجتمعات من تيار العولمة، ومن ثم اكتسح تيار العولمة مناطق مهمة من العالم كانت منعزلة بدرجة أو بأخرى.

٢- الزيادة الكبيرة فى درجة تنوع السلع والخدمات التى يجرى تبادلها بين الأمم، وكذلك تنوع مجالات الاستثمار التى تتجه إليها رؤوس الأموال المتنقلة من بلد إلى آخر.

٣- ارتفعت بشدة نسبة السكان فى داخل كل مجتمع أو أمة، التى تتفاعل مع العالم الخارجى وتتأثر به.

٤- ظل تبادل السلع ورءوس الأموال هو العنصر المسيطر على العلاقات بين الدول حتى وقت قريب، ثم بدأ تبادل المعلومات والأفكار يصبح هو العنصر الغالب على هذه العلاقات، أو على الأقل هو العنصر الأسرع نمواً.

٥- أصبحت الشركات متعددة الجنسيات هى الوسيلة الأكثر فعالية ونشاطاً فى تحقيق هذا الانتقال السريع للسلع ورأس المال والمعلومات والأفكار، والمهيمنة عليه.

---

[1] د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص ص ١٤-١٩

٦- التغير الملحوظ الذى طرأ على مركز الدولة من هذا النمو فى العلاقات بين المجتمعات. فكما حلت الدولة محل الإقطاعية تدريجياً منذ نحو خمسة قرون، تحل اليوم الشركة متعددة الجنسيات تدريجياً محل الدولة، والسبب فى الحالين واحد: التقدم التقانى وزيادة الانتاجية والحاجة إلى أسواق أوسع.

ويرى **أيان دوشسن** – مدير عام شركة ماكينزى الفرنسية – أن ظاهرة العولمة قد بدأت تحت تأثير خمسة عوامل مهمة تتمثل فيما يلى:[1]

١- تحرير الأسواق والخصخصة.

٢- تطبيق النظام القياسى فى مجال التكنولوجيا مع التطور السريع للنظام الرقمى والمعايير العالمية.

٣- توافر رأس المال المتزايد.

٤- الانخفاض السريع لتكاليف النقل بسبب الإختراعات الحديثة.

٥- الهبوط الحاد لتكاليف التفاعل، وهى التكاليف المستحقة لجعل الأفراد والمنشآت يعملون سوياً بهدف تبادل السلع أو الخدمات أو البحث عن المعلومات وتنسيق الأنشطة والأداء.

وهكذا فقد تغير العالم فى ربع القرن الأخير تغيراً يكاد يعيد تشكيل الخريطة الجغرافية والتاريخية والثقافية والروحية، إن لم يكن قد أعاد تشكيلها بالفعل. وقد ساعد على هذا التحول الرهيب أمران أساسيان:

الأمر الأول هو ثورة المعلومات التى تعد ثورة حقيقية لا مجازاً، لقد أصبح ما كان فى حكم الخرافى واقعاً مدهشاً، وأصبح التوالد العلمى بلا حدود. " فقد أدخلتنا تكنولوجيا المعلومات والاتصال وكذلك الثورة الرقمية، طوعاً أو كرهاً، فى عصر

---

[1] أيان دوشسن، العولمة وتأثيرها الشديد على المنشأة، فى: ايف ميشو (مشرفاً)، جامعة كل المعارف، الجزء الثالث: ما المجتمع؟، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧١٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥. ص ص٩٠٨-٩١١

جديد، تتمثل سماته المميزة الرئيسية فى النقل الفورى للمعطيات اللامادية وانتشار الصلات والشبكات الإلكترونية. ويشكل الانترنت قلب التحول الكبير الجارى، وتقاطع طرقه، ومحصلته التركيبية. وتمثل الطرق السريعة للاتصال، فى العصر الراهن، ما كانت تمثله السكك الحديدية فى العصر الصناعى: عوامل جبارة لدفع وتكثيف المبادلات. "[1]

والأمر **الثانى** هو أن هذه الثورة العلمية أصبحت تهيمن عليها وتوجهها مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية، هى نفسها التى توجه الحضارة المعاصرة لتهيمن على الكوكب الأرضى كله. " فى مثل هذا المناخ ظهرت العولمة ليس بوصفها مقولة علمية مجردة حيادية، بل بوصفها مقولة أيديولوجية استغلت نتائج العلم المعاصر من أجل الهيمنة على العالم وتوحيده خارج حدود الثقافات والهويات الخاصة."[2]

وبناء على ذلك فإن العولمة الحالية فى حقيقتها ليست إلا **عولمة نمط معين من الحياة،** " شاع الاعتقاد بضرورة تبنيه واتباعه لمجرد أنه يندر أن تثار مسألة خصوصيته، وارتباطه بثقافة معينة، ونظرة معينة للحياة والكون (أى بأيديولوجية معينة فى الحقيقة). ومسألة الخصوصية هذه نادراً ما تثار بسبب طول عهدنا باكتساح هذا النمط لحياتنا. وبسبب اشتداد هذا الاكتساح وسرعته فى العقود الأخيرة. وبسبب وجود مصلحة أكيدة لأصحاب الثقافة والمنتجات التى تجرى عولمتها فى عدم افتضاح خصوصيتها، واستخدامها مختلف وسائل القهر المادى والسياسى والنفسى والعقلى لتصدير ما هو خاص على أنه إنسانى وعام."[3]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٦

[2] د. عبد الله العشى، مرجع سابق. ص ٥

[3] د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص ٣٣

ثالثاً: مجالات العولمة وأشكالها:

ميز **ستانلى هوفمان** ثلاثة أنواع من العولمة كالتالى:[1]

العولمة الاقتصادية: وتتمثل فى الاعتماد الاقتصادى المتبادل عبر الأمم، والذى عرف ببعض القواعد المحددة للعبة، التى خلقت بواسطة الأقوياء، ولكنها مقدسة فى الهياكل المؤسساتية الدولية، مثل البنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية، مع معايير دولية أخرى تتدفق من هذه الاتفاقيات.

العولمة الثقافية: وهى نتيجة للعولمة التقنية والاقتصادية والجهود الرامية إلى تشكيل المجتمعات المدنية العالمية بواسطة ترويج ما هو أساساً ثقافة غربية تحت الهيمنة الأمريكية باعتبارها ثقافة عالمية، والتى يشير إليها الكثيرون كتحويل للعالم إلى ثقافة الماكدونالدز!!.

العولمة السياسية: وتتمثل فى انتشار قوة عظمى وحيدة واحدة، وفى الشروط العسكرية السياسية التى أعلنتها الولايات المتحدة فى ٩/١١ للسيطرة على اعتناق قضايا اقتصادية ضمن إطار السياسة العسكرية، وكذلك من خلال تحرك الولايات المتحدة المتزايد نحو سياسة التدخل المنفرد فى العالم، بشكل يهدد المعايير والمعاهدات الدولية.

ويرى **برجيت سترن** – الأستاذ بجامعة باريس – " أن العولمة ليست اقتصادية فحسب، بل أن تطور تقنيات **الإعلام** والاتصال قد جعلت من العالم قرية صغيرة. والتليفزيون المتجاوز للحدود يقدم لنا مثالاً على هذه التقنيات التى لا تلقى بالاً للحدود ولا لسيادة الدول؛ فهى تتيح لكل فرد يمتلك هوائياً فضائياً التقاط البث القادم من كافة أنحاء العالم دون المرور بملتقط مركزى يقع تحت رقابة الدولة ... أضف إلى ذلك أن كافة وسائل الاتصال الجديدة الأخرى، مثل الفاكس والبريد الإلكترونى

---

(1) Mazari, Shireen M., Op.Cit.

وشبكة الإنترنت تتجاوز أيضاً حدود الدولة. وبالطبع فإن هاتين الظاهرتين – العولمة الاقتصادية و**عولمة الإعلام** – تعاضد كل منهما الأخرى. فوسائل الاتصال تتطور لخدمة التفاعلات بين البشر كما لخدمة التبادلات التجارية على ما تنطوى عليه من نمو لما يعرف باسم التجارة الإلكترونية أو الاقتصاد التخيلى."[1]

وبالنسبة للعولمة فى المجال الثقافى فإننا يمكن أن " نلاحظ عملية توحيد ثقافى للعالم تتم بواسطة أنظمة المعلومات ووسائل الإعلام، وكذلك بواسطة السلع التى تسهم فى إحداث أنماط استهلاكية هى جزء من الثقافة السائدة والمتجانسة فى عالم اليوم. فهناك عملية توحيد ثقافية للعالم تبدو فى بعض الأحيان قسرية يختبرها الناس كعملية مفروضة عليهم، وأحياناً تتم بهدوء من دون أن يعى الناس أنهم صاروا متجانسين مع من ينتمون فى الأصل إلى ثقافة أخرى ... لكن فى الوقت الذى تفرض فيه عملية التوحيد الثقافى هذه، تقوى عند المجتمعات والأفراد أيضاً الرغبة فى التمايز؛ لأن الناس مفطورون على أن يكونوا متنوعين، فكلما ازداد ضغط التوحيد والتجانس وازداد فرضهما قوة، ازدادت الرغبة فى التمايز، وهذه إحدى مفارقات العولمة الثقافية."[2]

ويحدد بعض الباحثين أهم أنواع العولمة فى ثمانية أبعاد تتمثل فيما يلى:[3]

١- **العولمة المالية:** وتصف السوق المالية للنتاجات المالية المتعامل بها فى المدن المالية عبر العالم على مدى أربع وعشرين ساعة يومياً.

٢- **العولمة التكنولوجية:** وتصف المجموعة المترابطة من تكنولوجيا الكمبيوتر والاتصالات وعمليات ربطها بالأقمار الصناعية والتى نجم عنها انضغاط الزمان/ المكان والانتقال الفورى للمعلومات عبر العالم.

---

(1) برجيت سترن، دول وسيادات، سياسة الدولة فى مواجهة العولمة، فى: ايف ميشو (مشرفاً)، مرجع سابق. ص ١٢٣٥

(2) د. طارق مترى، العولمة والصحوة الدينية، مجلة العربى الكويتية، العدد ٥٧٢، يوليو ٢٠٠٦.

(3) د. مصطفى دسوقى كسبة، المستقبل الاقتصادى للعالم الإسلامى فى ظل العولمة، فى مستقبل الأمة الإسلامية، مرجع سابق. ص ص ٣٥٧-٣٥٨

٣- **العولمة الاقتصادية:** وتصف نظم الانتاج المتكامل الجديدة التى يساعد الشركات الكونية على استغلال المال والعمل عبر العالم على اتساعه.

٤- **العولمة الثقافية:** وتشير إلى استهلاك النتاجات الكونية عبر العالم، وتعنى ضمناً فى أكثر الأحيان التأثير المهيمن كما فى تعبير (الكوكلة وعالم ماك).

٥- **العولمة السياسية:** وتمثل انتشار برنامج **الليبرالية الجديدة**(*) المؤيدة لخفض انفاق الدولة، والتحرير التشريعى، والخصخصة، والاقتصاديات المفتوحة، بوجه عام.

٦- **العولمة البيئية:** وهى الخشية من أن تتجاوز الاتجاهات الاجتماعية الراهنة قدرة كوكب الأرض على البقاء ككوكب حى، وهى تطمع إلى أن تصبح عولمة سياسية خضراء.

٧- **العولمة الجغرافية:** وتتعلق بإعادة تنظيم الحيز أو المساحة فى الكوكب بإحلال الممارسات المتعدية للدولة القومية محل الممارسات الدولية، فى عالم تذوب فيه الفواصل الحدودية بصورة متزايدة، عالم سينظر إليه فى أغلب الأحيان على أنه شبكة من المدن العالمية.

٨- **العولمة السوسيولوجية:** هى ذلك الخيال الجديد الذى يستشرف ظهور مجتمع عالمى واحد، أو كل اجتماعى مترابط، يتجاوز حدود المجتمعات القومية.

(*) **الليبرالية الجديدة Neo-Liberalism** : كتلة غير محددة بدقة من الأفكار التى مارست تأثيراً كبيراً خلال فترة الثمانينات من القرن العشرين، والتى نهضت على التأكيد بقوة على الليبرالية الكلاسيكية التى نشأت وتطورت إبان القرنين ١٨، ١٩ كحركة واكبت نمو الحرية الفردية فى مجالات عديدة من الحياة، ودعمت الدعوة لتطوير الديمقراطية، وتعميم الحقوق الانتخابية وتأكيد حرية التعبير وتوسيع نطاق الحريات المدنية، وتدعيم المنافسة الحرة فى الميدان الاقتصادى، ورفض معظم صور التدخل الحكومى فى الأنشطة الاقتصادية.

وهكذا تتعدد أبعاد وأشكال ظاهرة العولمة لتشمل مجالات الحياة جميعها، وإن كان بعض الباحثين يرى أن **جميع أنماط وأشكال العولمة ليس إلا انعكاس للعولمة الاقتصادية** ونتاج لها وأثر من آثارها. " فظاهرة العولمة فى محدداتها، فى جوهرها، فى مضمونها، وفى مكوناتها العضوية. هى أصلاً وبالأساس ظاهرة اقتصادية صرفة ... بيد أن تبعاتها، انعكاساتها، آثارها، تتفرع لتطال الثقافة والسياسة واللغة ولربما الهوية والخصوصية والذاتية وغيرها."[1]

والحقيقة أن العولمة ليست مجرد ظاهرة اقتصادية كما تؤكد الليبرالية الجديدة، ولكنها ظاهرة متعددة الأبعاد تتضمن جوانب اقتصادية وسياسية وثقافية، وإن ظل الجانب الاقتصادى، المتمثل فى تحرير التجارة الدولية، هو الجانب الأكثر أهمية.

رابعاً: قوى العولمة وآلياتها:

للعولمة كظاهرة اجتماعية قوى فاعلة متعددة، وآليات متنوعة للإدارة والسيطرة العالمية، وكما يرى المفكر الفرنسى **ابنياسيو رامونيه** فقد " عززت ظاهرة العولمة، وتهاون القادة السياسيين، خلال تسعينات القرن العشرين، حدوث تحول عميق للسلطة. والواقع أن السادة الحقيقيين للعالم لم يعودوا أولئك الذين يملكون مظاهر السلطة السياسية. بل هم أولئك الذين يسيطرون على الأسواق المالية، والجماعات الإعلامية الكوكبية، والطرق السريعة للاتصال، والصناعات المعلوماتية، والتكنولوجيات الجينية. وتحت إشراف هذا المجلس للرقابة الكوكبية، احتل مكان الصدارة نوع من الإدارة العالمية، من الحكومة الحقيقية للعالم، ويتمثل فاعلوها الأربعة الرئيسيين فى: **صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية، ومنظمة التجارة العالمية.** وغير مكترثة تجاه الجدال

(1) يحيى اليحياوى، فى إشكالية العولمة، مقال منشور على موقع: www.elyahyaoui.org

الديمقراطى، وغير خاضعة للانتخابات العامة، تقود هذه السلطات غير الرسمية الأرض بالفعل وتقرر بسيادة كاملة مصير سكانها. دون أن تأتى أى سلطة مضادة لتصحح أو تعدل أو ترفض قراراتها. ذلك أن السلطات المضادة التقليدية – البرلمانات، الأحزاب، وسائل الإعلام – إما أنها محلية أكثر مما ينبغى، أو متواطئة للغاية. كما أنه لموازنة هذه السلطة التنفيذية الكوكبية يشعر الجميع بصورة مبهمة بالحاجة إلى خلق سلطة مضادة مدنية عالمية. "[1]

ويرى الباحث الأمريكى **فيليب ماك مايكل** فى كتابه (العولمة أساطير وحقائق) الصادر عام ١٩٩٦ أن العولمة " تعتبر نقلة نوعية فى شكل التنظيم الاجتماعى، تمثل تحولاً تاريخياً فى نظام العالم الرأسمالى. يستخدم رأس المال المضارب مؤشرات موحدة عالمياً للجدارة الائتمانية لتقرير أى الشركات أو حتى الحكومات يمكنها اقتراض المال وبأى شروط. ويضع هذا التوحد العالمى سلطة هائلة فى أيدى **طبقة حاكمة عالمية جديدة.** ويصنف ماك مايكل هذه النخبة فى ثلاث فئات من المديرين: البيروقراطيين والسياسيين الراغبين فى خفض الانفاق الحكومى والعمل بمقتضى القواعد العالمية الجديدة التى تعتمد بلا رحمة على الكفاءة، ومالكى الشركات متعدية القوميات، والبنوك الدولية ومديريها التنفيذيين، وأولئك الذين يديرون منظمات متعددة الأطراف مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية."[2]

" ويشير **تشومسكى** إلى ما يسميه **(الحكومة الواقعية العالمية)** التى تحكم العالم وتضعف سيادة الدول والتى تتشكل من صندوق النقد الدولى، البنك الدولى، مجموعة الدول الصناعية السبع، والاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (الجات)،

---

(1) ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ١٥٨–١٥٩

(2) ج. تيمونز روبيرتس، أيمى هايت، من الحداثة إلى العولمة، رؤى ووجهات نظر فى قضية التطور والتغيير الاجتماعى، ج١، ترجمة: سمر الشيشكلى، مراجعة: محمود ماجد عمر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٩، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٤. ص٣٥

والمؤسسات الأخرى التى تعمل على خدمة مصالح الشركات عابرة القوميات، والبنوك ومنشآت الاستثمار."[1]

وهكذا فإن " استعراض عملية صعود ظاهرة العولمة، والرؤى المختلفة لها، تقودنا إلى أن **العولمة عملية مقصودة تحركها القوى الرأسمالية المتمثلة فى الشركات متعددة الجنسيات والحكومة التى تعمل لتحقيق مصالح هذه الشركات.** وتقود تلك القوى ظاهرة العولمة مستندة إلى مكتسبات الثورة الصناعية الثالثة، أى ثورة الاتصالات، والتى أعطتها قوة تكنولوجية وقدرة اقتصادية هائلة على عولمة نموذجها الفكرى، والهدف من تلك العملية هو تحقيق مصالح تلك القوى الرأسمالية من خلال تنميط العالم بما يتفق وتلك المصالح."[2]

وبناء على ذلك يؤكد الباحث الأمريكى **ويليام بلوم**"[3] أن الإخلاص لأى نوع من الأخلاق ليس هو الوقود المحرك للسياسة الخارجية الأمريكية، وإنما الوقود هو ضرورة خدمة سادة آخرين يمكن تقسيمهم إلى أربع ضرورات:

١- جعل العالم مفتوحاً، وحسن الوفادة – بالتعبير الراهن – للعولمة، وخاصة الشركات عبر القومية التى مقرها أمريكا.

٢- تعزيز القوائم المالية لمقاولى الدفاع فى الداخل الذين أسهموا بكرم فى حملات أعضاء الكونجرس وقاطنى البيت الأبيض.

٣- منع قيام أى مجتمع يمكن أن يستخدم كنموذج بديل للنموذج الرأسمالى.

٤- مد نطاق الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على أكبر قدر ممكن من الكرة الأرضية، لمنع قيام أى قوة إقليمية يمكن أن تتحدى التفوق

---

(1) إبراهيم نافع، مرجع سابق. ص ١٣٤

(2) د. محمد السيد سليم، العولمة وبدائلها، رؤية للعالم الإسلامى، دراسة منشورة على موقع: www.islamonline.net

(3) ويليام بلوم، مرجع سابق، ص ٤٣

الأمريكى، وإقامة نظام عالمى على صورة أمريكا، ويفيد الدولة العظمى الوحيدة فى العالم.

والحقيقة أنه " لم يكن للعولمة أن تأخذ شكلها وملامحها المميزة لها، دون وجود مؤسسات ذات طابع عالمى، وتمتاز بقدر من الفاعلية والمشروعية، والمثال على ذلك منظمة التجارة العالمية التى لديها صلاحيات وسلطات تتجاوز صلاحيات وسلطات الحكومات الوطنية... وهناك ما يعرف باسم الشركات المتعددة الجنسيات، أو العابرة للقارات، وبعض هذه الشركات لها مراكز مالية تفوق المراكز المالية لعدة دول مجتمعة."[1]

إن **الشركات الكبرى متعددة الجنسيات** هى القوة التى تقف وراء عرش العولمة، أو أهم قواها على الأقل، وهى لا تريد أن تحكم بصورة مباشرة، ولذلك فهى " تستعين بجهود هيئات ومؤسسات أخرى، منها المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد والبنك الدولى، ومنها وكالات الأمم المتحدة المختلفة العاملة فى ميادين التنمية والثقافة، ومنها أجهزة المخابرات فى الدول الكبرى، ومنها مختلف وسائل التأثير فى الرأى العام، كالصحف والمجلات السيارة وشبكات التليفزيون والمؤسسات المانحة للجوائز الدولية المهمة أو المشتغلة بحقوق الإنسان ..الخ، كما أنها لا تدخر وسعاً فى تجنيد مفكرين وكتاب فى مختلف البلاد، ينظّرون ويروجون لأفكار العولمة والكونية."[2]

" وقد أوضح جورج روس مدير مركز الدراسات الأوربية فى دراسة مهمة منشورة أخيراً حول (الدبلوماسية الجديدة) أن شئون العالم لم تعد تدار من طرف الهيئات السياسية بقدر ما تسيرها المؤسسات الدولية الكبرى وخصوصاً منظمة التجارة العالمية حيث تتحكم القوى الغربية المهيمنة على الاقتصاد العالمى، فإذا

---

(1) إبراهيم نافع، مرجع سابق. ص٢٦

(2) د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص ١٩

كانت القوى الاقتصادية مجرد عنصر من عناصر تفوق الدول، فإنها أصبحت اليوم المعيار الأساسى للهيمنة وإطاراً للفاعلية الدبلوماسية ... وبالقدر نفسه أحتل الفاعلون الاقتصاديون الخواص (المؤسسات المالية والاستثمارية ذات الامتدادات الواسعة دولياً) مكانة الحكومات الوطنية، وغدوا يهيمنون على الجانب الأوفر من سلطة القرار."[1]

أما " على الصعيدين الاجتماعى والثقافى، فإن العولمة أخذت تفرض وجودها عبر ما يعرف باسم **الشبكات العالمية للمنظمات غير الحكومية**، والعديد من الأنشطة الثقافية والخيرية والإنسانية التى تتجاوز حدود الدول الوطنية، وزاد من ترسيخ العولمة تلك الأطر **والقواعد القانونية ذات النطاق العالمى**، حيث تم التوصل إلى العديد من الاتفاقيات الدولية التى تنظم شئون التجارة العالمية، والتى تنظم تجارة الخدمات، والتى تنظم الحقوق والواجبات فيما يخص مسائل الملكية الفكرية، خاصة أن هذه الاتفاقيات يتم دعمها بآليات قوة لتنفيذها على صعيد الواقع."[2]

---

[1] د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، الإسلام والعولمة الرأسمالية، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٠٣، رابطة العالم الإسلامى، اكتوبر ٢٠٠٣. ص ص ١٧-١٨

[2] إبراهيم نافع، مرجع سابق. ص ٢٦

خامساً: موقف الإسلام من العولمة:

الإسلام دين عالمى، وعالمية الإسلام تختلف عن العولمة؛ فمفهوم العولمة الذى يقوم على إجبار العالم على الأخذ بالمناهج والقيم الغربية ويفرض عليه ثقافة معينة " إنما هو مخالف لمفهوم العالمية الإنسانى الذى يعترف بالخصوصيات الثقافية، وبتعدديتها، ويتيح حرية الاختيار الثقافى فيما بينها، على أساس تعايش الحضارات وتلاحم الثقافات. ثم هو يحمل شروط التكافؤ فى العلاقات الدولية من حيث التوزيع العادل للموارد العالمية، والمعاملة المتساوية فى حقوق السيادة الدولية، والانتفاع المتوازن بمعطيات التقدم التكنولوجى."[1]

وقد " سبق أن عرف العالم عولمة إسلامية سادت ثمانية قرون، وتداعت بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢م عندما أُخرج المسلمين من الأندلس. لم تكن العولمة الإسلامية قهراً لبقية الحضارات بل كانت مداً ثقافياً استوعب باقى الحضارات وحافظ على هويتها الثقافية بعد أن أصَّلها بقيم إسلامية لخدمة الإنسان، وليس لاستغلاله وقهره. وكانت إثراء للفكر الإنسانى على عكس العولمة الغربية التى تشكل قهراً لفكر الإنسان، فهى حضارة ترفض كل الحضارات."[2]

إن الإسلام يدعو إلى العولمة، لكن فى أسمى معانيها، لا عولمة الهيمنة والأمركة. فالإسلام جاء من أجل نشر حضارة شاملة، وجاء فى نفس الوقت ليعترف بخصوصية كل شعب. قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا). وعالمية الدعوة الإسلامية أو العولمة فى الإسلام تبدو أوضح ما تكون فى توجهات الإسلام، كما فى قوله تعالى (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) – (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) –

---

[1] د. السيد عقيل حسين المنور، مستقبل الحضارة الإسلامية فى ظل العولمة، فى: مستقبل الأمة الإسلامية، مرجع سابق. ص٩٠

[2] د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، مرجع سابق. ص٤

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ). وليس أدل على عالمية الدعوة الإسلامية من قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوجيه رسائل إلى مختلف الشعوب ودول العالم المعروفة فى ذلك الزمان، يدعو الجميع إلى الإسلام.

وعالمية الإسلام ليست عولمة الهيمنة، وفرض ثقافة واحدة، قسراً، على جميع البشر، وإنما هى عولمة تقوم على أساس أن الاختلاف سنة من سنن الكون، وآية من آيات الله عز وجل فى خلقه: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم)، (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم)، وهى عولمة تقوم على مبدأ الحرية وليس القهر، حرية العقيدة (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) الكهف:٢٩، وحرية الفكر (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل:٤٤، وحرية الممارسة والفعل (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ) فصلت:٤٦. وهكذا فالعولمة التى يدعو إليها الإسلام هى العولمة الإنسانية العادلة وليس عولمة السيطرة والقهر والهيمنة. فالإسلام بطبيعته دين عالمى فى عقيدته ومبادئه، يجمع كل الأجناس تحت لوائه وتعاليمه ، التى تشعر الإنسان بوجوده الكريم، وتوفى بجميع مطالبه وحاجاته المادية والروحية.

سادساً: مخاطر العولمة الحالية وتحدياتها:

بداية لابد من القول بأن العولمة ليست شراً فى معناها الواسع؛ فالعولمة تعنى أننا نعيش فى عالم متداخل ومترابط المصالح، وأن المعطيات الجديدة التى تشكلها الثورة العلمية والتكنولوجية التى مازالت فى فورتها البركانية وتغير الكثير من أوراق الماضى ومقولاته، تطرح قيماً ومفاهيم جديدة وكثيرة فى السياسة والاقتصاد والفنون والثقافة.

" هذه هى العولمة بصورتها العلمية، ولا يمكن لعاقل أن ينكرها أو يتجاهلها أو يعطى لها ظهره، هذه العولمة يستغلها البعض، وبخاصة القادرون والمنتجون لأدواتها. وهذا البعض القوى والقادر يحاول أن يطوعها، لخدمة مصالحه الخاصة حتى ولو كان ذلك على حساب الآخرين. ومن الطبيعى والأمر كذلك أن نجد التطبيقات الأمريكية لمفاهيم العولمة وبخاصة فى جوانبها الاقتصادية والثقافية محاولة لتطويعها واستثمارها لخدمة الهيمنة والسيطرة، خاصة بعد أن قفزت الولايات المتحدة وإلى حين كأكبر قوة عسكرية واقتصادية قطباً أوحد على سطح العالم. فالولايات المتحدة وشركاؤها من دول الشمال الغنى تعمل على توجيه الأجهزة الاقتصادية العالمية لخدمة مصالحها (البنك الدولى – صندوق النقد – منظمة التجارة العالمية) لذا وجب علينا أن نفرق بين العولمة بمعناها الإيجابى فى تداخل وترابط المصالح والمنافع بين شعوب الكون، وتأكيد قيم العدالة والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان، بغض النظر عن العرق والجنس واللون، وبين العولمة بتطبيقاتها الأمريكية." [1]

ومن هنا، فإن العولمة بشكلها الحالى، المتمثل فى الهيمنة الإمبريالية الأمريكية، تفرض على العالم عامة، والدول النامية على وجه الخصوص، العديد من التحديات، وتعرضها للعديد من المخاطر. ويمكن رصد أهم تحديات العولمة ومخاطرها فى المحاور التالية:

أولاً: اقتصادياً:

يدور المحور الاقتصادى للعولمة حول قضية تحرير التجارة الدولية، وهو ما يعنى ببساطة فتح الأسواق الدولية أمام الانتقال الحر للسلع والخدمات. بيد أن فتح الأسواق هو فى أغلب الأحوال فى اتجاه واحد يتجه من الشمال نحو الجنوب، حيث تضع دول الشمال، فى إطار منظمة التجارة العالمية، قيوداً جمركية وغير جمركية

---

[1] د. فتحى عبد الفتاح، الثقافة والعولمة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣. ص ص ٦٨-٧١

على صادرات دول الجنوب إلى الشمال. ومن الثابت تاريخياً أن تحرير التجارة لم يكن طريقاً للتنمية سواء بالنسبة للدول الغربية أو بالنسبة لدول النمور الآسيوية. وإنما كان التطوير التكنولوجى هو طريق التنمية، ولكن التطوير التكنولوجى ليس جزءاً من المشروع العولمى.

" إن الذى يقود حركة العولمة هو نظام التجارة، وهو نظام أعمى أصم لا يعرف سوى الربح وتكديس الأموال، وهو نظام غلاب بطبعه، ما نازل نظاماً آخر إلا غلبه. فهو أقل النظم الاجتماعية اهتماماً بالرمزيات الوطنية، وأقلها اكتراثاً بالقيود الأخلاقية، وأبعدها عن النزعة الإنسانية."[1]

" فالرأسمالية العالمية، بهذه العولمة، إنما تكمل حلقاتها التاريخية فى (رسملة) العالم بأسره، وذلك بانتقالها الهيكلى من فرض علاقات التبادل غير المتكافئ مع العالم النامى، إلى فرض العلاقات الإنتاجية الرأسمالية الكاملة عليه، وذلك فيما يشبه علاقة المركز بالأطراف. فالعولمة الاقتصادية هى أحدث وأعلى أشكال الإمبريالية."[2]

" وتؤثر العولمة الاقتصادية فى كل أركان الكوكب، متجاهلة استقلال الشعوب تجاهلها لتنوع النظم السياسية. وعلى هذا النحو تشهد الأرض عهداً جديداً من الفتوحات كما كان الحال فى زمن الفتوحات الاستعمارية. ولكن على حين أن القوى الفاعلة الرئيسية لتوسعات الفتوحات السابقة تمثلت فى دول، فإن مشروعات وتكتلات ومجموعات صناعية ومموليين من القطاع الخاص، هى التى تريد هذه المرة السيطرة على العالم. ولم يحدث مطلقاً من قبل أن كان سادة الأرض قليلى العدد إلى هذا الحد، ولا أقوياء إلى هذا الحد. وتوجد هذه المجموعات بصورة أساسية فى ثالوث: الولايات المتحدة – الاتحاد الأوربى – اليابان. وتقع مقار نصفها

---

(1) د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، مرجع سابق، ص١٦

(2) د. السيد عقيل حسين المنور، مرجع سابق. ص ٩١

فى الولايات المتحدة. ولا تهدف العولمة إلى فتح البلدان بقدر ما تهدف إلى فتح الأسواق ... وهذا الفتح مصحوب بدمار مذهل. وهذا ما يشهد عليه الانهيار المروع للأرجنتين فى ديسمبر ٢٠٠١. وكان هذا البلد هو المثال الحقيقى لما ينادى به صندوق النقد الدولى كنموذج عالمى. ويسعى إلى تصديره بعناد عقائدى إلى الكوكب بأسره. ويعنى انهيار الأرجنتين بالنسبة لليبرالية الجديدة، ما كان يعنيه سقوط سور برلين بالنسبة لاشتراكية الدولة: اتضاح عدم مصداقية، واكتشاف مأزق. ذلك أنه فى كل مكان آخر فى العالم، صارت صناعات بأسرها منكوبة بعنف فى كل المناطق. ومع صور المعاناة الاجتماعية التى تنشأ عن هذا: البطالة الجماعية، البطالة الجزئية، اختلال الأمن، الطرد. ١٨ مليوناً بدون عمل فى قلب الاتحاد الأوروبى، مليار من العاطلين جزئياً عن العمل فى العالم، الاستغلال المفرط للرجال والنساء، والأشد عاراً أيضاً، الأطفال: ٣٠٠ مليون من بينهم من الأطفال، فى أوضاع من الوحشية البالغة." [1]

وهكذا، يبقى الفقر وحده، على مستوى العالم، هو القاعدة والرفاهية هى الاستثناء، وأصبحت اللامساواة واحدة من السمات الهيكلية المميزة لعصرنا، وهى تتفاقم، مبعدة أكثر دوماً الأغنياء عن الفقراء.!!

" ولا يجادل أحد منا فى أن ثمة شواهد كثيرة تشير إلى أن قوى العولمة المعاصرة ليست سوى امتداد عضوى وأيديولوجى لقوى الاستغلال والسيطرة والاحتواء، وتعمل على تكريس التبعية من جانب الدول الأقل نمواً لتلك الأكثر نمواً. وإن كانت آليات تكريس التبعية قد اختلفت فى ظل العولمة من الاستعمار التقليدى إلى اللجوء لسياسة الضغط الاقتصادى."[2]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ١٠-١١

[2] د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، مرجع سابق، ص١٣٢

والذى يدعو للدهشة حقاً أنه فى نفس الوقت الذى يتشدق فيه الكثيرون بمنافع العولمة فإنه " لم يحدث للتفاوت فى المجتمعات الإنسانية وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية أن كانا قط فى تاريخ الإنسانية بمثل هذه الجسامة ... لم يسبق أن حدث قط فى تاريخ الإنسانية أن كانت الأرقام المطلقة التى تدل على عدم المساواة وسوء التغذية والكوارث البيئية والأوبئة الميئوس منها بهذه الجسامة ... فقط ينتفع انتفاعاً كاملاً بعملية العولمة هذه عدد محدود من البلدان وعدد محدود من الطبقات فى هذه البلدان. البلدان الغنية الشمالية والتى تستحوذ على رأس المال وتسيطر على أدوات القرار الاقتصادى."[1]

وهذا ما أكدته منظمة (كاريكاس) الخيرية النمساوية، حيث ذكرت أن عشرة ملايين شخص يموتون سنوياً حول العالم بسبب الجوع، من بينهم طفل يموت كل خمس ثوان، وهذا الرقم يفوق عدد الوفيات جراء أمراض السل والملاريا والإيدز. كما أكد الناطق باسم المنظمة أن ٨٥٠ مليون شخص يعانون من سوء التغذية رغم توافر كميات كبيرة من الطعام حول العالم.[2]

" إننا نعلم جيداً أن الأشخاص الثلاثة الأكثر غنى فى العالم يملكون ثروة تفوق مجموع النواتج المحلية الإجمالية للـــ ٤٨ بلداً الأكثر فقراً، أى ربع إجمالى دول العالم، وفى أكثر من ٧٠ بلداً صار نصيب الفرد من الدخل أدنى مما كان عليه منذ عشرين عاماً، وعلى المستوى الكوكبى يعيش حوالى ٣ مليار شخص هم نصف البشرية بأقل من ٢ يورو فى اليوم. وتصل وفرة السلع إلى مستويات لم يسبق لها مثيل، غير أن عدد اولئك الذين الذين لا يملكون مأوى ولا عملاً ولا ما يكفى من الطعام ، يزداد بلا انقطاع. وعلى هذا النحو، فمن أصل ٤,٥ مليار من السكان الذين تضمهم البلدان النامية، لا يتمتع حوالى الثلث بالوصول إلى مياه صالحة للشرب. ولا يتناول خمس الأطفال سعرات حرارية أو بروتينات بصورة كافية،

---

[1] جاك دريدا، مرجع سابق، ص ص ١٢٧-١٢٨

[2] خبر منشور فى: جريدة الأهرام المصرية، عدد السبت ٢٠٠٦/٧/٢٩، الصفحة الثانية.

ويعانى حوالى ٢ مليار من الأفراد – ثلث البشرية – من الأنيميا. فهل هذا الوضع قضاء وقدر ؟. أبداً على الإطلاق. ووفقاً للأمم المتحدة، يكفى لكى نوفر لكل سكان الكرة الأرضية الوصول إلى حاجاتهم الأساسية (الغذاء، المياه الصالحة للشرب، التعليم، الصحة) اقتطاع أقل من ٤% من الثروة التراكمية من أضخم ٢٢٥ ثروة فى العالم. ولا يكلف الوصول إلى الإشباع الشامل للحاجات الصحية والغذائية سوى ١٣ مليار يورو، أى بالكاد ما ينفقه سكان الولايات المتحدة والاتحاد الأوربى فى السنة على استهلاك الروائح العطرية." [1]

ثانياً: سياسياً وأمنياً:

" تتجلى العولمة فى المجال السياسى فى عدة جوانب أهمها محاولة إعادة صياغة مفاهيم العلاقات الدولية بما يعطى للدول الدافعة للعولمة حق التدخل فى شئون دول الجنوب. ولذلك نجد أن تلك الدول تطرح مفاهيم مثل: **حقوق الإنسان والديمقراطية**، كمفاهيم يجب على دول الجنوب تطبيقها وفق الفهم والتصور وطرق الإدارة المؤسسية الغربية لتحقيق الاندماج مع العولمة، أى وفق المؤثرات الغربية، وهنا تمارس الدول الدافعة للعولمة حقها فى (التدخل الإنسانى) لمراقبة وحماية تطبيق تلك المفاهيم. بيد أن هذا التدخل يكون عادة تدخلاً انتقائياً، بمعنى أنه يتم فقط عندما تنتهك مصالح القوى الدافعة للعولمة، ويتم التغاضى عن تلك المفاهيم إذا تمت حماية تلك المصالح ولو على حساب الشعوب وسيادة الدول. ويقودنا هذا إلى الأثر الأهم للعولمة، وهو **إضعاف سلطة الدولة** من خلال تقليص سلطتها وأدوارها الاقتصادية من خلال سياسات الخصخصة، ووضع معايير عالمية لحدود دورها فى مجالات الاقتصاد والمعلوماتية والتعليم والبيئة والأداء السياسى، ويتم محاسبتها من جانب قوى العولمة على أساسه، وهو ما أسماه بعض الباحثين (تدويل الدولة)، وهو موقف تصبح فيه الدولة قناة لنقل مقتضيات اقتصاد السوق العالمى إلى هياكل الاقتصاد المحلى."[2]

---

(1) ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ١٤٧-١٤٨

(2) د. محمد السيد سليم، مرجع سابق.

ومما لا يخفى على أحد أن الشركات متعددة الجنسيات قفزت فوق أسوار الدولة التى " أخذت تفقد قيمتها الفعلية لتصبح أكثر فأكثر أسواراً شكلية سواء تمثلت فى حواجز جمركية، أو حدود ممارسة السياسات النقدية والمالية، أو حدود السلطة السياسية، أو حدود بث المعلومات والأفكار، أو حدود الولاء والخضوع."[1]

" إن عولمة رأس المال فى طريقها إلى وضع الشعوب فى حالة من اختلال الأمن المعمم. وهذه العولمة تطوق الأمم ودولها وتقلل من شأنها كأماكن ملائمة لممارسة الديمقراطية وضامنة للمصلحة العامة. ومن جهة أخرى خلقت العولمة المالية دولتها الخاصة. دولة فوق قومية، تستخدم أجهزتها وشبكات نفوذها ووسائل عملها الخاصة. والمقصود مجموعة صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية، ومنظمة التجارة العالمية. وتتكلم هذه المؤسسات الأربع بصوت واحد، تقوم بترجيع صداه كل وسائل الإعلام الكبرى تقريباً، لتمجيد مزايا السوق. وهذه الدولة العالمية سلطة بدون مجتمع، حيث تضطلع بهذا الدور الأسواق المالية والشركات العملاقة التى تمثل هذه الدولة وكيلتها التى تغدو ومعها المجتمعات الفعلية القائمة مجتمعات بدون سلطة ولا يكف هذا الوضع عن التفاقم.

وبعد أن حلت محل الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات)، صارت منظمة التجارة العالمية على هذا النحو من ١٩٩٥ مؤسسة تتمتع بسلطات فوق قومية وموضوعة خارج كل رقابة من جانب الديمقراطية البرلمانية.

وقد وصلت شركات بعينها إلى أحجام هائلة. ويفوق رقم أعمالها فى بعض الأحيان الناتج القومى الإجمالى لبلدان متقدمة عديدة، وعلى هذا النحو فإن رقم أعمال جنرال موتورز أكبر من الناتج القومى الإجمالى للدنمارك، ورقم أعمال إكسون يفوق الناتج القومى الإجمالى للنرويج، ورقم أعمال تويوتا يفوق الناتج القومى الإجمالى للبرتغال. وفى كثير من الأحيان يفوق الموارد المالية الموجودة

---

[1] د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص١٨

تحت تصرف هذه الشركات ايرادات ميزانيات الدول، بما فى ذلك الأكثر تقدماً. وهى تفوق بوجه خاص احتياطيات النقد التى تحتفظ بها البنوك الدولية لأغلب الدول الكبرى. وكما فى الأوانى المستطرقة، فإنه بقدر ما تصبح شركات، عن طريق الاندماجات، عملاقة، تصير الدول، عن طريق التخلى عن الثروة الاقتصادية التى تمثلها الخصخصات، قزمة أكثر فأكثر. وفى مواجهة الشركات العملاقة، تفقد الدول بصورة متزايدة امتيازاتها وحقوقها." [1]

" **فالعولمة قد تعنى التفريط فى حق السيادة** بما يعنيه من سلطان مطلق للدولة على إقليمها ومواطنيها فى الداخل واستقلال كامل فى الخارج، والتنازل عن هذا الحق لمؤسسات فوق قومية، هى مؤسسات العولمة، أو تفتت هذه السيادة وانفراط عقدها لصالح كيانات دون القومية والعودة إلى ما قبل المجتمع الحديث بالإحياء المتعمد والمبرمج للعصبيات القديمة. وفى الحالتين تضعف سلطة الدولة وتهترئ ولا تستعصى على الاختراقات الخارجية."[2]

وبناء على ذلك فإن العولمة تمثل " عملية نقل للسيادة من الدولة القومية إلى مجموعة من المؤسسات الجديدة فوق القومية، تتسرب بمقتضاها السلطة رويداً رويداً من يد الدولة القومية إلى المنظمات والوكالات الدولية العامة والخاصة، التى سيعهد إليها بالمزيد من المهام التى كانت تؤديها الدولة من قبل." [3]

بل أنه " صار لزاماً على كثير من الدول أن تعيد النظر حتى فى تشريعاتها الوطنية إذا ما تعارضت مع ما يصدر عن المنظمات العالمية الجديدة من تشريعات، فإما أن تعاد هذه التشريعات إلى المجالس التشريعية الوطنية لإلغائها أو إزالة التعارض بينها وبين التشريعات الدولية، وإما أن تقع هذه الدولة تحت طائلة العقوبات الدولية." [4]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ٩٠-٩٤

[2] د. محمد إبراهيم منصور، مرجع سابق. ص ٢٨٤

[3] المرجع السابق، ص ٢٨٦

[4] المرجع السابق، ص ٢٨٨

وهكذا يتضح لنا أن العولمة قادت الدولة القومية فى اتجاهين يهددان إما بانتزاع سيادتها الوطنية لصالح كيانات جديدة فوق قومية، أو تحللها إلى كيانات أثنية عصبوية دون وطنية.

" ومن الشهادات التى تؤكد هيمنة العولمة على مقدرات الحكومات والشعوب، ما جاء فى كلمة للرئيس الفرنسى جاك شيراك ألقاها بمناسبة اليوم الوطنى الفرنسى حيث قال: أن العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنها تنتج شروخاً اجتماعية كبيرة، وهى وإن كانت عامل تقدم، فهى تشير أيضاً إلى مخاطر جدية ينبغى التفكير فيها جيداً، ومن هذه المخاطر ثلاثة: أولها أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعى، وثانيها أنها تنمى الجريمة العالمية، وثالثها أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية."[1]

ثالثاً: ثقافياً واجتماعياً:

" تنصرف العولمة الثقافية إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية، والترويج للقيم الفردية الاستهلاكية الأمريكية والمفاهيم الاجتماعية الغربية بصفة عامة، واعتبار تلك القيم والمفاهيم هى وحدها المقبولة كأساس لتعاون الدول فى ظل العولمة. ويمكن فى هذا الصدد الإشارة إلى الهجوم على القيم الأسيوية واعتبارها مسئولة عن الأزمة المالية الآسيوية سنة ١٩٩٧ مع دعوة الدول الشرق آسيوية إلى التخلى عن تلك القيم كشرط للخروج من الأزمة. وكذلك الوثيقة التى أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبى فى يونيو ٢٠٠٠ بعنوان الاستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوروبى فى المتوسط، وتشير صراحة إلى سعى الاتحاد إلى تغيير بعض القيم الدينية فى الدول العربية المطلة على البحر المتوسط، بحيث تتوافق مع القيم الأوربية، ومؤخراً تصريح رئيس البرلمان الأوروبى فى المنتدى الاقتصادى الدولى فى دافوس يناير ٢٠٠٣ بأن مشكلة ضم تركيا للاتحاد الأوروبى ليست مشكلة سياسية، بل هى مشكلة قيم. فى إشارة واضحة لمنظومة القيم الأوروبية كمثال

---

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، مرجع سابق. ص١٢٩

مهيمن يجب أن تقبله تركيا كدولة تتبنى قيم الإسلام. ويرتبط بذلك سعى بعض القوى المحافظة فى الغرب – خاصة أمريكا – إلى استهداف الإسلام والعالم الإسلامى كعدو جديد للغرب، وافتعال صراع حضارى جديد بينهما يتمكن بموجبه الغرب من فرض قيمه الثقافية."[1]

بالإضافة إلى أنه " فى هذا العصر الجديد من الاغتراب، فى زمن الانترنت، والثقافة العالمية، والاتصالات الكوكبية، تلعب تكنولوجيات المعلومات أكثر من أى وقت مضى دوراً أيديولوجياً رئيسياً فى تكميم الفكر." [2]

علاوة على ذلك فإن العولمة " تكسر احتكار الدولة لأجهزة الإعلام والاتصالات والترفيه. وبحكم ضغوطها المتزايدة لتحرير الاقتصاد من القيود الحكومية الوطنية وضغوط مؤسساتها المالية الدولية لإنجاز الخصخصة، فإنها تجرد الدولة من القطاع العام، قاعدتها الاقتصادية وأداتها الأساسية فى تحقيق التكامل الاجتماعى. فتجد الدولة نفسها أمام خيارين أحلاهما مر: إما مقاومة ضغوط المؤسسات الدولية مما يعرضها لإعلان إفلاسها، أو الاستسلام لهذه الضغوط مما يؤدى إلى مواجهة توترات اجتماعية وسياسية حادة لا قبل للدولة بتكاليفها الاجتماعية. وتفتح العولمة أبواباً خلفية من وراء ظهر الدولة للتعامل المباشر مع المنظمات الوطنية غير الحكومية التى غالباً ما تتحول إلى رأس جسر للمنظمات العالمية غير الحكومية التى تحول وكالة التنمية الأمريكية مساعداتها إليها. وتقدم لنا جمعيات رجال الأعمال العربية نموذجاً لهذه المنظمات التى تمثل فى كثير من الأحوال، حليفاً اجتماعياً محلياً للدول والمنظمات العالمية المانحة!!." [3]

---

(1) د. محمد السيد سليم، مرجع سابق.

(2) ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ١٣

(3) د. محمد إبراهيم منصور، مرجع سابق، ص٢٨٦

" وقد استجد مؤخراً نوع جديد من التدخل الدولى وهو التدخل الثقافى والتفتيش فى مكونات النظم التعليمية والثقافية العربية واقتراح تعديلات على برامج التعليم والمقررات الدراسية فى الدول العربية والإسلامية خصوصاً بعد الهجوم الإرهابى على الولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ... ويستند خطاب العولمة على الأنثروبولوجيا الاستعمارية المتمركزة حول العرق وحول ثنائية شعوب بدائية وشعوب عقلانية متحضرة التى صاغها **هيجل**(*) بوضعه لذلك التمايز الشهير بين الغرب العقلانى الحر وما أسماه بعالم الاستبداد الشرقى. وترفد فلسفة هيجل التاريخية خطاب العولمة بتبرير نظرى لمشروعية هيمنة السيد العقلانى الغربى على الإنسان الشرقى الغارق فى أوهام تعصبه الدينى والمذهبى والعرقى. ويرفض خطاب العولمة كل تنازل لصالح ثقافة الشعوب غير الغربية، ويدافع عن الهيراركية الثقافية التى دافع عنها الأنثروبولوجى الاستعمارى. لذلك ليس صحيحاً أن العولمة هى الانتقال من حقبة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هى الثقافة العالمية أو الكونية، بل هى فعل **اغتصاب ثقافى** وعدوان رمزى على سائر الثقافات."[1]

سابعاً: العولمة بين التأييد والرفض:

مثل كل الظواهر الجدالية، تقف العولمة بين فريقين رئيسيين، **الأول** مؤيد لها ومتحيز لإنجازاتها وموعوداتها المستقبلية. **والثانى** على العكس من ذلك رافض للعولمة رفضاً مطلقاً ولا يرى فيها غير السلبيات والمخاطر، والهيمنة الاستعمارية البغيضة.

(*) **جورج فيلهلم فريدرش هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)**: فيلسوف ألمانى، يمثل المثالية المطلقة، ومؤسس المنطق الجدلى، الذى مؤداه أن لكل فكرة نقيضها، وأن الصراع بين الفكرتين يولد فكرة ثالثة ناشئة عنهما، وهذه الفكرة لها نقيضها وهكذا، وأشهر من تأثروا بأفكاره كارل ماركس الذى أقام مذهب المادية الجدلية على أساس منطق الجدل الهيجلى.

(1) د. محمد إبراهيم منصور، مرجع سابق، ص٢٩٠

والواقع " إن كل من هذه المواقف المؤيدة والمضادة للعولمة يحمل فى رأيى جزءاً من الحقيقة، وهو جزء لا يمكن الاستهانة به، نعم، العولمة تؤدى إلى تعظيم الانتاج على الأقل من وجهة نظر العالم ككل، والعولمة تمثل تقدماً لا يمكن إنكاره فى بعض القدرات المهمة للإنسان فى المعرفة والسيطرة على الطبيعة، وفى بعض أنواع التنظيم السياسى والاجتماعى، وفى بعض أنواع الانتاج العلمى والفنى. والعولمة تتضمن، بلا شك، اتجاهاً نحو المزيد من الاستغلال الاقتصادى من جانب الشركات العملاقة للمستضعفين فى الأرض، وتتضمن قهراً لمعتقدات ومقدسات بعض الأمم لصالح نظرة تتخذ على الأقل موقف اللامبالاة من العقائد الدينية. والعولمة بلا شك تهدد أنماط الحياة الخاصة بالأمم التى كانت أكثر انعزالاً عن العالم، لصالح نمط معين للحياة هو السائد فى الدول الأكثر سطوة. ولكن هذه المواقف المرحبة بالعولمة والمضادة لها قد لا تستوعب كل المواقف الممكنة من العولمة."[1]

ولذلك يرى أستاذ السياسة المصرى **الدكتور محمد السيد سليم** أنه يمكن استخلاص ثلاث رؤى رئيسية تمثل ثلاث مواقف تجاه العولمة تتمثل فيما يلى:[2]

١- **رؤية الليبرالية الجديدة للعولمة (الرؤية الاندماجية):** وجوهر هذه الرؤية هو الاعتقاد الصارم بأن العولمة ظاهرة إيجابية، وأنها عملية حتمية لا فكاك منها وينبغى على الجميع التكامل معها واللحاق بها. لأنها تؤدى إلى ارتقاء الدول التى ترتبط بها، وانحطاط الدول التى تنفصل عنها، ولذلك فإن الحل أمام دول الجنوب، ومنها الدول الإسلامية، هو الاندماج الكامل مع قوى العولمة، وكلما زادت سرعة هذا الاندماج زادت المكاسب المحتملة أمام تلك الدول، وإلا فإن قوى العولمة ستسحقها.

---

(1) د. جلال أمين، العولمة، مرجع سابق. ص ٤٧

(2) د. محمد السيد سليم، مرجع سابق.

٢- **رؤية نقد العولمة (الاستعمار الجديد):** ينتمى إلى هذه الرؤية عدد من المدارس الفكرية والتيارات السياسية الشعبية غير المتجانسة والتى تستمد أصولها من فلسفات متباينة، ولكنها تشترك فى انتقاد العولمة والتركيز على آثارها السلبية، فالعولمة تشير إلى سعى القوى الرأسمالية إلى الهيمنة على أسواق الجنوب وإلحاق اقتصادياتها باقتصاديات قوى العولمة، وأن الحل لا يكون بالاندماج مع العولمة، وإنما بمحاولة الفكاك منها، واللجوء إلى الاعتماد على الذات.

٣- **الرؤية التفاعلية للعولمة:** تركز هذه الرؤية على أهمية التعامل المتوازن مع القضايا التى تطرحها العولمة – باعتبارها أمراً واقعاً – من خلال استراتيجية تقوم على التعامل التدريجى، والربط بين مختلف القضايا المطروحة. فهذه الرؤية تنزع إلى فهم العولمة على أنها ظاهرة مركبة تتضمن أبعاداً إيجابية يجب الاستفادة منها وأخرى سلبية ينبغى تفاديها.

وفى دراسة بعنوان (عالم القطب الأوحد واتجاهاته) " يرى جورج قرم أنه ينبغى التفرقة بين سياسات العولمة التى قد تتجه فى الوقت الراهن إلى التحيز للدول الصناعية المتقدمة على حساب الدول النامية، وبين مذهب العولمة والذى يقوم فى الواقع على أساس قيم الداروينية الاجتماعية وشعارها البقاء للأصلح. فيما يتعلق بسياسات العولمة لابد من النضال لتصحيح مسارها، أما فيما يتعلق بقيم العولمة السائدة فلابد من رفضها ومعارضتها تماماً، سعياً وراء نظام اقتصادى عالمى أكثر إنسانية وأكثر عدالة."[1]

ومما لاشك فيه " أن الهزيمة النفسية أمام العولمة تأتى من اعتبار ظاهرة العولمة حتمية. وهذا أمر مبالغ فيه، وهو لا يعبر عن حقيقة هذه الظاهرة، لأن

---

[1] السيد يسين، الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤. ص٣٦

اعتبار ظاهرة العولمة حتمية، قد لا يكون فى الحقيقة أكثر من اعتراف المرء بأنه لم يعد لديه طاقة باقية للمقاومة ... إن حقائق الأشياء تؤكد أن العولمة لا تمثل خطراً كاسحاً ومدمراً إلا على الشعوب والأمم التى تفتقر إلى ثوابت ثقافية، أما تلك التى تمتلك رصيداً ثقافياً وحضارياً غنياً، فإنها قادرة على الاحتفاظ بخصوصيتها والنجاة من مخاطر العولمة وتجاوز سلبياتها."[1]

ويرى **الدكتور سليم الحص** – رئيس وزراء لبنان الأسبق – أن " المعادلة المثلى هى فى الإفادة من إيجابيات العولمة إلى أقصى مدى ممكن، وفى الوقت ذاته تحاشى سلبياتها قدر الإمكان. والسبيل إلى ذلك متشعب: من **جهة** يقتضى اعتماد الإجراءات اللازمة لحماية حركة الإنتاج الوطنى، وتأمين أسواق التصريف لهذا الإنتاج داخلياً وخارجياً، ومن **جهة ثانية** يقتضى وضع برامج لتعزيز حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن **جهة ثالثة** تطوير المناخات اللازمة لتنشيط حركة الاستثمار داخل البلاد. كل ذلك مترافق مع الحرص على صون أسباب الاستقرار الاجتماعى، ويفترض هذا مكافحة البطالة فى صفوف اليد العاملة ومعالجة آفة الفقر فى المجتمع والتزام مبدأ العدالة الاجتماعية فى فرض الرسوم والضرائب وتعزيز برامج الضمان الاجتماعى. ولكن يبقى السبيل الأهم والأنجع والأبعد أثراً فى المدى الأطول، الانخراط فى تكتل دولى أو إقليمى يتمتع بالقدرة على منافسة الكبار فى الساحة الدولية ... والترجمة الطبيعية للتوجه الأمثل تكون فى **الانضواء فى اتحاد عربى**، على غرار الاتحاد الأوربى. من دون ذلك، لن يكون للعرب شأن فى العالم، ومن ثم فرصة للذود عن موقع لائق لهم تحت شمس النظام العالمى الجديد."[2]

" وإذا كانت الدولة العربية المعاصرة مهددة – كما أسلفنا – أكثر من غيرها، إما بخطر انتزاع السيادة ونقلها إلى كيانات دولية وإقليمية أكبر منها كالنظام الشرق

[1] د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، مرجع سابق. ص١٣١

[2] د. سليم الحص، العروبة والعولمة، مجلة المستقبل العربى، العدد ٣٢٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، إبريل ٢٠٠٦. ص٩

أوسطى الجديد أو ترتيبات الشراكة الأوروبية المتوسطية، وإما بخطر صراع الهويات والحروب الأهلية التى تهدد بتفتيت السيادة بتمزيق الوحدة الوطنية لكل قطر عربى. فإن مواجهة الدولة العربية لهذين الخطرين ليست مستحيلة، ولكنها رهن بتعديل العلاقة الراهنة ما بين الدولة والمجتمع، من علاقة تقوم على التسلط والعنف إلى علاقة تقوم على القانون وترتكز على دعامتين أساسيتين لا غنى لأى نظام حديث عنهما؛ أولهما علاقات المواطنة بما تعنيه من حقوق متساوية أمام القانون، وثانيهما، مشروع وطنى يحظى بقبول سياسى عام.

وبهذين الدعامتين يمكن للدولة – فى أى قطر عربى – أن تنهض بدورها السياسى فى مواجهة أخطار العولمة سواء بتجنب انهيار الدولة الوطنية الراهنة إلى ما دونها أى تفتيتها على أسس عرقية أو دينية أو قبلية، أو التفريط فى سيادتها لصالح ما فوقها من منظمات فوق قومية تضطلع بمهمات التكامل الإقليمى بديلاً عن النظام الإقليمى العربى الذى يملك كل مقومات تكامله." [1]

---

[1] د. محمد إبراهيم منصور، مرجع سابق، ص٢٩٤



الباب الثانى

الإرهاب العولمى ..

فى العلاقة بين الإرهاب والعولمة



تمهيد: **ولادة الإرهاب العولمى**.

الفصل الأول: **تأثير العولمة على الإرهاب**

الفصل الثانى: **تأثير الإرهاب على العولمة**

تمهيد: ولادة الإرهاب العولمي:

" ثمة بين الإرهاب والعولمة علاقات توحد وتكامل موضوعية، وعلاقات تنابذ وتضاد لا تقل عن الأولى موضوعية. فهما يتوحدان لحد الانصهار فى خاصية التطرف التى تطبع تمثلهما، ويتقاطعان فى ميزة العنف التى يسلكانها، ويتماهيان فى طبيعة الوسائل التى يعتمدانها ... ثم هما يتكاملان كون كليهما هو إلى حد بعيد صنيعة الآخر، وكونهما معاً وقوداً لنار واحدة وينهلان فضلاً عن ذلك من معين واحد. وهما أيضاً، متنابذين، متضادين، إذ اتساع فضاء أحدهما هو من تقليص فضاء الآخر، وتقدم أيديولوجية أحد الطرفين هو من انتقاص أيديولوجية الآخر، دون أن يبلغ ذلك مستوى الإلغاء أو التنافى." [1]

ويعد مصطلح الإرهاب العولمى مصطلحاً جديداً، وغير مطروق، ولا شك أن السبب الرئيسى فى ظهور هذا المصطلح، هى تلك الأحداث التى وقعت فى أمريكا يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وعلى هذا الأساس، فلو أردنا فهم علاقة الإرهاب بالعولمة كظاهرتين كونيتين أحدهما عابر وظرفى (الإرهاب) والآخر كصيرورة اقتصادية وثقافية (العولمة) لكان من الواجب مساءلة السلوك الذى امتزجت فيه الظاهرتين فى أقوى صورهما، أى يوم تهاوت إحدى قلاع القوة العسكرية والمالية بالولايات المتحدة فى عمليات انتحارية لربما لم يسبق لوسائل الإعلام المختلفة أن صورت مثيلاً لها فى التاريخ.

فتفجيرات نيويورك وواشنطن لم تستهدف فقط رمز القوة الاقتصادية والمالية التى تستتبت من بين جدرانها قيم العولمة وقوانين السوق وتقدس بداخلها مبادئ الليبرالية والمبادرة الخاصة والحرية الفردية، ولكنها أيضاً استهدفت أركان الترسانة العسكرية التى يستظل فاعلو العولمة بظلها كلما طرأ طارئ من شأنه أن يهدد مصالحهم أو يحد من حركتهم.

---

[1] يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة أو فى عولمة الإرهاب، مقال منشور على الإنترنت بموقع: http://www.elyahyaoui.org/mondial_terror.htm

فهذه الأحداث التى ضربت برجى مركز التجارة العالمى، ومبنى البنتاجون، وراح ضحيتها أكثر من ٣٠٠٠ شخص، أصابت الناس فى كافة أرجاء المعمورة بصدمة مروعة. " ولم يكن مرد هذه الصدمة إلى كبر أعداد الضحايا الأبرياء الذين سقطوا بلا ذنب فى البرجين الشهيرين، ولكن الصدمة كانت بحكم الإدراك العميق بأن الإرهاب تجاوز كل الحدود، وانتقل فى تصعيده إلى مرحلة التهديد المباشر للأمن العالمى."[1]

فكما يقول الفيلسوف الفرنسى **جاك دريدا** " لم يعد من الممكن من الآن فصاعداً الاعتماد على توازن الرعب، حيث لم يعد هناك تبارز بين دولتين (الولايات المتحدة – الاتحاد السوفيتى) منهمكتين سوياً فى حسابات نظرية للعبة التوقعات السياسية والاقتصادية وقادرتين على تحييد القوى النووية التى تنصبانها الواحدة ضد الأخرى، اعتماداً على تقييم متبادل ومحسوب للمخاطر عند الطرفين، فمن الآن فصاعداً أصبح التهديد النووى تهديداً شاملاً، لا يأتينا من دولة معينة، ولكنه يأتينا من قبل قوى مجهولة لا يمكن توقعها ولا حساب حسابها."[2]

ويبين عدوان ١١ سبتمبر، قسوة خيالية ودرجة عالية جداً من التعقيد التقنى فى نفس الوقت لدى مرتكبيه، لقد أرادوا أن يضربوا بقوة وفى القلب، وحاولوا أن يحدثوا على الأقل ثلاثة أنواع من النتائج: خسائر مادية، وتأثيراً رمزياً، وصدمة إعلامية ضخمة.

" إن ما تغير دفعة واحدة هو مفهوم الإرهاب ذاته، ويجرى الحديث مباشرة عن الإرهاب الفائق Hyper Terrorism للدلالة على أنه لم يعد كما كان من قبل. لقد جرى عبور عتبة لا يمكن تصورها ولا فهمها. فالعدوان مفرط إلى حد أنه لا

---

[1] السيد يسين، الحرب الكونية الثالثة، عاصفة سبتمبر والسلام العالمى، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣. ص٨

[2] جاك دريدا، مرجع سابق، ص٦٤

يشبهه شيء قبله. إلى حد أننا لا نعرف كيف نسميه. اعتداء ؟ هجوم ؟ عمل حربى؟ إن حدود العنف الأقصى تبدو متزايدة الاتساع. كما لم يعد بمستطاعنا أن نعود إلى الوراء. ويعرف الجميع أن جرائم ١١ سبتمبر، الافتتاحية، سوف تعيد إنتاج نفسها. فى أماكن أخرى ربما، وفى ظروف مختلفة دون شك، غير أنها ستتكرر." [1]

وهكذا فإنه " على المرء الاعتراف بولادة نوع جديد من الإرهاب، وشكل جديد من الفعل الذى يدخل اللعبة ويأخذ حصته فى تحديد قواعدها، بحيث يفلح أكثر فى بلبلتها ... فهؤلاء الناس لا يتجنبون القتال بسلاح مكافئ فحسب، إذ ينتجون موتهم الخاص الذى لا يتوفر رد ممكن عليه، ولكنهم ياخذون نصيبهم فى كل أسلحة القوة المهيمنة. المال والمضاربة النقدية، تكنولوجيا المعلومات والطيران، إنتاج شبكات الاستعراض والإعلام، لقد تمثلوا كل ما فى الحداثة والعولمة، وحافظوا فى الآن ذاته على هدف تدميرها."[2]

وإذا كانت تكنولوجيا المعلومات فى الثمانينيات قد سهلت الجريمة العالمية، وساعدت الإرهاب. فإنه قد أصبح الآن " من الأفكار الشائعة أن الأخطار التى نواجهها أصبحت أكثر مأساوية من تلك التى كانت فى الماضى، لأنها أصبحت عالمية. نحن نعيش فى عصر العولمة."[3]

---

(1) ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ٥٤

(2) جان بودريار، روح الإرهاب، فى: إرهاب الحرب/ الحرب على الإرهاب، مجلة الكرمل، العددين ٧١/٧٠، ٢٠٠٢.

(3) Coker, Christopher, Op. Cit., P.2

عالمى أم عولمى:

فى كتابه المعنون (ساعتان هزتا العالم: الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، الأسباب والنتائج) " يرى **فريد هاليدى** – أستاذ العلاقات الدولية فى كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية – أن حدث ١١ سبتمبر يمتاز بأنه حدث (عولمى) أو معولم بامتياز؛ ومعنى أن يكون الحدث (معولماً) هو أن تكون له تداعيات تتجاوز حدود الفعل القريبة وتأثيرات تتجاوز الأطراف المباشرة المنخرطة فيه.

ويرى هاليدى أن تفجيرات ١١ سبتمبر تتسم بسمة معولمة لما لها من تداعيات عميقة على مستوى العالم من أهمها:"[1]

أولاً: قلبت التوجهات الأمريكية فى السياسة الخارجية التى كانت تميل إلى الانعزال عن العالم والالتفات إلى الشئون الداخلية أكثر فأكثر فى السنوات الأخيرة، كما كانت السياسة الانفرادية قبل أحداث سبتمبر، قد أثارت الدول الكبرى فى العالم ضد الولايات المتحدة، فجاء حدث سبتمبر ليقلب كل هذه الصورة، فقد أقحم الحدث الولايات المتحدة فى قلب السياسة الدولية مرة أخرى، ليس كفاعل أساسى مهيمن، بل وكمسير وقائد لتشكيلة جديدة من التحالفات العالمية.

ثانياً: قرب حدث سبتمبر بين روسيا والولايات المتحدة تحت شعار مكافحة الإرهاب الدولى. كما رأب التصدعات الأوروبية الأمريكية وأعاد توثيق التحالف عبر الأطلسى.

ثالثاً: وفر حدث سبتمبر فرصة ذهبية لإعادة ترتيب جدول الأولويات العالمى، ووضع قضية مكافحة الإرهاب الدولى على رأس ذلك الجدول، واستغلال فرصة

---

[1] كامبردج بوك ريفيوز، عرض كتاب (ساعتان هزتا العالم)، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

التوافق العالمى على إدانة جريمة نيويورك لتمرير أجندات أخرى لا تعبأ بسيادات الدول وتسهل عمليات التدخل فى شئونها الداخلية.

هذه التداعيات وغيرها مما لازلنا نراه راهناً هو الذى يفرق بين حدث سبتمبر ويعطيه السمة العولمية، وأحداث أخرى مثل حرب الشيشان أو حرب البوسنة ..الخ. والتى هى أحداث دولية أو عالمية ولكنها لم تؤثر فى إعادة تشكيل السياسة والتحالفات الدولية بالشكل الذى أدت إليه أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية.

كما يرى هاليدى أيضاً أن الأسباب والخلفيات التى تقف خلف أحداث سبتمبر هى حاصل جمع تراكمات من العوامل والظروف التاريخية تعود جذورها إلى عقود ماضية، ويصنفها إلى مجموعتين من الأسباب، الأولى تاريخية وعامة على مستوى شكل العلاقات الدولية، والثانية معاصرة ومباشرة على مستوى عدد من الدول والمجتمعات. ويضيف إلى هذين المحركين التاريخيين محركاً ثالثاً هو (العولمة الراهنة) وما انتجته من توترات وعدم مساواة بما وسع الهوة بين أغنياء العالم وفقرائه. وهنا يرى هاليدى أن هذه العولمة نفسها تحمل فى طياتها ما يكرس الوضع القائم من حيث انتشار الظروف الظالمة والقاسية فى حق مئات الملايين من الناس بما يوفر بيئات مولدة للعنف والتطرف.

ولم تطرح قضية العولمة نفسها من قبل على هذا النحو العنيف الذى تبدت به فور وقوع أحداث ١١ سبتمبر الدامى فى الولايات المتحدة. وإنه " مما يدعو للسخرية أن الإرهاب العالمى – ظاهرة عمل الإرهابيين فى وضد عدة أمم بشكل آنى – قد سُهل من خلال العولمة، والآن أصبح هو التحدى الأكبر للعولمة. الإرهاب العالمى يعتمد على نجاح العولمة. وفى الحقيقة يمكن جداً تخيل الإرهاب العالمى كمظهر للثقافة العالمية الناتجة عن العولمة."[1]

---

[1] Khan, Muqtedar, Terrorism and Globalization, http://www.glocaleye.org/terglo.htm

" إن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ تشكل فى مجموعها أكبر تحول فى تاريخ العالم الحديث، إنها تشبه نتائج حرب عالمية ثالثة، نعم، إن الهياكل القانونية للتنظيم الدولى مازالت على ما هى عليه، أمم متحدة، وكالات متخصصة، محكمة عدل دولية، منظمات إقليمية، فالشكل فى مجمله ليس مختلفاً ولكن الجوهر تباين بشكل واضح، فلقد سقط الحياء الدولى، وانتهى العشم بين القوة الكبرى وأصدقائها، بل وحلفائها، وأصبح كل شىء محتملاً، فإذا لم نكن أمام عالم جديد من الناحية القانونية، فإننا بالتأكيد أمام عالم مختلف من الناحية السياسية."[1]

" لقد صنع مركب ١١ سبتمبر عالماً جديداً فيه من مبررات المخاوف أكثر مما فيه من عناصر الأمان، عالماً تغيب فيه الثقة وتسود معه كل أسباب القلق والتوتر، فلم يعد هناك ما يمنع الولايات المتحدة الأمريكية من اتخاذ مواقف لا تخضع لحسابات تتصل بالغير، فقد سقط الحياء الدولى مثلما اختفى الحياء القومى، وأصبحنا أمام معادلة دولية جديدة وظروف إقليمية مختلفة."[2]

وهكذا فقد دشنت أحداث الحادى عشر من سبتمبر الأمريكية، عهداً جديداً من العلاقات الدولية، ومثلت ولادة ناجحة ودعائية لنمط جديد من الإرهاب، يختلف عن كل أنماط الإرهاب التى خبرها العالم من قبل، نمط يرتبط بالعولمة، ويصدر عنها، ويتمثل منجزاتها، وفى نفس الوقت يعاديها ويقاتل ضدها !!. لقد دشنت أحداث سبتمبر نوعاً جديداً من الفعل الإرهابى، لم يكن له أن يظهر أو أن يوجد، إلا فى ظل هذه العولمة المعاصرة.

---

[1] د.مصطفى الفقى، محنة أمة، خطايا النظم ومعاناة الشعوب، دار الشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣. ص١٦

[2] المرجع السابق، ص٢٣١

" فالعولمة بسلوكياتها وممارساتها (وبفلسفاتها أيضاً) هى تدويل للإرهاب، وتعدد لجنسيته، ... العولمة هى التى أوصلت الإرهاب إلى أمثل صوره، تماماً كما أوصلت الرأسمالية الإمبريالية إلى أقصى مراحل تطورها."[1]

وهذا الباب محاولة لتوضيح طبيعة العلاقات المتبادلة بين الإرهاب والعولمة، وكيف يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، ولكن قبل ذلك يجب وضع تعريف محدد لمفهوم الإرهاب العولمى، حيث يمكننا تعريفه بأنه:

(ذلك النوع من الإرهاب الذى يرتبط بتطور العولمة ونموها، ويستفيد من كل منجزاتها، وقد يكون رد فعل مضاد لها، ويكون له تداعيات تتجاوز حدود الفعل الإرهابى القريبة، وتأثيرات تتجاوز الأطراف المباشرة المنخرطة فيه (الإرهابيون والضحايا)، ونموذجه التوضيحى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية فى واشنطن ونيويورك).

[1] يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة أو فى عولمة الإرهاب، مرجع سابق.

الفصل الأول

تأثير العولمة على الإرهاب

- الإرهاب لا أخلاقى، وأحداث مركز التجارة الدولى – هذا التحدى الرمزى – لا أخلاقية، وهى ترد على عولمة هى نفسها غير أخلاقية.

الفيلسوف الفرنسى/ جان بودريار

- إن انقسام العالم إلى معسكرين: معسكر غنى متخم فى الشمال يعانى من أمراض التخمة، ومعسكر فقير مستنزف مصاب

بالأنيميا فى الجنوب، كل ذلك ينتج أشكالاً من المحبطين والبائسين وفاقدى الأمل والباحثين عن الخلاص حتى الموت !!.

الكاتب الصحفى المصرى/ د. فتحى عبد الفتاح

يرى العديد من الباحثين أن العولمة بشكلها الحالى هى التى وفرت الدوافع والأسباب، وهيأت البيئة الملائمة لتحول الإرهاب من شكله التقليدى إلى شكله العولمى الجديد، كما أنها أمدته بكل أدواته وتقنياته التى أحسن استغلالها والاستفادة منها. فالعالم الذى أقامته لنا العولمة الليبرالية الجديدة فى غضون الخمسة عشر عاماً الأخيرة، بتواطؤ عدد كبير من القادة، حافل بعنف ولا مساواة لم يسبق لهما مثيل فى التاريخ.

" من ناحية أخرى، نتيجة ما يطلق عليه **توحش العولمة** ونعني سياساتها التي أدت إلي موجات من التهميش الاقتصادي لعديد من الدول، وإلي الاقصاء الاجتماعي لطبقات عريضة، استنفرت دوائر ثقافية متعددة في البلاد النامية التي نزعت إلي صياغة أيديولوجيات مضادة تدافع بها عن نفسها وتعبر عن أصالتها الثقافية. وفي هذا الصدد برزت أصوليات متعددة دينية وقومية ووطنية. ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت باحثاً باكستانياً شهيراً إلي أن يصف المشهد العالمي الراهن بأنه ليس صراعاً بين حضارات بقدر ما هو صراع بين أصوليات! بعبارة أخري في مواجهه الأصولية الأمريكية العولمية برزت الأصولية الإسلامية المتشددة والتي اتخذت الارهاب وسيلة للتعبير عن رفضها للنظام العالمي الراهن.

في ضوء هذا التحليل يمكن التأكيد أن الارهاب كظاهرة عالمية أصبحت تعاني منها جميع الدول متقدمة كانت أو نامية، ولا يمكن فهمها إلا في سياق التطورات العالمية الكبرى التي حدثت في العالم، وأبرزها ظاهرة العولمة، بكل آثارها السلبية علي اقتصاديات ومجتمعات العالم الثالث. غير أن العولمة وإن كانت من بين العوامل التي أدت إلي تفجير العنف وبروز الارهاب، إلا أن النظم السياسية السلطوية مسئولة إلي حد كبير عن بروز الظاهرة لأنها بحكم قمعها السياسي للجماهير أوقفت عمليه الحوار الديمقراطي الضرورية لمناقشة أمور جوهرية تمس صميم أمن المجتمعات، وأبرزها مصير الخصوصيات الثقافية في عصر العولمة،

وتوسيع أفق الممارسة الديمقراطية لكي تعبر مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية عن نفسها، وقبل ذلك كله لمناقشة الفوائد المرتجاة من العولمة وهل هي مصممه لإثراء القلة من أهل السلطة ورجال الاعمال علي حساب الملايين من الفقراء، أم أنها كما يقال هي الأداة الأساسية للتقدم الاقتصادي والنهوض الاجتماعي ؟."[1]

أولاً: العولمة ودوافع الإرهاب:

وفقاً لكل من الفيلسوف الألمانى يورجن هابرماس، والفيلسوفان الفرنسيان جاك دريدا، وجان بودريار، فإن " **الإرهاب ظاهرة ارتبطت بالعولمة،** واستئصال الاختلافات التى تميز الثقافات وتجعلها فريدة."[2]

" **وهذه إحدى تناقضات العولمة. أنها تولد الإرهاب.** والرغبة فى حماية الثقافات التقليدية، إنها تخلق إحساساً بانعدام القوة لأولئك الذين تركوا على الأرض حيث لا بديل قابل للتطبيق لتقاليد البنك الدولى. إنها تركز أكثر من ذى قبل الانتباه على أمريكا والأمركة، التى تسربت من الأقمار الصناعية وشبكات الكوابل مثل النفايات السامة. إنها تخلق، عندما تعمل، اتجاهاً قوياً نحو العنف بين الدول، وحتى بين المجتمعات المحلية. ولكنها أيضاً تولد الحاجة إلى عنف تعبيرى (شعائرى، رمزى، واتصالى). فالعنف التعبيرى لهجوم مركز التجارة العالمى كان يعنى للضحية (القلق الشديد والخزى) وللفاعلين (المكانة، المظهرية، والشهرة فى العالم الإسلامى). واختيار الهدف، مركز التجارة العالمى، علامة عالمية، توضح كيف أن العولمة تعطى للعنف التعبيرى قوة رمزية أكبر من ذى قبل."[3]

---

[1] السيد يسين، الإرهاب كظاهرة عالمية، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٥/٤/٢١.

[2] Teschner, George, Op. Cit.

[3] Coker, Christopher, Op. Cit., P.3-4

والحقيقة أنه " كلما كان النظام متمركزاً كونياً بحيث يشكل شبكة واحدة فى نهاية الأمر، فإن ضعفه يزداد عند نقطة معينة (ونعرف أن فتى فلبينياً متلصصاً نجح باستخدام كمبيوتره المحمول فى إطلاق فيروس I Love You الذى قوض شبكات بأكملها). وهنا، دشن ثمانية عشر انتحارياً سيرورة كارثية كونية، من خلال سلاح الموت المسلح بالكفاءة التكنولوجية.

وحين تحتكر قوة عظمى الموقف على هذا النحو، وحين يتعامل المرء مع هذا التكثيف الباهر لجميع الوظائف من خلال الآلة التكنوقراطية والفكر الأحادى، أى سبيل آخر يتبقى سوى التحويل الإرهابى للموقف؟. إنه النظام ذاته من خلق الشروط الموضوعية لهذا التشويه الحاد، وعن طريق الاستحواذ على كل الأوراق يجبر (الآخر) على تبديل قواعد اللعبة. والقواعد الجديدة شرسة، لأن الرهانات شرسة، وإزاء نظام قوته المفرطة حالة من التحدى المستعصى، يجيب الإرهابيون بفعل نهائى يستحيل معه إجراء التبادل. الإرهاب فعل يعيد إدخال فرادة غير قابلة للاختزال إلى نظام تبادل معمم. وإن أية فرادة (تخص الأنواع أو الأفراد أو الثقافات) دفعت بموتها ثمن إقامة حلقة كونية تهيمن عليها قوة فردية، هى التى يُثأر منها اليوم عن طريق هذا التحويل الموقفى الإرهابى.

بهذا فإن الأمر ليس صدمة حضارات أو أديان، وهو يتجاوز بكثير الإسلام وأمريكا، حيث يحلو للبعض تركيز الصراع للإيهام بوجود مواجهة مرئية وحل ممكن عن طريق القوة. ولا ريب أنها خصومة جذرية ولكنها من نوع يظهر من خلال طيف أمريكا (التى قد تكون مركز الأرض فى ذاتها ولكنها ليست تجسيد العولمة، ومن خلال طيف الإسلام (الذى فى المقابل ليس تجسيد للإرهاب)، العولمة الظافرة وهى تقاتل نفسها. وبهذا المعنى فالأمر حرب عالمية، والوحيدة العالمية حقاً، لأن رهانها ينصب على العولمة ذاتها ... إنها تلك التى تسكن كل نظام كونى، وكل إخضاع مهيمن. إذا هيمن الإسلام على العالم، فإن الإرهاب سوف يقاتل ضده، ذلك لأن العالم ذاته هو الذى يقاوم الإخضاع ... **الإرهاب لا أخلاقى، وأحداث مركز**

التجارة الدولى، هذا التحدى الرمزى، لا أخلاقية. وهى ترد على عولمة هى نفسها غير أخلاقية."[1]

وهكذا يمكن النظر إلى الإرهاب " **كنتاج لعولمة متوحشة**، والتى تسمى أيضاً أصولية السوق، والتى تحطم البيئة الإنسانية بالطريقة نفسها التى كانت الثورة الصناعية تحطم بها البيئة الطبيعية ... بهذا المعنى فإن **الإرهاب يعد نتاجاً لأفكار العولمة الأساسية فى جانبها المظلم فقط."[2]**

" إن العولمة المهيمنة والمتوحشة التي تزيد عن هيمنة الفكر الرأسمالي الأحادي لصالح الشمال، ومزيد من التبعية والاخفاق في التنمية وفرصها لدول الجنوب، يفقد في النهاية كل أمل لوجود مباراة غير صفرية ويؤكد هيمنة مباراة صفرية لصالح دولة أو جماعة بعينها، مما يستتبعه إنسانياً وصول أطراف ما لحالة من اليأس وايجاد الظروف المواتية للرد علي المباريات الصفرية بأسلوب صفري يؤسس المناخ المواتي مع الأسف للرد علي إرهاب من نوع خاص بإرهاب آخر سواء من دول أو أفراد، وهو الأمر الذي لابد من إعادة النظر إليه لمعالجة جذور الإرهاب، وهو الذي دفع بعض الجرائد والمجلات في الملف الدولي الخاص بأحداث الانفجارات في أمريكا لوصف الانفجار المؤسف لمركز التجارة العالمي بانفجار العولمة."[3]

وقد " ثار جدل حول أن **الإرهاب الحالى مجرد رد فعل للإرهاب الأكثر قوة بكثير الذى كانت تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية** ... فالعولمة فى حد ذاتها لم تدرك بكونها سبباً موجهاً للإرهاب، ولكن مازال شكل العولمة القيادية الذى يؤدى إلى خلق إمبراطورية أخرى، يمكن أن يرتبط جيداً بتطوير الإرهاب. فالإرهابيون

---

(1) جان بودريار، مرجع سابق. ص ص٢٩-٣١

(2) Maskaliunaite, Asta, Op.Cit.

(3) د. حسن محمد وجيه، رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠١/٩/٢٧.

الإسلاميون والمتظاهرون ضد العولمة، كلاهما يرى الولايات المتحدة كمصدر للعولمة. لذلك فإنه من غير المحتمل تجاهل سياسات الهيمنة بالكامل عند فحص الصلات بين العولمة والإرهاب. فقد وصل عدم المساواة العالمى مستويات استثنائية. وهو فى هذه المياه الموحلة لليأس التى يمكن للمنظمات الإرهابية خاصة أن تجد المجندين بسهولة للأعمال الأكثر جرأة. كما قال أحد مناهضى العولمة الإيطاليين: لماذا نندهش أن شخصاً ما يحاول كسب جنة السماء بالأعمال الإرهابية، إذا كانت جنة الأرض، التى وعدت بها الرأســمالية النيوليبرالية لأكثر من أربعة أخماس الأرض، ســـــراب يتحرك بعيداً."[1]

وإذا كان الإرهاب يعتبر نوعاً من التطرف، فإنه " تطرف مصدره المؤكد رد الفعل لا الفعل فى حد ذاته. وسياسات أمريكا (الاقتصادية بالأساس وداخل المنظمات الدولية ناهيك عن منظمة الأمم المتحدة بمختلف هيئاتها) بررت تطرف رد الفعل (فى أعين منفذيه على الأقل) بعدما تعذر عليهم بلوغ مرادهم أو إسماع صوتهم بالحسنى كما يقال. فلم يكن من موازٍ منطقى لعنف الانفجارات بالولايات المتحدة إلا عنف سياسات هذه الأخيرة وسطوتها على ثروات الآخرين (كما فى الخليج منذ التسعينيات على الأقل) وإذلالها لدول تتطلع للاستقلال الاقتصادى والتكنولوجى (كالعراق مثلاً) وإلحاق الغبن والضيم بشعوب (كما فى أمريكا اللاتينية وفى فلسطين وفى غيرها) تدافع عن حقها فى الوجود."[2]

وهكذا فإنه " بغض النظر عن أيديولوجية العولمة، التى زعمت أنها هى بذاتها الحل السحرى لمشكلات الإنسانية، فإنه سرعان ما تبين فى الممارسة أنها عولمة متوحشة، صاغت مبادئها الدول الصناعية المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية والثقافية، حتى ولو كان ذلك على حساب الدول النامية." [3]

---

[1] Maskaliunaite, Asta, Op.Cit..

[2] يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة أو فى عولمة الإرهاب، مرجع سابق.

[3] السيد يسين، الحرب الكونية الثالثة، مرجع سابق، ص١٧

وبناء على ذلك " لا يمكن أن يكون هناك حوار شفهى ومسالم مع كل ضحايا العولمة المزعومة، ويصير اللجوء إلى اسوأ أنواع العنف هو ما يقدم غالباً على أنه الرد الوحيد الممكن على الآذان الصماء." [1]

" إن المبانى التى استهدفها الإرهابيون – فى أحداث سبتمبر – لم تختر بصورة عشوائية، كعقاب على القهر العسكرى والاقتصادى والسياسى الذى استمر مفروضاً عقوداً طويلة على الشرق الأوسط، وأساساً على السكان المسلمين الذين يعيشون فيه، على أيدى الإمبراطورية الأمريكية ...

فالأمر لا يتعلق بمجرد أن الناس فى الشرق الأوسط وحدهم لديهم مبرر قوى لكراهية ما تفعله حكومة الولايات المتحدة، فقد خلقت الولايات المتحدة أعداداً ضخمة من الإرهابيين المحتملين فى كل أنحاء أمريكا اللاتينية، خلال نصف قرن من الأعمال الأمريكية الأشد سوءاً من تلك التى اقترفت فى الشرق الأوسط. ولو كان أهل أمريكا اللاتينية قد قاسموا كثيرين من المسلمين الاعتقاد بأنهم سيذهبون إلى الجنة مباشرة بالاستشهاد فى قتل الشيطان الأكبر، لكنا شهدنا حتى الآن عقوداً من الرعب الإرهابى تجئ من جنوب الحدود المكسيكية الأمريكية." [2]

وهكذا " لو سلمنا بهذا الاعتقاد، فإنه من الهين التسليم بأن إرهاب ١١ سبتمبر لم يكن، وليس بالضرورة، حكراً على جهة دون أخرى أو تنظيم دون آخر، إذ الحركات الاحتجاجية على السلوك والسياسات الأمريكية قد اتسعت لكل من طالهم عنف السلوك وضيم السلوكيات الأمريكية ... وعلى هذا الأساس **فمن الوارد اعتبار العولمة شريكاً للإرهاب تنمى عناصره وتقوى (عن غير قصد) أدواته وتدفع به إلى أتون العنف ليرتد عليها فى نهاية المطاف** ... وقد يكون من المبالغة القول بان الإرهاب وليد العولمة (على اعتبار أنه قد يكون وليد ظروف أخرى) وقد يكون من

---

[1] جاك دريدا، مرجع سابق، ص ص ١٢٩–١٣٠

[2] ويليام بلوم، مرجع سابق. ص ص ٩–١٠

المجازفة اعتباره ابنها الشرعى، لكن من المؤكد أنها كانت العامل المركزى الذى سرع من قدومه (بالشكل الذى رأيناه فى ١١ سبتمبر) وأدى إلى التضامن الضمنى الواسع معه، ليس فقط من لدن منظمات مناهضة للعولمة أعادت رفع شعارات كانت قد رفعتها قبل ١١ سبتمبر، ولكن أيضاً من لدن مفكرين غربيين تتميز مواقفهم بالحياد الكبير وبالموضوعية غير الملتبسة. من هنا فمن غير المستبعد أن يكون منفذو عمليات واشنطن ونيويورك هم **نتاج تطرف العولمة بما هو دفع بالليبرالية إلى أقصى حدودها، وبديمقراطية السوق إلى أبعد مستوياتها،** وبالفكر الواحد والوحيد إلى أسمى مناصبه."[1]

فالعولمة المتوحشة الحالية لا ينتفع بها انتفاعاً كاملاً إلا عدد محدود من البلدان وعدد محدود من الطبقات والأفراد داخل هذه البلدان، وهى " البلدان الغنية الشمالية والتى تستحوذ على رأس المال وتسيطر على أدوات القرار الاقتصادى – أى مجموعة الثمانية والبنك الدولى ..الخ – فإذا كان منظمو هجوم ١١ سبتمبر والقائمون به ينتمون إلى الشريحة المنتفعة بهذه العولمة الجارية الآن – فيما تعنيه من نفوذ رأسمالى وأدوات الاتصال عن بعد، والتكنولوجيا المتقدمة، واجتياز الحدود – إلا أنهم يدعون قيامهم بذلك على الأقل باسم المطرودين من العولمة، وباسم كل أولئك الذين يشعرون بأنهم محرومون وبأنهم خاسرون وبأنهم مهمشون ومهملون على قارعة الطريق لا يمتلكون إلا وسائل الفقراء فى زمن العولمة."[2]

---

[1] يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة أو فى عولمة الإرهاب، مرجع سابق.

[2] جاك دريدا، مرجع سابق. ص١٢٨

ثانياً: العولمة وأدوات الإرهاب:

إذا كانت العولمة – وفقاً لما سبق – تعطى أسباباً أولية للإرهاب بخلق التناقضات العظيمة فى الأحوال الاقتصادية للبلدان المختلفة من العالم، وبما تمارسه الولايات المتحدة – فى ظلها – من هيمنة وسيطرة وقهر لكافة شعوب العالم. فإن العولمة أيضاً تزود الإرهاب العالمى بوسائل تقدمه التقنى.

إن إحدى أكثر الارتباطات المؤكدة بين الإرهاب والعولمة عادة تتعلق بالجوانب التقنية أكثر من غيرها. فالتحديث بوجه عام، خلق مجموعة العوامل التى أعطت حافزاً هاماً لتطوير الإرهاب، بداية فهى تتضمن توسع شبكات النقل والاتصال. وفى عصر العولمة بدأت هذه الشبكات التطور فى سرعة هائلة. ومنطق العولمة النيوليبرالية يؤدى إلى انفتاح الدول المتزايد للانتقال، الصفقات المالية، الأعمال التجارية ..الخ.

" وبإضعاف الدول، والحط من شأن السياسة، والغاء النظم واللوائح الرئيسية للدول، شجعت العولمة على نمو منظمات طفيلية انتشرت وتوسعت، مستغلة بطريقة فوضوية المجالات التى تحررت على هذا النحو. والقاعدة، بهذا الخصوص، منظمة متأقلمة تماماً مع عصر العولمة، بتفريعاتها عبر القومية، وشبكاتها المالية، وروابطها الإعلامية والاتصالية، ومواردها الاقتصادية، وبخطوط إمدادها ومراكز تدريبها، ومحطات تقوية دعايتها، وفروعها، وفروع فروعها." [1]

بالإضافة إلى أن التطور التكنولوجى فى وسائل الاتصالات سمح بإيجاد الفاعلين الذين يمكنهم تحدى العمليات العالمية بدرجة كبيرة. وهكذا، تم الاعتراف على نحو واسع بأن أسامة بن لادن وشبكة القاعدة، لم يكن ليتطوروا إلا فى هذه

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص٦٢

الأوقات من العولمة. فقد ثبت أن أعضاء القاعدة قد استخدموا بريداً الكترونياً مشفراً للاتصال، كما استخدموا الإنترنت لإخفاء رسائلهم المشفرة فى صور الويب، كما استخدموا شبكات مصرفية خفية لتحويل الأموال عبر الحدود، واستخدموا شبكات الفضائيات مثل الجزيرة و C.N.N لتوصيل رسالتهم، وفى تحضيراتهم للهجمات استخدموا مجموعة كبيرة من تقنيات المعلومات الأخرى مثل استئجار الهواتف الخلوية، ووكالات سفريات على الإنترنت، ومحاكيات طيران كمبيوترية، والخلاصة أن العولمة ساعدت على خلق الشبكة الإرهابية بالدرجة التى ظهرت بها شبكة القاعدة، فقد زودتها بوسائل هجمات ١١ سبتمبر وجعلت تأثيرها قوياً كما ظهر."[1]

ولذلك فإنه " كلما أصبح النظام الدولى السائد أكثر عولمة، أصبح الإرهاب كذلك، خاصة مع ظهور الإنترنت وأجهزة الإعلام الإلكترونية العالمية عبر الأقمار الصناعية."[2]

ومن هنا " يعتبر فرنسوا هورسبورج الإرهاب تعبيراً طبيعياً عن تضخم دور الفرد فى العولمة، وترافق هذا التضخم مع توزيع غير متكافئ للتعريف عن الذات الثقافية والأيديولوجية، وهو يتوقع أن يتزايد بشكل كبير فى السنوات العشر القادمة، مهما كانت وسائل المعالجة والمواجهة والحرب عليه. فى حين يختصر بودريار إشكاليته باعتباره صدام العولمة مع ذاتها !!." [3]

---

(1) Maskaliunaite, Asta, Op. Cit.
(2) Mazari, Shireen M., Op. Cit.
(3) د. هيثم مناع، مقاربة غير نمطية للإرهاب والحرب عليه، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

الفصل الثانى

تأثير الإرهاب على العولمة

- لماذا نندهش أن شخصاً ما يحاول كسب جنة السماء بالأعمال الإرهابية، إذا كانت جنة الأرض التى وعدت بها الرأسمالية النيوليبرالية لأكثر من أربعة أخماس الأرض، مجرد سراب يتحرك مبتعداً.

أحد مناهضى العولمة الإيطاليين

- الحركة العامة لمجتمعاتنا التى كانت تتجه إلى احترام متزايد دائماً للفرد ولحرياته، جرى وقفها بصورة وحشية. كما أن كل شىء

يشير إلى أننا ننحرف من الآن نحو دولة تغدو بوليسية أكثر فأكثر.

المفكر الفرنسى/ ابنياسيو رامونيه

إذا كانت العولمة قد أثرت على الإرهاب، وأدت فى نهاية المطاف إلى ظهوره فى شكل جديد لم يعرفه العالم من قبل، أعلن عن نفسه بقوة من خلال أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الأمريكية، فإن الإرهاب بعد هذا التاريخ (وما تبعه من حرب على الإرهاب) أثر أيضاً على العولمة وعملياتها وسيرورتها.

وأغلب الآراء التى تناقش تأثير الإرهاب على العولمة لا تخرج عن مجموعتين من الآراء، المجموعة الأولى ترى أن الإرهاب – بشكله الذى شاهده العالم فى ١١ سبتمبر – يعتبر المسمار الأخير فى نعش العولمة، وأنه سيؤدى إلى تباطؤ عملياتها وانتهائها. بينما ترى المجموعة الثانية على النقيض من ذلك أن تأثير الإرهاب على العولمة إنما هو أمر عرضى مؤقت، وأنه لن يؤدى إلا إلى زيادة قوة العولمة ونموها وسيطرتها.

وقد طرحت عدة أفكار فى إطار إشكالية كيفية مواجهة الإرهاب دون المساس بالمنطلقات النظرية والآليات العملية للعولمة، ومن دون حرمان البشر من الفرص والإمكانات التى تتيحها العولمة وتبشر بها.

ويمكن تلخيص أهم هذه الأفكار والتصورات فيما يلى: [1]

أولاً: فكرة الحد الأدنى من التدخل فى المسار الحالى للعولمة بهدف حمايتها من الإرهاب، وبحيث لا يؤثر هذا التدخل على جوهر العولمة وآلياتها وأهدافها.

ثانياً: فكرة مراجعة مسار العولمة، مع التوصل إلى اتفاقيات واضحة ومحددة لحرمان الإرهاب من الاستفادة من منجزات العولمة، وقد أقترح أن تبادر دول منظمة التجارة الحرة بصياغة هذه الاتفاقيات ووضع آليات تنفيذها.

---

[1] عصام عز الدين، جدلية العلاقة بين العولمة والإرهاب، جريدة النور السورية، عدد ٢٠٠٥/٣/٢٤. الموقع الالكترونى: www.an-nour.com

ثالثاً: فكرة إطلاق يد كل دولة منفردة فى اتخاذ ما تراه من اجراءات وقائيـــة دفاعية ضد استغلال منجزات العولمة، ما دامت هذه الاجراءات ستتم فـــى إطـــار دستور كل دولة ونظمها القانونية وطبيعة التحديات والتهديدات التى قد تتعرض لها، وبالتالى يمكن تحقيق التوازن بين استمرار العولمة وبين مصالح كل دولة. وبمقدار تشدد الاجراءات التى ستتخذها كل دولة بمقدار تعرضها للحرمان من بعض مزايا العولمة.

رابعاً: فكرة أن العولمة بوصفها حتمية تاريخية تفرض قوانين وآليات تعلـــو إرادة الدول، ومن ثم لا يمكن لأحد الوقوف أمام قطار العولمـــة، وبالتـــالى فـــإن استمرار العولمة كما هى كفيل بالقضاء على السلبيات والتناقضات التـــى تفرزهـــا عملياتها بما فى ذلك الإرهاب. أى أن المهم هو الحفاظ على مسيرة العولمـــة دون تدخلات، فهذا النهج وحده كفيل بظهور آليات من داخل العولمة تفضح الإرهـــاب وتقلص فرص وجوده.

ولكن كل الأفكار السابقة، ما هى إلا محاولات متعثرة للخروج من إشـــكالية التناقض بين قيم العولمة وآلياتها، والإجراءات المطلوبة لمكافحة الإرهاب. وعلـــى الرغم من الخلافات العميقة بينها إلا أنها جميعاً تلتقى فى كونها مجـــرد رهانـــات مستقبلية لا يمكن التكهن بنتائجها العملية على كل من العولمة والإرهاب، كما أنها تنطلق من حقيقة واحدة وهى أن أحداث ١١ سبتمبر أصبحت علامة فارقـــة فـــى مسيرة العولمة ومستقبلها.

أولاً: الإرهاب والنظام العالمى:

يرى الكاتب السورى الدكتور هيثم مناع أن " الإرهاب صناعة ضرورية لتسريع وتيرة إعادة هيكلة خريطة المصالح والانتقال من مشاريع العدالة الانتقالية إلى تطبيق مبدأ العدالة الانتقائية. لقد تحول الإرهاب في خمس سنوات إلى المركز الأول للتدريب اليومي للحكومات غير الشرعية على دروس طاعة القوة الكبرى

وتدجين لأصوات مناهضة العولمة الوحشية الطائشة والصبيانية (لأنها لا تهتم بأرواح الأبرياء). الإرهاب لم يعد فقط القضية الخطيرة بل القضية الحيوية، أي أن إستراتيجية مواجهته لا تهدف لسحق العدو بل لإبقائه حياً لأن سحقه يعني نهاية حرب مفتوحة عليه." [1]

وقد أسفرت أحداث سبتمبر وما تلاها من تداعيات عن " اكتساب الولايات المتحدة سلطة قيادية جديدة فى النظام العالمى، وظفتها لمحاولة إعادة ترتيب العلاقات الدولية طبقاً للمصالح الأمريكية. وقد سعت قوى حليفة للولايات المتحدة إلى استثمار تلك الفرصة لتحقيق أهداف مشابهة فى المناطق الإقليمية مثل إسرائيل فى الشرق الأوسط (تصفية القضية الفلسطينية) والهند فى جنوب آسيا (تصفية القضية الكشميرية)."[2]

كما أدت هذه الأحداث إلى **ظهور عالم جديد ثنائى القطبية**، ولكنه ليس كالسابق بين دولتين عظمتين، وإنما هذه المرة **تقف الولايات المتحدة الأمريكية فى قطب، ويقف الإرهاب العولمى فى القطب المضاد.**

" فللمرة الأولى لن يكون القطب الدولى فى صورة دولة، وإنما فى شكل منظمات وحركات وأفراد لا يجمع بينهم أكثر من العداء للقطب الآخر، وللمرة الأولى سيكون هناك **قطب عالمى خفى** غير ظاهر ولا يظهر منه إلا أعماله التى تدل عليه أو الأشخاص الذين يتم اعتقالهم هنا أو هناك ... إن الإرهاب كقطب دولى يكتسب قدرات متزايدة من حيث الفعل والتأثير إلى حد أنه ألحق بالولايات المتحدة خسائر لم تتعرض لمثلها من قبل، بل ما كان ممكناً أن تصيبها على هذا النحو فى النظام ثنائى القطبية الذى أقيم على أساس من الردع المتبادل." [3]

---

[1] د. هيثم مناع، مرجع سابق.

[2] د. محمد السيد سليم، مرجع سابق.

[3] د. وحيد عبد المجيد، الإرهاب وأمريكا والإسلام من يطفئ النار؟، دار مصر المحروسة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤. ص٢٥

والإرهاب كقوة عظمى صاعدة، يصعب على القوة الأمريكية هزيمته عبر المواجهة المسلحة وحدها، سواء كانت دفاعية أو هجومية أو استباقية، وبكل ما تتضمنه من سلاح متقدم وتكنولوجيا عسكرية متطورة. حيث يظل الإرهاب قادراً على أن يضرب ويهرب، ويوقع خسائر هائلة، وينفذ إلى نقطة الضعف الأساسية فى بناء القوة الأمريكية، والتى سوف تصبح فى مواجهته كالملاكم الضخم الذى يتصدى لسرب من الدبابير لا يعرف من أين تلدغه !!.

" فالحرب ضد الإرهاب قد تهزم فصيلاً من فصائله ولكن ليس كلها، بل على العكس يمكن أن تدعمه كظاهرة، حتى إذا أسفر عمل عسكرى ضده عن إلحاق خسائر كبيرة به أفراداً أو قواعد فمن ناحية أولى ما أسهل إعادة بناء القواعد التى تستخدم فى التجميع والتدريب. ومن ناحية ثانية، تتكفل السياسة الخارجية الأمريكية بمد الإرهاب بأشخاص جدد تملؤهم هذه السياسة غضباً وكراهية فلا يفكرون إلا فى ضرب أصحابها وإلحاق خسائر بهم بغض النظر عن نتائج ذلك."[1]

وكما يؤكد **جاك دريدا** فإنه " لم يعد من الممكن من الآن فصاعداً الاعتماد على توازن الرعب، حيث لم يعد هناك تبارز بين دولتين (الولايات المتحدة – الاتحاد السوفيتى) منهمكتين سوياً فى حسابات نظرية للعبة التوقعات السياسية والاقتصادية وقادرتين على تحييد القوى النووية التى تنصبانها الواحدة ضد الأخرى، اعتماداً على تقييم متبادل ومحسوب للمخاطر عند الطرفين، فمن الآن فصاعداً أصبح التهديد النووى تهديداً شاملاً، لا يأتينا من دولة معينة، ولكنه يأتينا من قبل قوى مجهولة لا يمكن توقعها ولا حساب حسابها."[2]

إضافة إلى ذلك فإن تفجيرات نيويورك وواشنطن " جاءت كعامل مساعد لقوى العولمة الاستغلالية والعدوانية الامبريالية في طمس حقيقة وجوهر الصراع الطبقي

---

[1] المرجع السابق، ص٢٧

[2] جاك دريدا، مرجع سابق، ص٦٤

– السياسي الأساسي في عالمنا وما يحتويه من تناقضات صارخة. فقد جرت هذه التفجيرات الارهابية في عز تصاعد الكفاح الجماهيري السياسي الواسع، الذي اتخذ الطابع الأممي، ضد الطابع الهمجي الوحشي للعولمة الرأسمالية الامبريالية الذي يفترس عملياً حياة ومستوى معيشة وتطور البلدان النامية ضعيفة التطور الاقتصادي، كما يفترس مستوى معيشة الفئات الاجتماعية المسحوقة من العاملين والعاطلين عن العمل وذوي الدخل المحدود المنخفض في البلدان الرأسمالية الصناعية عالية درجة التطور الاقتصادي والعلمي – التكنولوجي. "[1]

كذلك أدى تفجر الإرهاب إلى مشكلات أمنية كانت خامدة أو فى طريقها للتسوية، وتفجرت مواجهات إقليمية جديدة، وخاصة بين الولايات المتحدة وقوى إقليمية مناهضة لها، مثل كوريا الشمالية وإيران وغيرها، وأصبحت قضية الإرهاب، بالمفهوم الأمريكى، هى القضية المحورية فى أجندة النظام العالمى، وبدا أن هناك اتجاهاً لوصم كل حركات المقاومة الوطنية للاحتلال المدعوم من الغرب، بالإرهاب، واعتبار أن الوظيفة الأساسية للتحالف الغربى هو ضرب هذا الإرهاب. أضف على ذلك التحولات التى شهدتها منطقة آسيا الوسطى متمثلة فى التواجد الاستراتيجى الأمريكى فيها على مقربة من روسيا والصين.

كما أدت الحرب الأمريكية على الإرهاب، وإدارة الولايات المتحدة لهذه الحرب بطريقة استبدادية متغطرسة، إلى تصاعد موجات الغضب والكراهية ضد السياسة الأمريكية العالمية، بل وظهور دول عديدة تناهض الهيمنة الأمريكية، وتناصبها العداء، مثل كوريا الشمالية وإيران وكوبا وشيلى وفنزويلا وغيرها. إضافة إلى تزايد حدة مشاعر الكراهية للولايات المتحدة وسياساتها بشكل لم يسبق له مثيل.

---

(1) أحمد سعد، فى الذكرى السنوية الخامسة لــ١١ سبتمبر: ممارسة عولمة إرهاب الدولة الأمريكية المنظم ينسف قواعد الاستقرار والأمن العالميين، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٢ على موقع: www.rezgar.com

ومن التغيرات الجوهرية على المستوى العالمى التى أفرزتها الأحداث الإرهابية، والحرب الأمريكية ضدها، هو انفراد أمريكا بالتصرف خارج إطار الشرعية الدولية، وقرارات الأمم المتحدة، التى يبدو أنها أصبحت خلال الفترة الأخيرة بلا دور حقيقى فاعل على مستوى العالم، بل أنها صارت – كما يؤكد المفكر الفرنسى رامونيه – " أشبه بالحكم الذى يخضع لتأثير العضو الأقوى والأكثر تشدداً فى النادى، وفى كل مكان تقريباً على ظهر الكوكب، صارت جدارة الأمم المتحدة بالاحترام قريبة من الصفر، وغدت متهمة بالكيل بمكيالين عندما يتعلق الأمر بتقييم مشكلات العالم، وفقاً لما إذا كان أحد الأطراف حليفاً أم خصماً للولايات المتحدة. "[1]

وعلى صعيد العالم العربى، فإنه بلا شك " كانت المنطقة العربية أكبر الخاسرين سياسياً من أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها. فقد تضررت صورة العرب أفراداً ودولاً، حاضراً ومستقبلاً، لأن الإرهابيين المنفذين للعمليات من المنطقة العربية، فبعد أن فرغت أمريكا من أفغانستان، استدارت على العراق لتحتله فى ٢٠٠٣، بحجة امتلاكه لأسلحة دمار شامل، لم تعثر لها على أثر حتى الآن، كما أطلقت يد إسرائيل فى فلسطين ولبنان لكى تقضى على المقاومة بكل صورها عربية أو إسلامية، فرفضت الاعتراف بحكومة (حماس) المنتخبة من الشارع الفلسطينى، وفرضت عليها حصاراً اقتصادياً ضارياً، وأخذت فى تهديد سوريا بالضغوط الاقتصادية تارة والتهديد العسكرى أخرى، ودعمت إسرائيل مرة أخرى فى عدوانها على لبنان فى يوليو ٢٠٠٦ بحجة القضاء على (حزب الله) الذى تضعه على رأس المنظمات الإرهابية. ودعوتها على لسان وزيرة خارجيتها كونداليزا رايس لشرق أوسط جديد، ولإعادة رسم خرائط جديدة للمنطقة على هوى الراعى الأمريكى.

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص١٦٤

ثانياً: الارهاب كمعوق للعولمة:

يرى بعض الباحثين أن الإرهاب سيعرقل عمليات العولمة الأساسية ومكتسباتها الواقعية ومبادئها التى تقوم عليها، فإذا كانت العولمة تعنى انفتاحاً أكثر بين الدول، وعبوراً أسهل بين الحدود، وتدفقاً أسرع لرءوس الأموال والسلع والخدمات والمعلومات بين البلدان المختلفة، فإن الإرهاب سوف يحد من ذلك كله.

فمن الناحية الاقتصادية، وفى إطار سعى الولايات المتحدة لضبط مصادر تمويل ما تصفه بالجماعات الإرهابية، فرضت قيوداً على حركة التحويلات المالية الدولية، مما أدى على تراجع الحركة الحرة لرءوس الأموال الدولية، بما يشكل تراجعاً لمفهوم العولمة الاقتصادية.

" فالجهود لمنع الإرهابيين من نقل ثرواتهم تؤدى إلى تدقيق أكبر من البنوك، وبدء إجراءات جديدة ستؤدى إلى إبطاء تدفق رأس المال. والخوف من أن الحدود المنفذة تسمح للإرهابيين بدخول بلدان الهدف يؤدى إلى قواعد جديدة حول حراسة الحدود، تعليمات التأشيرات، ومراقبة المسافرين الأجانب. التدابير الأمنية الجديدة فى المطارات رفعت تكلفة السفر، وأثرت على ربحية صناعة الطيران. والحكومات تزيد من التعاون الدولى لمراقبة المعلومات والناس والأموال عبر الحدود. هذه الإجراءات المتصاعدة نتيجة التغير فى الأولويات. فالتكلفة الآن تالية على الأمن، ولذلك فالسعى إلى الأمان أدى إلى أن تصبح الأرباح هى الضحية. وإذا استمرت هذه الحالة، تكون العولمة قد أعيقت، وأغلب الآليات التى تسهل وتعجل العولمة سوف يصيبها الصدأ."[1]

---

[1] Khan, Muqtedar, Op.Cit.

" (عصر العولمة انتهى) كتب جون جراى الأستاذ بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، عاكساً وجهات نظر العديد من المعلقين الآخرين. فالحكمة التقليدية جادلت بأن الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة سوف تكبح بشدة تدفق المال والسلع والخدمات عبر الحدود الوطنية ... كما مثل انهيار مركز التجارة العالمى أيضاً انهياراً لوجهة النظر العالمية التى إما أنها شكل ثقافى خاطئ، أو تم تجهيزه لمصلحة الأغنى والأقوى، أو كلاهما. فالحادى عشر من سبتمبر كان المسمار الأخير فى نعش العولمة ليس إلا."[1]

كما " تعلقت بهذه الأفكار أيضاً مناقشة أن الإرهاب يؤدى إلى إعادة تأكيد السيادة للدول، جاعلة قضايا الأمن تظهر مهمة أكثر بكثير من تلك المصالح الاقتصادية، وإعادة تأكيد سيادة الدولة هذه والتأكيد على سيطرتها على أرضها والناس التى فيها، على خلاف مباشر مع العولمة، كعملية خلق مجالات فوق إقليمية، وبالتالى، يعتبر هذا أيضاً أعظم تهديد لتطويرها."[2]

إضافة إلى ذلك، فإن " فكرة الحرية، الفكرة الجديدة والراهنة، يجرى محوها من الحياة اليومية والوعى اليومى، وتتحقق العولمة الليبرالية على هيئة نقيضها التام، عولمة قانون ونظام، سيطرة شاملة، وترهيب أمنى. وإعادة التنظيم تنتهى إلى محظورات وتقييدات قصوى، مشابهة لتلك السائدة فى مجتمع أصولى. يحل التباطؤ فى الانتاج والاستهلاك والمضاربة والنمو، كل شىء يشير إلى تراجع استراتيجى للنظام الكونى، ومراجعة فاجعة لقيمه، وتنظيم قسرى تفرضه الفوضى المطلقة، ولكن من نوع يفرضه النظام نفسه، مستدخلاً بذلك هزيمته الذاتية."[3]

---

(1) Naim,Moises, Post-Terror Surprises, The Foreign Policy Magazine, September/October 2002.

(2) Maskaliunaite, Asta, Op.Cit.

(3) جان بودريار، مرجع سابق، ص ص ٣٦-٣٧

الإرهاب وحقوق الإنسان:

" فإن ما يعرف باسم الحرب ضد الإرهاب يشكل حالة خارجة عن القانون الدولي الذي تناول أشكال الحروب التقليدية والحروب الأهلية. وبسبب ما يحمل من ضبابية فهو يدخلنا في مرحلة عبثية يصعب التكهن بمجاهيلها. فهذه الأزمة تعيد الاعتبار بقوة لمفهوم الأمن على حساب الحرية.

وكما هو معروف في العلوم الإنسانية، الأمن ليس حالة، وإنما علاقة بالذات والآخر، علاقة مع العالم وتصور لهذا العالم. مثل هذه العلاقة، لا يمكن أن تبنى في حالة طوارئ وبعقلية الطوارئ. وعندما يكون هذا هو الحال، وتعلن حالة الطوارئ على الصعيد العالمي وليس فقط في جدران كيان سياسي صغير، فإن هذا الإعلان يعني الإنتاج الواسع لثقافة الطوارئ، وثقافة الطوارئ هي الثقافة القائمة على عناصر الأمان والاطمئنان ورفض الاختلاف وتكاليفه، فشبح الثقافة الاستثنائي الطابع ليس فقط مغيّبا لملكة التفكير باعتبارها مكلفة في الوقت والجهد. وإنما مؤصل لعناصر مثل التبسيط والتعبئة والانفعال، أي مولدات التطرف الأساسية عند أدورنو وهوركهايمر وكل الباحثين الذين درسوا الفاشية بعمق.

ولو أخذنا كمثل على العلاقة بين الإنسان والإرهاب ما يحدث منذ خمس سنوات فيما يسمى "الحرب على الإرهاب" نلاحظ أن كوكبنا يعيش على نظم إعلان حالة حرب مفتوحة وغير واضحة الأهداف والمعالم. وبالتالي حالة تكوين أشباح ضرورية لجعل الهيمنة مسألة مقبولة تحت ظلال الخوف من المجهول. فقد سمحت هجمات سبتمبر بإعطاء الغطاء القانوني وتحقيق التحالف الضروري لفرض سياسة هيمنة غير متكافئة بين الولايات المتحدة وحلفائها وبينها وبين عدوها المستهدف في كل حالة. " [(1)]

[(1)] د. هيثم مناع، مرجع سابق.

" فالإرهاب أصبح من هنا عامل تهديد لحقوق ومكتسبات لم تفتأ العولمة خطاباً وإلى حد ما فى الممارسة تدافع عنها وتقدسها، حقوق التنقل، حقوق المتاجرة، حقوق الكسب، حقوق التعبير، وحقوق الخصوصية الذاتية والجماعية. الإرهاب تحطيم لهذه الحقوق، لكنه أيضاً وقبلها جميعاً، تحطيم للحق فى الحياة وللحق فى العيش الآمن."(1)

ومن حقنا أن نشك أيضاً فى أن مطاردة الإرهابيين فى كل الاتجاهات والتى تعلنها واشنطن كهدف نهائى لهذه الحرب التى يبدو أنها بلا نهاية، لن تحدث انزلاقات خطرة واعتداءات على الحريات الرئيسية.

ذلك أن بوسعنا أن نتساءل – مع المفكر الفرنسى رامونيه – مادام من المسلم به أن أحداث ١١ سبتمبر قد فتحت فترة جديدة فى التاريخ المعاصر، عن طبيعة الدورة الأخرى التى أغلقتها هذه الأحداث وعن النتائج المترتبة عليها. والحقيقة أن الحقبة التى تنتهى الآن، كانت قد بدأت فى ٩ نوفمبر ١٩٨٩ مع سقوط سور برلين، واختفاء الاتحاد السوفيتى فى ٢٥ ديسمبر ١٩٩١.

وتتمثل السمات المميزة الرئيسية لهذه المرحلة فيما يلى: الإشادة بالنظام الديمقراطى، والاحتفاء بدولة القانون، وتمجيد حقوق الإنسان. وفى السياسة الداخلية والخارجية، صار هذا الثالوث الحديث نوعاً من الواجب الإلزامى الحاسم الذى يتم استدعاؤه بصورة متواصلة، وكان ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بهذا الصدد، علامة على قطيعة نهائية مع هذه المرحلة.

وباسم الحرب العادلة ضد الإرهاب، يبدو أن كل هذه الأفكار السخية قد تم نسيانها فجأة. وخلسة، تترك قيم كانت توصف حتى عهد قريب بأنها من أساسيات المشهد السياسى. وتشهد على هذا عاصفة هوجاء من التدابير القاتلة للحريات التى اعتمدتها الولايات المتحدة.

---

(1) يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة، مرجع سابق.

فمنذ غداة الهجمات، أقيمت هناك محاكم استثنائية، ونجح وزير العدل جون أشكروفت فى إقرار قانون لمكافحة الإرهاب يسمى القانون الوطنى، يسمح للسلطات باعتقال المشتبهين الأجانب لفترة غير محدودة تقريباً، وترحيلهم واعتقالهم فى زنازين انفرادية، وفرض الرقابة على بريدهم ومحادثاتهم التليفونية، واتصالاتهم عن طريق الانترنت، وتفتيش منازلهم دون أذن قضائى.

" وعلى حين أن المحاكم الأمريكية العادية مختصة تماماً، قرر الرئيس جورج بوش فى ١٣ نوفمبر ٢٠٠١ ، انشاء محاكم عسكرية ذات اجراءات خاصة لمحاكمة الأجانب المتهمين بالإرهاب. وقد ذهب مسئولون فى وكالة التحقيقات الفيدرالية إلى حد اقتراح ترحيل بعض المتهمين إلى بلدان صديقة ذات نظام ديكتاتورى حتى تستطيع الشرطة المحلية استجوابهم مستخدمة طرقاً فظة وفعالة. وقد جرت المطالبة باللجوء إلى التعذيب بصورة علنية على أعمدة المجلات الكبرى. وعلى قناة CNN كان المعلق الجمهورى توكر كارلسون صريحاً جداً: التعذيب ليس حسناً، غير أن الإرهاب أسوأ. كما أن التعذيب يكون فى بعض الأحوال أهون الضررين. كما قام ستيف تشابمان المحرر فى شيكاجو تريبيون بالتذكير بأن دولة ديمقراطية مثل إسرائيل لا تتردد عن ممارسة التعذيب على ٨٥% من المعتقلين الفلسطينيين !!.

ولكى لا يكون من الممكن محاولة القيام بأى ملاحقة ضد العسكريين الأمريكيين نتيجة العمليات الجارية فى الخارج، تبدو واشنطن معارضة بشدة لأى تصديق على الاتفاقية المؤسسة للمحكمة الجنائية الدولية. وهذا هو السبب فى أن مجلس الشيوخ أقر قانون جنود الجيش الأمريكى (ASPA) الذى يسمح للولايات المتحدة باتخاذ التدابير القصوى – التى يمكن أن تذهب إلى حد الغزو العسكرى لبلد – لاستعادة كل مواطن أمريكى مهدد بالتقديم للمحاكمة أمام المحكمة الجنائية الدولية فى المستقبل. " [1]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص٥٢-٥٣

وفى إطار الحرب على الإرهاب فإن " بعض المبادرات الحالية التى تناقش أو تطبق قد تستعمل لكبح حقوق الإنسان الأساسية، ولقمع المعارضة الداخلية. فبعض تعريفات الإرهاب قيد المناقشة تعتبر واسعة جداً، بحيث يمكن أن تستعمل لتجريم أى أحد غير مرغوب فيه من أولئك الذين فى السلطة، وتجرم الممارسة السلمية والشرعية للحق فى حرية التعبير والاجتماع ... وعلى صعيد السياسة الخارجية، هناك قلق متزايد من أن الولايات المتحدة ستكون قادرة على استغلال الحرب على الإرهاب لمتابعة سياساتها العدوانية والتى انتقدت سابقاً من العديد من الشعوب الأخرى ... حرب العراق كانت مجرد مثال واحد من بين أمثلة أخرى، فالقلق من الإرهاب كان يستعمل لتبرير شن حرب ضد العراق، على الرغم من أنه بدا أن صلات الإرهاب هنا ليست حقيقية ... هناك قلق أن الحرب على الإرهاب ستؤثر أيضاً على كل أولئك الذين يعملون بأمانة للسلام والعدالة الاجتماعية ككل. فالحرب على الإرهاب والحرب على العراق شجعت موجة جديدة من انتهاك حقوق الإنسان ... والعديد من الحكومات تتابع بشكل مفتوح جداول أعمال قمعية."[1]

" ولصالح الحرب على الإرهاب عززت بلدان مثل المملكة المتحدة، ألمانيا، إيطاليا، اسبانيا، فرنسا، وغيرها، تشريعاتها القمعية. وهذا ما يثير بالتالى قلق المدافعين عن الحقوق العامة، فالحركة العامة لمجتمعاتنا التى كانت تتجه إلى احترام متزايد دائماً للفرد ولحرياته، جرى وقفها بصورة وحشية. كما أن كل شىء يشير إلى أننا ننحرف من الآن نحو دولة تغدو بوليسية أكثر فأكثر. "[2]

---

(1) Shah, Anup, Op.Cit.

(2) ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ٥٤

ثالثاً: الإرهاب كمعزز للعولمة:

إذا كانت الآراء والمناقشات السابقة تقع ضمن المجموعة التى ترى أن الإرهاب سيؤثر بالسلب على العولمة ومقولاتها وآلياتها، فإنه بالمقابل هناك مجموعة أخرى من الآراء ترى أن الإرهاب على العكس من كل ما سبق سوف يقوى العولمة ويعزز من عملياتها وآلياتها، وأنه بقدر ما خلقت العولمة للإرهاب بنيته المادية، فإنه بدوره فتح لها سبل الانتشار والتوسع والهيمنة.

فقد ناقش المحللون أنه " بعد صدمة نجاح الهجمات، فإن عمليات الاقتصاد ستعود إلى عملها المعتاد. والفاعلون الدوليون ومؤسسات العولمة سوف تتكيف مع الإجراءات الأمنية المشددة. وعمليات التكامل العالمى سوف تستمر بالرغم من أنها ربما تكون بسرعة أبطأ بعض الشيء ... فعملية العولمة لا يبدو أنها توقفت وشكلها ليس مختلفاً كثيراً عن المعروف قبل هجمات سبتمبر أيضاً. على العكس من ذلك، فتأكيد هيمنة الولايات المتحدة وصل مؤخراً لأبعاد رائعة. إن العالم يجتمع حول الولايات المتحدة فى معركتها ضد الإرهاب والذى يعنى أيضاً الإقرار بموقعها المهيمن فى العالم."[1]

وهكذا " فلن تزد حرب القوة الكبرى فى العالم، على الدول والشعوب والثقافات، إلا قوة واستقواء، ليس فقط فى الزمن المنظور، بل أيضاً على المدى الطويل. إذ لن تثنيها أحداث سبتمبر عن عزمها توسيع فضاء العولمة بما يضمن لها السيطرة والهيمنة وصيانة النموذج الأمريكى فى الانتاج والاستهلاك والعيش. ولن تحول خصوصيات الثقافات وتباين السلوكيات دون توجهها الحثيث بجهة فرض نمط تمثلها للاقتصاد والسياسة والمجتمع وغيرها. ولن تتوان فى توظيف حربها

[1] Maskaliunaite, Asta, Op.Cit.

على الإرهاب لضرب أى نموذج (لا عقلانى) – من وجهة نظرها – قد يكون من شأنه التطلع لتهديد (القيم العقلانية) التى تمثل صلب الديمقراطية الليبرالية وأداتها الإجرائية."[1]

ورغم كل ما أحدثه الإرهاب من دمار وفزع، فإن " العولمة مازالت هنا. التجارة العالمية وتدفق الاستثمار يتعافيان بسرعة ... الاقتصاد الأمريكى – الضعيف من الظروف المنهكة قبل الحالية – أثبت مرونة كبيرة للدمار الهائل قرب وول ستريت. وبقية اقتصاديات العالم الرئيسية – بينما هى هشة أيضاً – لم تتجه نحو الانهيار كما خشى العديد من الخبراء. فكوريا الجنوبية وتايلاند والمكسيك وروسيا – بعض البلدان التى تحطمت بشكل مشهور فى التسعينيات – تعافت بشكل أسرع من المتوقع، حتى أن اقتصادياتها الآن تتكامل بدرجة أكبر من بقية دول العالم ... إن ما يتمدد مدفوناً فى موقع مركز التجارة العالمى ليس العولمة، ولكن تعريفها البسيط كأعظم تدفق دولى من الرأسمال أو التقنية، باعتبار وجهة النظر المتبناة بشكل واسع أن العولمة مجرد اختزال للتجارة الدولية والاستثمار أو ما تفعله الشركات متعددة الجنسيات."[2]

باختصار، العولمة قادرة على تجاوز محنتها التى فرضها عليها الإرهاب، لتعود أقوى تأثيراً وأكثر فاعلية وأوسع نفوذاً.

---

[1] يحيى اليحياوى، فى الإرهاب والعولمة ونهاية التاريخ، مقال منشور على موقع:
http://elyahyaoui.org/fin-histoire.htm

[2] Naim,Moises, Op.Cit.

خاتمة: مستقبل العلاقة بين الإرهاب والعولمة.

اتضح لنا من خلال كل ما عرضناه فى ثنايا هذا الباب العلاقة الوطيدة بين الإرهاب من جهة والعولمة من جهة أخرى كظاهرتين كونيتين، أدى امتزاجهما إلى ظهور شكل جديد من الإرهاب هو الإرهاب العولمى الذى كتب شهادة ميلاده يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى أحداث واشنطن ونيويورك الإرهابية.

كما ظهر لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن العولمة الحالية ما هى إلا نوع من أنواع الهيمنة والسيطرة التى تمارسها القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، المتربعة على عرش القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية فى العالم، وأن هذه العولمة وما يصاحبها من قهر واستغلال – سياسى واقتصادى – هى التى مهدت الطريق للإرهاب وأمدته بالدوافع والخلفيات التى ظهر عليها، كما أنها أيضاً هى التى أمدته بأدواته التكنولوجية والتقنية، وأوصلته إلى أقصى ما وصل إليه من قوة وعنف وخداع فى التاريخ كله.

وفى نهاية هذا الباب يتبقى سؤال يبدو مشروعاً، ويطرح نفسه بإلحاح.

ما هو مستقبل العلاقة بين الإرهاب والعولمة فى ضوء علاقتهما التبادلية وتأثيرهما المتبادل كل على الآخر؟ هل سينجح الإرهاب فى تقويض عرش العولمة، وزعزعة أركانها، ودفعها إلى مراجعة نفسها، لتكون أكثر إنسانية وعدلاً، وأقل قهراً وظلماً؟، أم ستفلح العولمة بقوتها وآلياتها ونفوذها القاهر فى اقتلاع الإرهاب من جذوره، وتدمير قواه، وتفكيك منظماته، والقضاء على أفراده؟

الحقيقة أن الإجابة عن هذه التساؤلات من الصعوبة بمكان؛ إذ أنه كما أسلفنا، فإن العلاقة بين الإرهاب والعولمة علاقة توحد وتكامل، كما أنها فى نفس الوقت علاقة تضاد وتنابذ.

فالعولمة بشكلها الحالى لن تمنع الإرهاب، بل إنها سوف توفر له الوقود الكافى لمزيد من الاشتعال، كما أن الإرهاب بوجهه العولمى الذى ظهر به فى أحداث سبتمبر الإرهابية، إنما يؤكد على أهمية وجود العولمة التى لولاها ما ظهر بهذا الشكل الرائع والمروع، فبقدر ما خلقت العولمة للإرهاب بنيته المادية التى أحسن استغلالها، بقدر ما فتح الإرهاب للعولمة سبل الانتشار والتوسع، خاصة فى ضوء الحرب التى تشنها القوة العظمى وحلفاءها على الإرهاب، وتتخذ منها ستاراً لتوسيع رقعة العولمة النيوليبرالية أو إذا أردنا الدقة (الأمركة).

ونحن نميل إلى الأخذ بالرأى القائل أن الإرهاب لن يضعف العولمة ولكنه على العكس سيقويها، وأنه " إذا كانت آثار الحادى عشر من سبتمبر تؤكد أى شيء، فإنها تشير إلى قوة العولمة وطبيعتها المعقدة والمتعددة الوجوه."[1]

" وكنقطة نهائية يمكن مناقشة أن الإرهاب له تأثير على العولمة، ولكن على عكس ما هو مقصود بالضبط، فبدلاً من أن يضعف موقع القوة القيادية فإنه فى الحقيقة يعززه. لذلك يمكن مناقشة أننا ندور فى حلقة مفرغة، حيث شكل العولمة الذى نشهده يحدث إرهاباً، والإرهاب نفسه يفرض تماماً هذا النوع من العولمة مستنداً على هيمنة الولايات المتحدة."[2]

وهكذا سنظل ندور محبوسين فى هذه الدائرة المفرغة، حتى تتغير الساحة الدولية بظهور قوى جديدة فاعلة على المستوى العالمى تغير من شروط اللعبة وتكسر هذه الحلقة المفرغة. هذه القوى قد تكون:

الحركات المناهضة للعولمة، والتى تمثل نوعاً من قوى التمرد ضد المظالم وأشكال اللامساواة والكوارث التى فجرتها فى كل مكان تقريباً من العالم تجاوزات الليبرالية الجديدة. وقد أعلنت هذه القوى عن نفسها رسمياً فى اجتماعها الأول

(1) Ibid.
(2) Maskaliunaite, Asta, Op.Cit.

بمدينة بورتو أليجرى جنوب البرازيل فى الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ يناير ٢٠٠١، فى نفس لحظة انعقاد المنتدى الاقتصادى العالمى الذى يضم قادة العولمة من سادة العالم الجدد فى منتجع دافوس بسويسرا، لتعلن هذه الحركات رفضها للعولمة المتوحشة الحالية، وتصميمها على السعى بروح ايجابية بناءة لطرح إطار نظرى وعملى يسمح بالتطلع إلى عولمة من نوع مختلف، عولمة أكثر إنسانية وتضامناً وبالضرورة أكثر عدلاً.

أو قد تكون **بعض الدول الكبرى الصاعدة** والمرشحة لمنافسة الولايات المتحدة (كالصين وكوريا الشمالية)، أو **كيان سياسى اقتصادى** (كالاتحاد الأوربى)، وأيضاً قد تكون هذه القوى هى **قوى الإرهاب** كقطب جديد منافس للقطب الأوحد على الساحة الدولية.

وفى حالة هذا الاحتمال الأخير فإن النتائج سوف تكون رهيبة ومفزعة، وساعتها سيتذكر العالم أحداث ١١ سبتمبر الدامية باعتبارها كانت تنتمى إلى الزمن الطيب – كما يقول دريدا – بل أنه سيتحسر على هذه الأيام وعنفها الرقيق !!.



الباب الثالث

انهيار الإمبراطورية الأمريكية !



الفصل الأول: **بداية النهاية !!**

الفصل الثانى: **محطات الفشل الأمريكى !!**

الفصل الثالث: **كيف يمكن مواجهة الإرهاب؟**

الفصل الأول

بداية النهاية !!

- إن الولايات المتحدة الأمريكية تُخضع العالم كما لم تفعل أية امبراطورية فى تاريخ البشرية. وللمرة الأولى فى تاريخ البشرية يغدو العالم خاضعاً لسيطرة قوة فائقة واحدة.

المفكر الفرنسى/ ابنياسيو رامونيه

- عندما تطغى القوة وتتجبر تتحول إلى قوة غاشمة، تدفع أصحابها إلى الغطرسة فى التعاطى مع غيرهم فى العالم، ويحصدون بسبب ذلك كراهية تتراكم مع الزمن.

السيناتور الأمريكى/ وليم فولبرايت

بتفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٩، انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم. وبهذا الانفراد الذى تزامن مع انتهاء الحرب الباردة زال نظام القطبية الثنائية وحل محله نظام القطب الواحد فى توجيه العلاقات الدولية.

وبالتحول إلى نظام القطب الواحد أصبحت فكرة الامبراطورية الأمريكية واقعاً بعد أن كانت مجرد أحلام تراود الأمريكيين عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما صاحبها من انبعاث لقوة أمريكا العسكرية والاقتصادية، وكانت القوة تقضى بسيطرة تالية للحضارة الأمريكية. واحتاجت الولايات المتحدة لأكثر من نصف قرن لكى تترجم الأحلام ببناء امبراطورية جديدة تسيطر على العالم إلى واقع.

إلا أن وصول الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن وفريقه ممن أصبح يطلق عليهم وصف الصقور فى الإدارة الأمريكية الجمهورية، هو الذى كان عاملاً حاسماً فى تدشين الامبراطورية الأمريكية، وسيادة الحقبة الأمريكية فى المجال الدولى والإنسانى.

" وفى تحليلهم لصعود الامبراطورية الأمريكية يعود بعض الباحثين إلى حالة الولايات المتحدة كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية، وما صاحب ذلك من جهود فى اتجاه بناء هذه الامبراطورية. فبنهاية هذه الحرب أصبحت الولايات المتحدة قوة عالمية تتمتع باقتصاد قوى مد حدوده إلى خارج القارة الأمريكية، وقد مثل ذلك تحدياً لأوروبا واليابان والاتحاد السوفيتى السابق والصين، حتى أن المؤرخ الشهير أرنولد توينبى وصف القرن العشرين بالقرن الأمريكى. ولم يتوقف نمو القوة الأمريكية عند حدود اكتساح الاقتصاد والتجارة العالميين، وإنما توافرت لها قوة عسكرية ضخمة بما جعلها القوة العسكرية الأولى فى العالم. وثقافياً أصبحت اللغة الإنجليزية من خلال القوة الأمريكية سياسياً واقتصادياً لغة العالم. ومعها تدفقت رموز الثقافة الأمريكية إلى كل الشعوب بامتداد قارات العالم.

وبانهيار الاتحاد السوفيتى أصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة وآخر الامبراطوريات. وقد مثل هذا الانهيار انتصاراً اقتصادياً وثقافياً لأمريكا على غريمها الشيوعى الذى خاض معها حرباً باردة امتدت لأكثر من نصف قرن. فقد انهارت معه الشيوعية كأيديولوجية اقتصادية وسياسية، وانتصرت الرأسمالية لتعلن نهاية التاريخ على حد قول فوكوياما. كما انهارت معه الشيوعية كثقافة وحلت محلها تدريجياً الأمركة كثقافة مهيمنة على العالم.

وزادت الولايات المتحدة على ذلك بأنها قفزت سريعاً إلى الاقتصاد ما بعد الصناعى المتمثل فى ثورة المعلومات وتكنولوجيا المعرفة وصناعات الاتصالات المختلفة، وهى النقلة النوعية التاريخية فى حركة الاقتصاد العالمى باعتبارها هى مستقبل البشرية.

وبنهاية القرن العشرين كانت الولايات المتحدة هى القوة العظمى الوحيدة عالمياً، ذات التفوق الاقتصادى والتجارى والعسكرى والتكنولوجى، وامتدت شبكة علاقاتها فى كل هذه المجالات لتشمل العالم كله، وجاء القرن الحادى والعشرين ليجعل من الحلم الأمريكى حقيقة. "[1]

ومع بداية الألفية الثالثة أصبحت الحقيقة التى لا شك فيها " أن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على العالم كما لم تفعل أية امبراطورية مطلقاً من قبل. فهى تمارس سيطرة ساحقة فى خمسة مجالات تقليدية للقوة: السياسى، والاقتصادى، والعسكرى، والتكنولوجى، والثقافى. وللمرة الأولى فى تاريخ البشرية يغدو العالم خاضعاً لسيطرة قوة فائقة واحدة. "[2]

---

[1] د. عبد العاطى محمد، مرجع سابق. ص ص ٢٣-٢٤

[2] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق. ص٩

خطورة الامبراطورية الأمريكية:

من الواضح أن " أمريكا تخضع العالم كما لم تفعل أية امبراطورية فى تاريخ البشرية. وبعد انتصارها فى حرب الخليج فى ١٩٩١، ألم تقترح واشنطن بناء نظام عالمى جديد مصنوع على صورتها ؟ لقد أعلن الرئيس جورج بوش الأب فى ذلك الحين بنبرات نبوئية أن الولايات المتحدة مدعوة إلى قيادة العالم للخروج من ظلمات وفوضى الديكتاتورية نحو وعد أيام أفضل. "[1]

ومنذ تربعها على عرش العالم قامت الامبراطورية الأمريكية برفع شعار مؤداه أنها تحمل رسالة نشر الحرية والديمقراطية والرخاء لكل شعوب العالم فى كل مكان، وخصت العالم الإسلامى باهتمام متزايد مقارنة بغيره فى هذا الاتجاه، وتحديداً فى مسألة الحرية والديمقراطية، حيث انطلقت من تقدير معين هو أن العالم الإسلامى يفتقد بطبيعته للحرية والديمقراطية، ومن واجب الولايات المتحدة أن تتدخل فيه لتغرس هذه القيم التى يفتقدها.

" ولكن السياسة التى تنفذ هذه الرسالة بدت متناقضة مع نفسها إلى حد كبير منذ بداية الألفية الثالثة، حيث لم يتحقق فعلاً ما جاء فيها فيما يتعلق بأن الولايات المتحدة ستعمل مع الآخرين وليس منفردة لتحقيق هذه الغاية. فما حدث هو أنها تحركت منفردة وبشكل قسرى ضد الجميع بمن فيهم حلفاؤها فى أوروبا وليس العالم الإسلامى وحده. وبات اختلاق الخطر سمة رئيسية فى هذه السياسة لتبرير هيمنتها على العالم. كما باتت الدعوة إلى تعليم الآخرين الحرية والديمقراطية تدخلاً سافراً واستفزازياً فى حياة الشعوب. وكانت الحرب على أفغانستان ثم العراق مسرحين شاهدين على السياسة الجديدة فى عهد الامبراطورية الأمريكية بكل تناقضاتها والأزمات التى سببتها على صعيد الأمن والسلام الدوليين. بل وفيما

---

[1] المرجع السابق. ص٧٩

يتعلق بنظام الأمن الجماعى ودور الولايات المتحدة، ففيها جميعاً كانت الكلمة للولايات المتحدة وحدها التى صمت آذانها عن الاستماع لأى رأى أو نصيحة حتى من أقرب أصدقائها. "[1]

وهكذا أصبحت المنظمات الدولية الشرعية، وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة، فى ظل الهيمنة الامبراطورية الأمريكية – كما أسلفنا – " أشبه بالحَكَم الذى يخضع لتأثير العضو الأقوى والأكثر تشدداً فى النادى. وفى كل مكان تقريباً على ظهر الكوكب، صارت جدارة الأمم المتحدة بالاحترام قريبة من درجة الصفر، وغدت متهمة بالكيل بمكيالين عندما يتعلق الأمر بتقييم مشكلات العالم، وفقاً لما إذا كان أحد الأطراف حليفاً أم خصماً للولايات المتحدة. "[2]

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كان شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) هو فاتحة عهد تقنين الهيمنة الامبراطورية للولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم تعد تكتفى باستعراض قوتها الاقتصادية والعسكرية والثقافية والتكنولوجية، وإنما انتقلت إلى مجال إصدار الأوامر للدول المختلفة والتى عليها أن تنفذ فوراً، لا فرق فى ذلك بين حلفاؤها الأقربين وبين أى دولة أخرى فى العالم.

وجاءت الوثيقة التى أصدرها البيت الأبيض فى ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٢ بعنوان (الاستراتيجية الأمريكية للأمن القومى) والتى وقعها الرئيس جورج بوش بنفسه، لتعلن على العالم رسمياً بداية حكم الامبراطورية الأمريكية للعالم. " ويؤكد هذا المقدمة التى وقع عليها بوش، والتى زعم فيها أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها المسئولة عن أمن العالم وحريته، بل أنها هى مصدر القيم الوحيد، ولذلك ستعمل على تسييد قيمها فى كل أرجاء العالم من خلال عملية تغيير واسعة المدى سياسية واقتصادية واجتماعية. "[3]

---

[1] د. عبد العاطى محمد، مرجع سابق. ص ص ٣٠-٣١

[2] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق. ص١٦٤

[3] السيد يسين، الحرب الكونية الثالثة، مرجع سابق. ص٣٧١

وفى أول رد فعل نقدى لهذه الاستراتيجية، نشر الكاتب الصحفى الأمريكى المعروف وليام باف مقالة بعنوان (إعادة النظر الجذرى فى العلاقات الدولية) فى جريدة الهيرالد تريبيون عدد ٢٠٠٢/١٠/٣ مؤكداً أن هذه الوثيقة بمثابة إلغاء ضمنى لنظام الدولة القومية الذى حكم العلاقات الدولية منذ اتفاقية وستفاليا عام ١٦٤٨، والتى اعترفت بالسيادة المطلقة للدولة، وبالمساواة القانونية للدول باعتبار ذلك أساساً للنظام الدولى.

ويقرر باف أن وثيقة الأمن القومى الأمريكى الجديدة تعد انقلاباً جذرياً فى النظام الدولى، فهى تشير إلى أن الولايات المتحدة قد قررت أنها لن تحترم مبدأ السيادة المطلقة للدول، لتحقيق أهداف الأمن القومى الأمريكى، والذى تجعل فيه الأمن القومى لكل الدول الأخرى تابعاً له. كما تقرر الوثيقة أيضاً أن حكومة الولايات المتحدة وحدها هى التى إذا ما قررت أن أى دولة تمثل خطراً محتملاً عليها فى المستقبل يحق لها التدخل بشكل استباقى فى هذه الدولة للقضاء على التهديد، ولو كان ذلك بتغيير نظام الدولة. وهذه المبادرة الأمريكية تهدف فى الواقع إلى تجاوز المبدأ المطبق حالياً فى العلاقات الدولية وهو الشرعية الدولية. "[1]

وبناء على ذلك، يتضح لنا بجلاء أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت مصممة على فرض هيمنتها الامبراطورية على سائر أرجاء المعمورة، من خلال خلق نظام عالمى جديد، تنفرد فيه بالقيادة والسيطرة، نظام جديد يعاد فيه ترتيب العلاقات الدولية ومناطق النفوذ بحيث تكون فيه أمريكا هى الآمر الناهى الوحيد والعالم كله تابعاً لها.

ولأنه ما من شىء يختفى اختفاء كاملاً من الوجود، ولأنه ليس هناك شىء جديد تمام الجدة، فإنه من المنطقى أن يكون هناك بعض الأشياء القديمة التى استمرت موجودة فى ظل النظام العالمى الجديد بقيادة الامبراطورية الأمريكية.

---

[1] انظر عرضاً لهذه المقالة فى: المرجع السابق. ص ص ٣٧٦-٣٨٠

يلخص المفكر المصرى **الدكتور جلال أمين** أهم هذه الأشياء فيما يلى:

أولاً: غلبة المصالح الاقتصادية وقيامها بدور أساسى فى تشكيل السياسات والعلاقات الدولية. **ثانياً:** استعداد الطرف الأقوى لارتكاب أبشع الأعمال إذا وجدها لازمة لتحقيق أهدافه. **ثالثاً:** الميل المستمر إلى الزعم بغير الحقيقة فى الحديث عن الأهداف المتوخاة، أو عن الوسائل التى يجرى اتخاذها لتحقيق هذه الأهداف، فعندما تكون الأهداف المتوخاة مادية بحتة، وتتعارض مع أبسط مبادئ العدل كما يفهمها معظم الناس، وعندما تكون الوسائل المتبعة لتحقيقها متعارضة بدورها مع أبسط المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية، فإن اللجوء إلى الخداع والتمويه يصبح بدوره شيئاً لازماً وضرورياً لا تزول الحاجة إليه فى ظل أى نظام عالمى جديداً كان أو قديماً.

ويؤكد الدكتور جلال أمين أنه " لابد أن نتوقع أن يكون لنفس هذا الغرض الأخير استخدام شعارات مثل: حقوق الإنسان، أو القضاء على الإرهاب، او استئصال مصادر انتاج الأسلحة ذات الدمار الشامل ..الخ. كذلك لا يجب أن نستغرب أن تخترع أحداث قد تضفى المشروعية على استخدام وسائل لا يمكن أن يقبلها الضمير العام بسهولة. والتاريخ ملئ بهذه الأحداث التى تم ترتيبها لهذا الغرض ونُسبت إلى الطرف المراد اخضاعه أو استغلاله، ولابد أن نتوقع أن يستمر استخدام هذه الصورة من صور التمويه طالما استمرت الأهداف المتوخاة والوسائل المتبعة لتحقيقها على هذا المستوى من اللاأخلاقية. "[1]

ومن البديهى أن يجرنا هذا الكلام إلى تساؤل يفرض نفسه على عقولنا بإلحاح: هل كانت أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية مؤامرة دبرتها الولايات المتحدة الأمريكية لتتخذها ذريعة ومسوغاً لفرض هيمنتها الامبراطورية على العالم ؟!

[1] د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، مرجع سابق. ص ص ٨-٩

أحداث سبتمبر .. هل كانت مؤامرة ؟:

يفسر لنا الدكتور جلال أمين حديثه السابق قائلاً: " إن الذى أقصده باختراع أحداث بغرض التمويه واخفاء الدوافع الحقيقية، ولتبرير استخدام وسائل غير مشروعة، هو ما جرت عادة القائمين بهذا التمويه على تسميته بالمؤامرة، كما جرت العادة على وصف أى محاولة لكشفه وفضحه بنظرية المؤامرة، وهذا الوصف نفسه لا يخرج بدوره عن عملية التمويه والخداع، للايحاء بأن كل من يحاول أن يشكك فى صدق الشعارات المعلنة، أو فى حقيقة الأحداث التى تم اختلاقها وترتيبها، إنما يعانى من مرض عضال أقرب إلى المرض العقلى أو النفسى الذى يجعله يرى وراء كل حادث مؤامرة، ويرفض تصديق أى شىء يسمعه ولو كان هو الحقيقة كاملة. ومن ثم يصبح إطلاق وصف **(نظرية المؤامرة)** وسيلة لإخافة أى شخص من أن يحاول أن يستخدم عقله لفك الطلاسم والرموز، ولإزالة التناقض بين الأقوال والشعارات التى يسمعها وبين ما يراه بعينيه، ولمنعه من أن يحاول تقديم تفسير منطقى لمجرى الأحداث يتفق مع ما يعرفه من حقائق التاريخ وحقيقة الدوافع التى تحرك البشر أو تحكم العلاقات الدولية. "[1]

إذاً، فليس هناك ما يمنع من التفكير والتساؤل: هل كانت أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية محض مؤامرة ؟ .. من الميالين إلى التبسيط من يسارع إلى الإثبات، ومنهم من يسارع إلى النفى. والحقيقة أن القضية معقدة ومتشابكة وضبابية إلى حد كبير لا يصلح معه التبسيط ولا التسطيح.

والواقع الفعلى يؤكد أن الفاعلين الحقيقيين، من قادة تنظيم القاعدة، قد اعترفوا هم أنفسهم بأنهم وراء هذا الحدث، بل أضافوا إلى الاعتراف الفخر والمباهاة، ومن اقترف ثم اعترف لا يجوز الدفاع عنه بحال من الأحوال.

---

[1] المرجع السابق. ص٩

ولكن، ورغم اعتراف الفاعل بفعلته، إلا أن هناك العديد من الأدلة والشواهد التى تؤكد وبقوة وجود شبح (مؤامرة) فى الموضوع، حيث يعتقد ثلاثة أرباع العرب والمسلمين على الأقل، أن عمليات ١١ سبتمبر الإرهابية سكتت عنها، إن لم تكن ساعدت فى التخطيط غير المباشر لها المخابرات المركزية الأمريكية نفسها، على غرار ما حدث فى اليابان عندما ضُرب الأسطول الأمريكى فى قاعدة بيرل هاربور العسكرية الأمريكية فى صبيحة يوم ١٩٤١/١١/٧، ليكون ضربها مبرراً لإعلان أمريكا الحرب على اليابان واستعمال القنبلة الذرية فى هيروشيما.

فقد أتت تفجيرات سبتمبر لتؤدى الدور نفسه بطريقة أو بأخرى فى تبرير غزو الولايات المتحدة للعالم الإسلامى وللخليج العربى عبر بوابة العراق المستباح. ومن ثم القضاء على الانتفاضة الفلسطينية التى باتت تهدد بشكل لا يقبل الجدل، ليس أمن إسرائيل فحسب، وإنما وجودها ومهمتها فى المنطقة العربية، وكذلك بالجملة القضاء على هذه الصحوة الإسلامية القومية المتنامية، والتى تمد الانتفاضة على الأقل بالدعم المعنوى البالغ الأهمية.

وقد أظهر استطلاع للرأى أجراه معهد (إبسيوس١ رايد) لمصلحة صحف مجموعة كنوست الكندية ونشر فى ٢٠٠٦/٩/١٢ أن واحداً من كل خمسة كنديين يعتقدون أن اعتداءات ١١ سبتمبر دبرتها مجموعة نافذة من مسئولين أمريكيين بارزين، وأن هذه المجموعة تقوم حالياً بحماية أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة !

وكان تقرير أحداث ١١ سبتمبر، الذي صدر بعد أكثر من ثلاث سنوات من الأحداث موضعاً للتشكيك، بل والاستنتاج بأن ثمة مؤامرة وذرائع لاستخدام الأحداث وافتعالها من أجل حرب لاحتلال دول والسيطرة على العالم وتحقيق مصالح للشركات النفطية والصناعية الكبرى. ويعتقد ديفيد راي جريفين، الذي أصدر كتابا في مناقشة التقرير، أن اللجنة المكلفة بإعداده لم تكن تدير تحقيقاً فعلياً، وثمة أسباب برأيه تدعو إلى مراجعة التقرير وفحص النتائج المستمدة من الدلائل المتوفرة. وقد صرح عدد من أعضاء إدارة بوش علناً بأن هجمات ٩/١١ قدمت فرصاً عظيمة.

وفى يوم ١٤ أغسطس ٢٠٠٦ " كتب الأكاديمي والمحلل الأمريكي اللامع بول كروجمان في النيويورك تايمز في معرض انتقاده سياسات إدارة الرئيس جورج بوش الابن: « ندرك اليوم أنه منذ البداية لم تر إدارة بوش ومعها حلفاؤها في الكونجرس أن تهديد الإرهاب معضلة يجب حلها، بل سانحة سياسية يجب استغلالها». وهذا الرأي ليس جديداً، فقد سبق أن ظهر خلال السنوات الفائتة العديد من المقالات وصدر العديد من التعليقات بهذا المعنى عن محللين واستخباراتيين وساسة كبار منهم الرئيس السابق جيمي كارتر نفسه يوم ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٤. ولكن ما يكتشفه العالم مع مرور كل يوم أنه لو لم تقع أحداث ١١ سبتمبر من تلقاء نفسها لوجب تنظيم وقوعها."[1]

" وقبل سنة من ٢٠٠١/٩/١١ نشرت وثيقة بعنوان (إعادة بناء دفاعات أمريكا) من قبل منظمة تسمي نفسها مشروع من أجل قرن أميركي جديد PNAC ويقودها عدد من الشخصيات الرئيسية في إدارة بوش. وتطالب هذه المنظمة بزيادة الإنفاق على الأغراض العسكرية، لأن السلام الأمريكي ينبغي أن يرتكز على أساس آمن هو التفوق العسكري الأمريكي المطلق، ويمكن لهذا التحول أن يحدث بشكل أسرع إذا تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لـــ(حدث كارثي محفز – مثل بيرل هاربر جديدة)، وبعد حصول ٩/١١ قال الرئيس بوش وبعض مؤيديه إنها شكلت بيرل هاربر جديدة."[2] !!

لقد " استثمرت إدارة بوش دماء ضحايا العملية الارهابية للسمسرة السياسية وخلط الاوراق بهدف الانطلاق في تنفيذ برنامجها الاستراتيجي المبيّت لاقامة نظام عالمي جديد بزعامتها يخدم مصالحها الاستراتيجية الاقتصادية ومصالح احتكاراتها

---

[1] إياد أبو شقرا، ١١ سبتمبر المفصل الكارثى فى تعايش الحضارات، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، عدد ٢٠٠٦/٩/١١.

[2] إبراهيم غرايبة، المأزق الأمريكى فى مكافحة الإرهاب، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

عابرة القارات ومتعددة الجنسيات. هذا البرنامج الذي تسعى إدارة الإمبريالية الأمريكية لتجسيده كونياً منذ انهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي وأنظمة النمط السوفييتي في أوروبا الشرقية، واحتكار جبروت القطب الأوحد الاقتصادي والعسكري لفرض الهيمنة عالمياً، وخاصة في المناطق الهامة استراتيجياً كمنطقة الشرق الأوسط. وقد جاءت عملية التفجيرات كهدية من السماء لأرباب العدوان في البيت الأبيض للبدء في تنفيذ مخططهم الاستراتيجي، فإذا اتخذ الإمبرياليون قبل انهيار الاتحاد السوفييتي من محاربة الشيوعية في بعض المناطق والبلدان ذريعة لتبرير عدوانيتهم باسم الدفاع عن الحرية والديمقراطية، فإنهم بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر اتخذوا من محاربة الإرهاب أو الحرب الكونية ضد الإرهاب ذريعة للبدء بتجسيد الخطة الاستراتيجية الإمبريالية الأمريكية للهيمنة عالمياً."[1]

ويؤكد الكاتب الفلسطينى ياسر الزعاترة أن " هجمات سبتمبر قد وفرت لخطاب المحافظين الجدد، أو لنقل لبرنامجهم المعد مسبقاً فرصة الانطلاق، لكن الأكيد أيضاً هو أن عدم وقوع تلك الهجمات، أو لنقل وقوعها بشكل آخر أقل قوة ودموية لم يكن ليغير في البرنامج المذكور الذي كان قد تبلور كفكرة منذ عام ١٩٩٧ في سياق ما عرف بمشروع قرن إمبراطوري أمريكي جديد، وقبله رسالة المحافظين الجدد لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في العام ١٩٩٦.

خلاصة ذلك البرنامج الذي صاغه ليكوديو الصهاينة الأميركان بالتعاون مع أصدقائهم من المسيحيين المتصهينين وتجار السلاح والنفط هو ضرورة ضمان سيطرة الولايات المتحدة على العالم خلال القرن الجديد بسطوة القوة العسكرية، على أن يبدأ المشروع من العراق كمحطة لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط والسيطرة على منابع النفط، وصولاً إلى التمدد نحو آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين.

---

[1] أحمد سعد، مرجع سابق.

في الأبعاد الكامنة كانت خلفية المشروع هي القناعة بأن هذا الوضع العربي القائم على هزاله وضعفه لا يمكن أن يمرر مشروع التسوية والهيمنة الصهيونية على الشرق الأوسط، وأن مشروع أوسلو لن يحقق المطلوب، مما يعني ضرورة إعادة تشكيل المنطقة وتفتيتها على نحو يجعلها أكثر قابلية لتمرير المشروع. ونتذكر في هذا السياق ما عرف بدراسة هارفارد الشهيرة التي فضحت عملياً هذا المخطط وتوجيهه من قبل الصهاينة لحساب مصالح الدولة العبرية.

من هنا لم يتردد السيد جورج بوش بعد ساعات قليلة من هجمات ١١ سبتمبر في تحديد وجهته السياسية نحو أفغانستان ومن ثم العراق، حتى قبل أن يجزم أي أحد بهوية من يقف خلف الهجمات. والنتيجة هي أن البرنامج كان معداً في الأصل، بل إن ذلك هو بالضبط ما يبرر الكثير من الشكوك التي ساورت البعض بشأن الهجمات عبر مقولة المستفيد منها، وعبر الحديث عن تواطؤ وربما تساهل في تعقب المشبوهين بتدبير الهجمات رغم توفر معلومات عن نيتهم تدبير عمليات داخل الولايات المتحدة، الأمر الذي لا يمكن استبعاده على قاعدة أن الأجهزة الأمريكية ربما اعتقدت بأن هناك عملية تلوح في الأفق يمكن استثمارها، من دون أن تتخيل أنها ستكون مدوية كتلك التي ضربت الولايات المتحدة صبيحة ١١ سبتمبر."[1]

هل الوقائع والشهادات السابقة كافية للتدليل على احتمالية وجود مؤامرة وراء أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية ؟

إليك المزيد من الوقائع والشهادات.

" بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٦ نشر مايكل ميتشر – عضو مجلس العموم البريطاني ووزير البيئة من عام ١٩٩٧ إلى عام ٢٠٠٣– هذه الحقائق والوقائع المذهلة: تحت

---

[1] ياسر الزعاترة، أمريكا والقاعدة .. تحولات الخطاب منذ هجمات سبتمبر، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

عنوان: (أسطورة الحرب الزائفة على الإرهاب).. فقال: «نعلم الآن أنه قد خطط لمشروع القرن الأمريكي منذ وقت مبكر.. ومما ورد في وثيقة المخطط: أن الولايات المتحدة يجب أن تعيق الدول الصناعية المتقدمة عن تحدي قيادتها العالمية، أو التطلع إلى دور إقليمي أو عالمي. ولقد حان الوقت لزيادة الوجود العسكري الأمريكي في جنوب شرق آسيا، وأنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تدرس مسألة تطوير أسلحة بيولوجية بما يمكنها من استهداف أعراق معينة، ومن تحويل الحرب البيولوجية من نطاق الارهاب الى أداة سياسية مفيدة».

وما ورد في شهادة كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي أمام الكونجرس. لقد قالت في شهادتها: «إن الرئيس الأمريكي تلقى قبل شهر من ١١ سبتمبر، مذكرة استخباراتية تصف أهداف أسامة بن لادن ومصلحته في شن هجوم على الولايات المتحدة يتضمن اختطاف طائرات واستعمالها في الهجوم. والمذكرة معروف عنوانها، ولكن محتوياتها لا تزال مجهولة. أما عنوانها فهو (تصميم بن لادن على شن هجوم داخل الولايات المتحدة)». ولكن المذكرة تفتقر إلى تحديد موعد ومكان وكيفية وقوع مثل هذا الهجوم.

كما يقول ريتشارد كلارك المختص الأول في مكافحة الإرهاب في مجلس الأمن القومي الأمريكي: «إن الإدارة تجاهلت التهديد الذي كان يمثله تنظيم القاعدة قبيل هجمات الحادي عشر من سبتمبر، على الرغم من علمها بهذه التهديدات. وكنت أنا وجورج تينت مدير الاستخبارات نشعر بالأسى دائماً لأن تنظيم القاعدة وتهديداته لا يعالجان بالجدية اللازمة من جانب الإدارة الجديدة، وأنه حتى بعد هجوم سبتمبر واختباء بن لادن في أفغانستان، أرادوا ضرب العراق مباشرة، على الرغم من عدم وجود أي علاقة بين العراق والهجمات»."[1]

---

[1] زين الدين الركابى، من أجل قراءة جديدة لزلزال ١١ سبتمبر وتوابعه، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، عدد ٢٠٠٤/٩/١١.

و " هكذا بدأت تتضح معالم البرنامج الذي رسم قبل ذلك بسنوات لما عرف بقرن إمبراطوري أمريكي جديد، فيما بدا أكثر وضوحاً بعد أيام من سقوط بغداد، حين بدأت التهديدات لسوريا وتحدث وزير الخارجية الأمريكي كولن باول حينذاك عن إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط. ثم بعد ذلك بعام خرج بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي حمل عناوين الحرب على الإرهاب ونشر الديمقراطية في المنطقة، أو ما عرف بمسيرة الإصلاح، على اعتبار أن العالم العربي الذي ينتشر فيه الفقر والفساد والتشدد الديني هو المنتج الطبيعي للإرهاب. خلاصة مشروع الشرق الأوسط الكبير هي إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط على أسس جديدة، من حيث المناهج والأفكار، ومن حيث السياسة والاقتصاد والاجتماع، وصولاً إلى شكل آخر يكون أكثر تقبلاً للهيمنة الأميركية، والصهيونية بالضرورة."[1]

وأخيراً فإنه " من الواضح أن السلطات الامريكية لم تفعل ما يكفي لاجهاض أحداث سبتمبر. فمن المعروف أن إحدى عشرة دولة على الأقل قدمت معلومات وتحذيرات متعلقة بما حدث في ١١ سبتمبر. ومن ذلك: معلومات تحذيرية تقول أن هناك خلية مكونة من مائتي إرهابي تحضر لعملية كبيرة في أمريكا. وقد تضمنت قائمة الأسماء أربعة من أسماء خاطفي الطائرات ومفجريها. وعلى الرغم من ذلك لم يقبض على أي منهم. وهناك وقائع تبعث على الريبة، فقد اشتبه في الاختطاف الأول الذي جرى في الثامنة وعشرين دقيقة، بينما تحطمت الطائرة الأخيرة في بنسلفانيا في العاشرة وست دقائق، وضربت الطائرة الثالثة البنتاجون في التاسعة و٣٨ دقيقة، ومع ذلك لم ترسل أي طائرة مقاتلة للاستقصاء، مع العلم بأن هناك اجراءات اعتراض قياسية تنص عليها أنظمة إدارة الملاحة الفيدرالية في التعامل مع الطائرات المختطفة قبل ١١ سبتمبر. وقد أطلق الجيش الأمريكي طائرات مقاتلة في ٦٧ واقعة في الفترة ما بين سبتمبر ٢٠٠٠ ويونيو ٢٠٠١ لملاحقة الطائرات المشبوهة. فهل هذا التراخي نتيجة لتغافل؟ أو لجهل المسؤولين بالأدلة ؟ أو أن اجراءات أمن الطيران الأمريكي قد عطلت عمداً في ١١ سبتمبر ؟ والسؤال هو: لماذا، وتحت إمرة من حدث هذا ؟."[2]

---

[1] ياسر الزعاترة، مرجع سابق.

[2] زين الدين الركابى، مرجع سابق.

ومن الواضح أن هذا السؤال سيظل حائراً، بلا إجابة، حتى تحدث فضيحة مدوية فى الإدارة الأمريكية بانقلاب أحد سدنتها على باقى الرفاق، ليكشف الستار عما خفى من أسرار !!.

غطرسة القوة وانهيار الامبراطورية الأمريكية:

فى عام ١٩٦٦ نشر السيناتور الأمريكى وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية الأسبق بمجلس الشيوخ كتابه المشهور (غطرسة القوة) محذراً من تحول القوة عندما تطغى وتتجبر إلى قوة غاشمة، تدفع أصحابها إلى الغطرسة فى التعاطى مع غيرهم فى العالم، ويحصدون بسبب ذلك كراهية تتراكم مع الزمن. وقد تحققت نبوءة فولبرايت. وصارت الولايات المتحدة اليوم مكروهة بأكثر من أى قوة عظمى أو إمبراطورية فى التاريخ. ويخطئ من يظن أن هذه الكراهية ليست لها ثمن، لأن هجمات ١١ سبتمبر تؤكد أن الثمن يمكن أن يكون فادحاً، إنه (ثمن الامبراطورية) عنوان كتاب فولبرايت الثانى الذى نشره عام ١٩٨٩.

إن ما حدث فى ١١ سبتمبر لم يأت من فراغ، " وإنما جاء نتيجة استمرار وتراكم سياسات تنطلق من افتراض أن أحداً لا يعيش على هذا الكوكب سوى الولايات المتحدة ومن يسير فى ركابها أو يعمل خادماً لمصالحها، وترتب على ذلك تراجع أو تأزم علاقاتها مع عدد متزايد من الدول، بينها أصدقاء سابقين، بل حلفاء، فضلاً عن انتشار الكراهية لها فى أوساط معظم الشعوب ... ودولة هذه حالها، تكون عرضة للإرهاب باعتباره سلاح الضعفاء، فهى لا تترك لهم أملاً فى الحصول على حقوقهم، وتسد أمامهم المنافذ، ولذلك فهى تتحمل مقداراً من المسئولية عن الإرهاب الذى تتعرض له."[1]

وبعد مرور خمس سنوات على تلك الأحداث المأساوية التى غيرت وجه العالم، فإن هناك حقيقة بدأت تفرض نفسها على الجميع، وهى أن النظام العالمى يمر بسبب السياسات الأمريكية الخارجية بمرحلة من الفوضى غير مسبوقة فى تاريخه.

---

[1] د. وحيد عبد المجيد، مرجع سابق، ص ص ٢١٥-٢١٦

وهو ما أكد عليه الكاتب الفرنسى آلان جوكس فى كتابه (امبراطورية الفوضى) الصادر عام ٢٠٠٢، متهماً الولايات المتحدة أنها بسلوكها العدوانى والفظ ليس فقط إزاء أعدائها الحقيقيين أو المحتملين، ولكن أيضاً بالنسبة لحلفائها الأوروبيين، إنما ينشر الفوضى فى النظام العالمى الراهن. فالامعان فى سياسة العنف والأمن للرد على العنف خلقت وضعاً بشرياً لا سابق له منذ الحرب العالمية الثانية. وهكذا، وفى السنوات الخمس الأخيرة، بدعوى الحرب على الإرهاب، تمت عملية إرهاب الحكومات واخضاعها لمطالب تضرب فى الصميم منظومة السلم والأمن العالميين.

وفى مقال هام نشر بعد أحداث سبتمبر بعنوان (صعود وسقوط القوى العظمى) أكد بول كيندى – أستاذ التاريخ بجامعة بيل الأمريكية – أن القوى العظمى تبدأ برحلة الهبوط من قمة العالم عندما تزداد التزاماتها الخارجية فتستنزف مواردها.

وهو ما حدث بالفعل مع الامبراطورية الأمريكية، فقد وافق مجلس الشيوخ الأمريكى بالاجماع يوم الجمعة ٢٠٠٦/٩/٢٩ – حسب ما ذكرته شبكة CNN الإخبارية على الانترنت – على تخصيص ٧٠ بليون دولار لنفقات العمليات العسكرية فى العراق وأفغانستان، وذلك كجزء من ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). ويبلغ إجمالى مشروع القانون ٤٨٨ بليون دولار، يخصص منها ٣٧٨ بليون دولار لبرامج البنتاجون الرئيسية، بزيادة قدرها ٥% عن العام الماضى، وقد وافق الكونجرس حتى الآن على تخصيص ٥٠٧ بلايين دولار للحرب فى العراق وأفغانستان، ولتعزيز الاجراءات الأمنية فى القواعد العسكرية للجيش الأمريكى فيما وراء البحار منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وقد بلغت تكلفة الحرب فى العراق حتى الآن ٣٧٩ بليون دولار، مقابل ٩٧ بليون دولار للحرب فى أفغانستان !!!

وفى نفس الشهر " صرح الرئيس الأمريكى جورج بوش بأن الحرب على الإرهاب هى الكفاح الأيديولوجى للقرن الحادى والعشرين، وأن هذه الحرب فى مراحلها الافتتاحية فحسب ... فإذا كانت افتتاحية بوش قد تكلفت كل هذه البليونات،

التى ذهب غالبيتها إلى خزائن المجمع الصناعى العسكرى الأمريكى الذى يتغذى بالحروب وأنهار الدماء، واللصيق للغاية ببوش، فكم ستصل التكاليف عند الخاتمة إذا قدر للأمور أن تسير بنفس المنهج اليمينى المتطرف الذى يتبناه الرئيس الأمريكى ؟ إنها كارثة حقيقية على الأمريكيين والعالم."[1]

كما نشر الكاتب الفرنسى ايمانويل تود كتاباً مثيراً عام ٢٠٠٢ بعنوان (ما بعد الامبراطورية) تحدث فيه عن عوامل التفكك الكامنة فى بنية الامبراطورية الأمريكية، مما سيؤدى فى النهاية إلى فشل المشروع الامبراطورى الأمريكى. وفى مقال هام للخبير الاستراتيجى الأمريكى ريتشارد هاس نشر فى عدد اكتوبر ٢٠٠٦ من مجلة الشئون الخارجية الأمريكية بعنوان (نهاية الهيمنة الأمريكية فى الشرق الأوسط) يقرر هاس ليس فقط فشل السياسة الأمريكية، ولكن أيضاً نهاية عصر الهيمنة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

وهو ما يذكرنا بمقالة هامة أخرى نشرها جون ايكنبرج، أستاذ الجغرافيا السياسية فى جامعة جورج تاون الأمريكية، فى عدد سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٢ من نفس المجلة بعنوان (الطموح الإمبريالى الأمريكى)، استطاع أن يرسم بقلمه فى افتتاحية مقاله المعالم البارزة للتوجهات السياسية الأمريكية فى مجال العلاقات الدولية، والتى يعتبرها انقلاباً حقيقياً فى العلاقات الدولية، أقدمت عليه الولايات المتحدة مستندة إلى قوتها العسكرية الفائقة وتقدمها التكنولوجى، وامكانياتها الاقتصادية الجبارة. لتنصب نفسها سيدة للكون، تملى عليه شروطها حتى ولو كانت مجحفة بباقى شعوب العالم، وبغض النظر عن تأثيراتها السلبية على الأمن والسلام الدوليين.

---

[1] أحمد السيد النجار، تكاليف حروب بوش المبنية على الكذب والتعصب الطائفى، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/١٨.

ويقرر ايكنبرج أن الاستراتيجية الأمريكية التى تهدف إلى إعادة صياغة النظام العالمى الراهن، تدور حول عدة محاور أهمها الدعوة إلى حق الولايات المتحدة المنفرد فى استخدام القوة فى صورة ضربات استباقية أو وقائية بغض النظر عن التقيد بالقواعد والمعايير الدولية. مما يشكل فى الواقع رؤية إمبريالية جديدة للولايات المتحدة تقودها إلى أن تعطى لنفسها الحق فى لعب الدور الكونى لوضع المعايير الدولية وتحديد ضروب التهديد وطرق استخدام القوة وأساليب اقامة العدل كما تراها. مما يهدد بتفتت نسيج النظام الدولى والقضاء على الشراكة السياسية الدولية.

وهذا الاتجاه الأمريكى الجديد – كما يرى ايكنبرج – تحيطه المخاطر الشديدة ومعرض للفشل، لأنه ليس فقط غير قابل للاستدامة ولكنه بالغ الضرر أيضاً من وجهة النظر الدبلوماسية. وإذا كان يمكن الاعتماد على التاريخ باعتباره معياراً للحكم على الظواهر، فإن هذه السياسة الأمريكية ستثير العداء فى العالم، وستبعث على ظهور صور متعددة لمقاومتها، مما سيترك الولايات المتحدة فى النهاية تعيش فى عالم أكثر عداء وانقساماً."[1]

وهكذا – وكما يرى الكاتب السورى الدكتور هيثم مناع – فقد أدت سياسات الامبراطورية الأمريكية المتغطرسة فى السنوات الخمس الماضية، وخاصة فى سياق حربها على الإرهاب، إلى ست قضايا خطيرة على صعيد الوضع البشرى:[2]

١- ضرب منظومة الدفاع والأمن العالمي المشترك.

٢- السعي لاحتكار اللجوء إلى القوة والعقوبات.

٣- إقامة نظام مواز للعلاقات والتحالفات.

---

[1] انظر عرض لهذه المقالة فى: السيد يسين،الامبراطورية الكونية،مرجع سابق،ص ص٢٠-٢١

[2] د. هيثم مناع، مرجع سابق.

٤- بلورة خطاب إيديولوجي مغلق حول العدو/الإسلام وربطه بموضوع الحرب المفتوحة على الإرهاب.

٥- خنق وسائل المحاسبة المعاصرة في القانون الدولي.

٦- رفض دمقرطة العلاقات الدولية لأنه يمر بالضرورة بإصلاح الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة التجارة العالمية.

ويؤكد المفكر الاجتماعى المصرى السيد يسين أن التاريخ العالمى سيشهد فى المستقبل على أن أحداث ١١ سبتمبر كانت – وعلى عكس ما يرى عديد من الباحثين – نهاية الامبراطورية الأمريكية !!"[(1)]

وبيان ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية فى رد فعلها العنيف والمتعجل على الأحداث المهولة، أصدرت قراراً امبراطورياً بالحرب ضد الإرهاب، شعاره (من ليس معنا فهو ضدنا)، وجاء فى القرار التاريخى أن الحرب على الإرهاب حرب من نوع جديد لا يحدها مكان أو زمان، بمعنى أنها تتسع دوائرها لتشمل المعمورة كلها من ناحية، وأنها يمكن أن تستمر إلى الأبد من ناحية أخرى.

وبدأت الولايات المتحدة حربها ضد الإرهاب بالهجوم على أفغانستان لتصفية تنظيم القاعدة، والقضاء على نظام طالبان المتحالف معها، غير أن هذه الحرب لم تكن سوى خطوة من خطوات متعددة اتخذتها الولايات المتحدة فى سبيل الحفاظ على الأمن الداخلى الأمريكى. وهكذا أصدرت مجموعة من التشريعات التى تكفل لها القبض على الأشخاص المشتبه فيهم واعتقالهم مع حرمانهم من حقوقهم القانونية التى تنص عليها التشريعات الأمريكية ذاتها. بل أن بعض هذه التشريعات نصت على جواز محاكمة المتهمين بالإرهاب أمام محاكم عسكرية فى جلسات سرية وفى غير حضور محامين للدفاع. وهذه المحاكم من حقها أن تصدر أحكاماً بالاعدام.

---

(1) السيد يسين،الامبراطورية الكونية،مرجع سابق،ص ص١١-١٥

وبالإضافة إلى ذلك أُعطيت للسلطة التنفيذية ولقوات الشرطة سلطات واسعة غير مسبوقة فى التنصت على المكالمات التليفونية وتفتيش المنازل والقبض على المشتبه فيهم. وقد خلقت هذه التشريعات الاستثنائية مناخاً ثقافياً يسوده الإرهاب والقمع.

ولم تكتفى الولايات المتحدة بحربها ضد أفغانستان، فسرعان ما حولت كل طاقاتها العدوانية تجاه العراق، واستطاعت بالطبع أن تقضى على النظام السياسى العراقى كما قضت على نظام طالبان، غير أن الأحداث أثبتت أن الشعب العراقى قرر مقاومة الاحتلال، وهكذا وقعت الولايات المتحدة فى المستنقع العراقى.

وهكذا، كما يؤكد السيد يسين، يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية التى تعثرت تعثراً واضحاً فى العراق، يمر مشروعها الامبراطورى بمرحلة سقوط لا شك فيها؛ فقد فشلت فى أن تفرض إرادتها السياسية على المجتمع الدولى، وفى نفس الوقت هناك محاولات دائبة من قبل أطراف أوروبية وآسيوية للوقوف ضد الهيمنة الأمريكية العالمية، وعلى الصعيد الداخلى تحول المجتمع الأمريكى من مجتمع مفتوح إلى مجتمع مغلق تسوده القوانين الاستثنائية التى تهدد أمن المواطن الأمريكى نفسه أياً كانت أصوله العرقية. وعلى المستوى الخارجى زادت كراهية العالم للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها دولة إمبريالية ظالمة، تقوم سياستها على العدوان، باستخدام قوتها العسكرية الفائقة.

ويمكن القول أن فشل الولايات المتحدة المحتم فى العراق، سيضطرها إلى الانسحاب منه، وسيكون ذلك إيذاناً بأفول المشروع الامبراطورى الأمريكى، لا لشىء إلا لكونه مشروعاً يسير فى اتجاه مضاد لمنطق التاريخ. فليس هناك مستقبل لنظام عالمى تهيمن عليه قوة عظمى وحيدة، ولو كانت الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما المستقبل المأمول يكمن فى نظام عالمى تعددى، يضم فى جنباته أقطاباً متعددة فى ظل قواعد جديدة تكفل الحرية والعدالة لشعوب العالم أجمع.

وقد جاءت نتائج انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى التى جرت فى الأسبوع الأول من نوفمبر ٢٠٠٦ بمثابة لطمة قوية للرئيس جورج بوش وحزبه الجمهورى، بعد الفوز الساحق الذى حققه الديمقراطيون بسيطرتهم على مجلسى النواب والشيوخ لأول مرة منذ أكثر من ١٢ عاماً، ليتحتم على الرئيس الأمريكى أن يكمل آخر عامين من ولايته الأخيرة تحت ضغوط الأغلبية الديمقراطية المناوئة لسياساته الداخلية والخارجية.

وفى أول رد فعل على الهزيمة الساحقة، أعلن الرئيس الأمريكى بوش إقالة دونالد رامسفيلد وزير الدفاع وتعيين روبرت جيتس مدير المخابرات المركزية الأسبق خلفاً له، واعترف بوش خلال مؤتمر صحفى فى البيت الأبيض، بأن سياساته فى العراق ليست ناجحة بشكل كاف وتفتقر إلى السرعة الكافية، وأضاف أن إدارة حكومته للحرب فى العراق لعبت دوراً حاسماً فى استعادة الديمقراطيين السيطرة على الكونجرس !!.

ولكنه رغم هذا الاعتراف، ظل على عناده وغروره، مؤكداً أن هزيمة حزبه فى الانتخابات لا تعنى أن الولايات المتحدة ستنسحب سريعاً من العراق. وهو نفس ما أكدته وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس من أن فوز الديمقراطيين فى الانتخابات لن يمنع الإدارة الأمريكية من استكمال مهمتها فى العراق حتى تتحقق أهدافها هناك.

وكان وزير الخارجية الأمريكى دونالد رامسفيلد قد اعترف بعد إقالته بأن جهود الولايات المتحدة لإحلال الاستقرار فى العراق لا تسير على نحو طيب، وأضاف فى خطاب بولاية كنساس، أن الرئيس بوش ووزير دفاعه الجديد سيستكملان الجهود لضبط الأوضاع فى العراق، وحذر من أن التعامل مع ما أطلق عليه (التشدد الإسلامى) يحتاج إلى صبر كما حدث فى الحرب الباردة !!.

وقد أظهرت استطلاعات الرأى التى أجريت حول الانتخابات، أن الفساد السياسى والإرهاب والوضع فى العراق والاقتصاد، هى القضايا الأربع الرئيسية

التى دفعت الناخبين إلى صناديق الانتخابات هذه المرة، بل أنه للمرة الأولى تتصدر القضايا القومية اهتمامات الناخبين مقارنة بالقضايا المحلية التى سيطرت على الناخبين فى الماضى، وهو تحول سيكون له تأثير كبير على انتخابات الرئاسة الأمريكية فى عام ٢٠٠٨.

فقد صرح ٦١% من الناخبين لقناة فوكس نيوز أن العراق يمثل أهمية قصوى لهم، وقد اتضح تأثير العراق بعد أن استخدم الديمقراطيون عبارة بوش عن الابقاء على الوضع فى العراق بطريقة تؤكد أن الجمهوريين يعاندون وأنهم لا يعرفون كيف يهزمون الجماعات المسلحة أو الإرهابية، كما أنهم لا يعرفون كيفية التخطيط لانسحاب لا يلحق ضرراً بالغاً بمكانة وأمن الولايات المتحدة.

وفى ردود فعل الإعلام الأمريكى على نتيجة الانتخابات، أشارت صحيفة واشنطن بوست إلى نهاية حقبة حكم الحزب الواحد، وتعد هذه النهاية الصاعقة – حسب تعبير الصحيفة – بمثابة وضع الرئيس الأمريكى على حافة تغيير سياساته خاصة فى العراق. كما قالت صحيفة نيويورك تايمز أن الديمقراطيين حصلوا على تفويض من الناخبين ضد سياسات بوش.

وقال ميل ماكينتيرف أحد المختصين فى الانتخابات الأمريكية لصحيفة لوس أنجلوس تايمز أن العراق كانت الجبهة الرئيسية فى انتخابات الكونجرس، وأن النتيجة تعنى مطالبة الأمريكيين بالتغيير.

وقد أظهر أحد الاستطلاعات التى أجراها مركز إديسون لأبحاث الإعلام أن ٨٠% من الأمريكيين الرافضين للحرب فى العراق، صوتوا لمصلحة الديمقراطيين. كما ذكرت شبكة CNN الأمريكية أن ثلاثة أخماس الناخبين صوتوا لمصلحة الديمقراطيين بسبب رفضهم للحرب.

وأياً كانت الأسباب التى أدت إلى هزيمة الجمهوريين فى انتخابات التجديد النصفى لمجلسى الشيوخ والنواب، فإن هذه الهزيمة سوف تضع قيوداً على السلوك

الاستعمارى المتطرف للإدارة الأمريكية الراهنة، والتى ضاعفت من عوامل الكراهية للولايات المتحدة عبر العالم بأسره.

فالحرب التى تقودها الامبراطورية الأمريكية على جبهات عريضة ومتعددة، عسكرية وأمنية وثقافية وسياسية، تظل أوسع بكثير من حدود القوة الأمريكية، التى لم تنجز الكثير على أرض الواقع فى أفغانستان والعراق والشرق الأوسط، فما بالنا بها وقد امتدت إلى أركان الكرة الأرضية الأربعة. لكن يبدو أن غرور القوة يفقد صاحبه صواب النظر، وهو ذاته الغرور الذى حذر منه من قبل السيناتور الأمريكى وليم فولبرايت فى كتابه (غطرسة القوة)، والذى حذر منه أيضاً مؤلف كتاب (القياصرة قادمون) الفرنسى أمورى رينكور، وقد تنبأ فيه بمخاطر ذلك النزوع القيصرى للولايات المتحدة الأمريكية، الذى سيفنى روح الحضارة الغربية، ويدفعها إلى حافة الانهيار !!.

خلاصة القول، أن غطرسة القوة الأمريكية، وتجبرها واستكبارها فى العالم، مؤذن بلا شك بانهيارها وزوالها، فالظلم مؤذن بخراب العمران كما قال ابن خلدون وأحداث التاريخ خير شاهد على ذلك، فما من امبراطورية عرفها التاريخ طغت وتجبرت وعاثت فى الأرض فساداً، إلا انتهى أمرها إلى الزوال والفناء، وتلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، قال تعالى: (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون) النمل: ٥١-٥٢.

الفصل الثانى

محطات الفشل الأمريكى !!

- بعد خمس سنوات من الحرب، أظن أن الساسة الأمريكيين أصبحوا الآن اكثر اقتناعاً ومجاهرة بأن الحرب فشلت. فلا استطاعت القوة العسكرية المفرطة أن تقضى على الإرهاب، ولا هى فرضت الاستقرار والهدوء فى العراق أو أفغانستان، ولا هى وفرت الحماية للطائرات والمرافق المدنية، وإنما حدث نقيض ذلك إلى حد كبير حيث صار العالم أكثر تخبطاً، أكثر فوضى وعنفاً.

  الكاتب الصحفى المصرى/ صلاح الدين حافظ

- لقد حددت المقاومة العراقية – فى واقع الأمر – نهاية المشروع الامبراطورى الأمريكى تماماً كما حدث لبريطانيا فى حرب السويس قبل نصف قرن.

  أستاذ التاريخ المصرى/ الدكتور رءوف عباس

أحداث ما بعد العاصفة:

بعد مرور خمس سنوات على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية، ما تزال هناك حاجة ماسة لإعادة قراءة تلك الأحداث، وما ترتب عليها وتلاها من آثار وتداعيات غيرت وجه العالم.

ولعل أغلبنا ما زال يذكر، فى أوائل مايو ٢٠٠٣، الرئيس الأمريكي بوش وهو يقف على ظهر حاملة الطائرات لينكولن قبالة السواحل الأمريكية، منتفشاً كأمراء الحرب الرومان، معلناً بكل تجرؤ: لقد انتهينا من الحرب والعمليات العسكرية الكبيرة فى العراق .. انتصرنا !. وقبل ذلك وبعده أدلى هو وكبار معاونيه ووزرائه بمئات التصريحات حول الانتصار فى أفغانستان، والقضاء على طالبان، وقتل الإرهابيين، وحصار دول محور الشر من سوريا إلى إيران وكوبا إلى كوريا الشمالية، واجبار النظم الحاكمة على اجراء اصلاحات ديمقراطية جذرية، وفرض الاستقرار على الشرق الأوسط وغيرها من المزاعم.

فأين هذا كله من الواقع الذى نعيشه ويعيشه العالم أجمع، وأين كل هذه الانتصارات المزعومة من الاعترافات المتتالية، وإن على استحياء، بأن الحروب الأمريكية المندلعة قد فشلت، وأن أسبابها كانت كاذبة ومضللة، وأن العالم لم يصبح أكثر أمناً من تهديد الإرهاب.

بداية هناك حقيقة بدأت تفرض نفسها على الجميع، وهى أن النظام العالمى يمر اليوم، بسبب السياسات الخارجية للولايات المتحدة فى مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر، بمرحلة من الفوضى غير مسبوقة فى تاريخه، دون أن يكون هناك ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنها من نوع الفوضى الخلاقة التى اعتادت الآنسة كونداليزا رايس أن تتحدث عنها. ومسئولية هذه الفوضى لا تقع فقط على عاتق تنظيم القاعدة الذى ارتكب جريمة سبتمبر الإرهابية، وإنما ايضاً، وبدرجة أكبر، على عاتق الإدارة الأمريكية التى تبنت استراتيجية للحرب الشاملة على الإرهاب، دون تعريف لمعنى الإرهاب الذى تريد شن الحرب عليه، ودون وضع حدود مكانية أو زمانية لهذه الحرب.

والحقيقة الأخرى التى لا مراء فيها، أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت هجمات سبتمبر الإرهابية لإطلاق الحرب العالمية الثالثة، التى سمتها هى الحرب العالمية ضد الإرهاب، ولم يأت ذلك مصادفة أو اعتباطاً، بل جاء نتيجة قرار مسبق وتخطيط قديم مدروس جرى على مدى سنوات سابقة على الحدث، بما يؤكد أن هجمات سبتمبر لم تكن إلا حجة لتنفيذ ما كان مبيتاً فى النيات الأمريكية تنفيذه، وهكذا أشعلت واشنطن الحرب وهى تدرك هدفها ووسائلها وتتطلع إلى نتائجها.

فقد " كانت الإدارة الأمريكية هى التى حددت أسماء الأشخاص التسعة عشر المتهمين بارتكاب الأحداث التى راح ضحيتها ثلاثة آلاف شخص، وأكدت بنفسها أنهم ينتمون جميعاً إلى جهة واحدة هى تنظيم القاعدة. ولأن القاعدة ليست دولة وإنما تنظيم سرى، فقد كانت الحكمة تقتضى أن تكون الإجراءات المتبعة من نوع خاص، يستهدف تعقب عناصر هذا التنظيم وكشف المتعاونين معه والعمل على تضييق الخناق عليه إلى أن يتم القبض على المتورطين منهم وتقديمهم للعدالة.

لكن إدارة الرئيس بوش اختارت رداً يتسم باستعراض هائل للقوة، يتناسب مع مكانتها وهيبتها، فكان قرار الحرب على أفغانستان، ورغم التجاوز الذى انطوى عليه هذا القرار، إلا أن استعداد المجتمع الدولى للتجاوب معه كان واضحاً، ربما بسبب مساندة نظام طالبان لتنظيم القاعدة ورعايته له واستضافته لقياداته وسماحه بإقامة معسكرات للتدريب على أرضه. ولذلك لم يكن غريباً أن تحظى حرب الولايات المتحدة على أفغانستان – رغم تحفظات البعض – بتأييد دولى. فقد أجازها مجلس الأمن، وشارك فيها حلف الأطلسى فى مراحل مختلفة منها، بما فى ذلك ترتيبات ما بعد مرحلة طالبان."[1]

---

[1] د. حسن نافعة، ذكرى ١١/٩ كيف تحولت الحرب على الإرهاب حرباً على العرب والمسلمين، جريدة الحياة اللندنية، عدد ٢٠٠٦/٩/٦.

" وبدلاً من أن يكرس بوش جهوده لمطاردة فلول القاعدة، وتقبيح صورتها، وعزلها من قلوب وعقول المسلمين، والقضاء عليها، سارع الرئيس الأمريكى إلى فتح جبهة ثانية فى العراق، لأسباب لا علاقة لها بالإرهاب، بحجة أن العراق يملك أسلحة دمار شامل، ليجد نفسه فى مستنقع عميق بلا مخرج أو قرار، لا يعرف من يحارب ولماذا يحارب، وما هى نهاية هذه الحرب، وكيف الخروج منها محتفظاً ببعض ماء وجهه، أن كانت نتائجها بعد مرور ثلاث سنوات على الغزو، حرباً أهلية بين السنة والشيعة، مع احتمال تفتت العراق إلى دويلات ثلاث، وزيادة نفوذ إيران فى العراق إلى الحد الذى يشكل خطراً على الوجود الأمريكى هناك، وفشلاً ذريعاً فى كسب أفئدة وعقول العالمين الإسلامى والعربى، واحتمالات متصاعدة لحرب ثالثة مع إيران، وضمور الدور التنظيمى للقاعدة لصالح أطوار جديدة من جماعات الإرهاب تمثل أجيالاً أوروبية مسلمة تهدد أمن الغرب، لم تأت من دول الشرق الأوسط، ولم تحركها أى من دول محور الشر، ولكنها تربت فى أحضان الغرب وتحمل جنسيته." [1]

" ولعل المحطة الثالثة في تلك الحرب، هي الهجمة الشرسة التي قام بها أرييل شارون في المناطق الفلسطينية المحتلة، بالضفة الغربية وقطاع غزة. فهذه الهجمة أُعلن أيضاً، وبمنطوق الرئيس الأمريكي، بوش نفسه أنها جزء من الحرب العالمية على الإرهاب. وكان احتجاز الرئيس الفلسطيني الراحل، ياسر عرفات في مقر إدارة السلطة برام الله حتى استشهاده، واغتيال عدد كبير من القيادات الفلسطينية الرسمية في حماس والجهاد، والشعبية وفي مقدمتهم أبي على مصطفي والشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي، وعشرات آخرين، وتقطيع الضفة الغربية إلى ثلاثة أوصال، وعزل قطاع غزة، وإقامة الجدار العازل، ومحاصرة المخيمات والبلدات والمدن الفلسطينية، وفرض حصار اقتصادي جائر على المناطق المحتلة هي أبرز معالم تلك الحرب." [2]

---

[1] مكرم محمد أحمد، فى ذكرى أحداث سبتمبر، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٩/١٣.

[2] د. يوسف مكى، بعد خمس سنوات من سبتمبر: محطات ما بعد العاصفة، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٣ على موقع التجديد العربى: www.arabrenewal.com

تلك الحرب التى زادت نارها وشرارها، بعدما ذهب رئيس الوزراء الصهيونى شارون فى غيبوبة لن يعود منها، ليخلفه ايهود أولمرت، الذى صعد من حربه ضد الشعب الفلسطينى، وتشدد فى عزل قياداته المنتخبة من حركة حماس، وواصل مجازره ضد الشعب الفلسطينى الأعزل، والتى كان آخرها – حتى الآن – مجزرة قرية بيت حانون فى شمال قطاع غزة يوم ٢٠٠٦/١١/٨، والتى راح ضحيتها ٢٣ شهيداً فلسطينياً أغلبهم من الأطفال، بينهم ١٣ فرداً من أسرة واحدة، كما أصيب ٤٠ آخرون. واستطاعت أمريكا – كالعادة – منع مجلس الأمن من اصدار قرار بإدانة الوحشية الإسرائيلية، وأوقفت بالفيتو الأمريكى يوم ٢٠٠٦/١١/١٢ قراراً وافق عليه أغلبية أعضاء مجلس الأمن بإدانة الاعتداءات الاسرائيلية.

وعلى عكس كل ما هو عربى إسلامى، " يبدو موقف الولايات المتحدة على قدر استثنائى من الوداعة تجاه سلطات إسرائيل، البلد الذى يواصل الاحتلال، بالرغم من القوانين الدولية، لجزء من سوريا (الجولان)، وكذلك لأراضى غزة والضفة الغربية، فضلاً عن القدس الشرقية. بلد يملك كل أنواع أسلحة الدمار الشامل (الكيميائية والبيولوجية والذرية)، وينتهك منذ ثلاثين عاماً كل ما يخصه من قرارات الأمم المتحدة، دون أن تجرى معاقبته مطلقاً، بل على العكس، واصلت واشنطن منحه، كل عام، مساعدة قيمتها ٣ مليارات دولار !!." [1]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ٨٠-٨١.

الضربات الاستباقية، ونشر الديمقراطية:

" من المعروف أن الإستراتيجية الأمريكية لمحاربة الإرهاب قد تأسست على مبدأين أساسيين، هما من جهة الضربة الاستباقية لحماية الأمن الحيوي الأمريكي داخلياً وخارجياً، ومن جهة أخرى نشر الديمقراطية وتقويض الأنظمة المستبدة واستخدام الضغط العسكري مسلكاً لفرض الحرية من منطلق العلاقة العضوية بين تعميم الديمقراطية وضمان الأمن الأمريكي الداخلي.

وما كشفت عنه الدراسات الأمريكية الأخيرة، هو إخفاق هذه الإستراتيجية في بعديها الأمني العسكري والسياسي القيمي، مما بدأ يقر به حتى أركان الإدارة، وفي مقدمتهم وزيرة الخارجية كونداليزا رايس، التي اعترفت مؤخراً، بأن بلادها ارتكبت آلاف الأخطاء في حرب العراق، حتى لو كانت تمسكت بسلامة قرار الحرب وشرعيته. فبخصوص **المحور العسكري الأمني،** لاحظ دانيال بنيامين وستيفن سيمون – العضوان السابقان في مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس السابق كلينتون – في كتابهما الصادر مؤخراً بعنوان «الهجمة القادمة»، أن الفشل الأمريكي الذريع في حرب العراق قوض بصفة جذرية نموذج «الضربة الاستباقية»، الذي يشكل في آن واحد جوهر المقاربة الأمنية الداخلية لتفادي العمليات الإرهابية (بما يعنيه الأمر من إلغاء كامل لمدونة الحقوق السياسية والمدنية التي قامت عليها التجربة الأمريكية)، وجوهر المقاربة الإستراتيجية الخارجية (بما يتصادم موضوعياً مع منظومة التشريعات والقوانين الدولية).

وتبين النتائج العينية التي يقدمها المؤلفان أن الحربين الاستباقيتين اللتين خاضتهما أمريكا في أفغانستان والعراق، وإن نجحتا في إسقاط نظامين معاديين للولايات المتحدة، إلا أنهما لم تؤديا إلى الحد من خطر الإرهاب، بل قادتا إلى مضاعفته وتأجيجه. فالإدارة الأمريكية إذن أنفقت القدرات المالية الباهظة على حرب فاشلة، من دون أن تخصص التكاليف اللازمة لحماية الأمن الحيوي للبلاد في هذه المنافذ التي يتجذر فيها الخطر (كالأنظمة الإلكترونية، والموانئ والمصانع الكيميائية..).

أما **الجانب السياسي** المتعلق بتصدير الديمقراطية، باعتباره محوراً أمنياً واستراتيجياً مرتبطاً بالمصالح الحيوية الأمريكية، فلم يفض إلى مكاسب نوعية، خصوصاً في المنطقة المستهدفة بالأساس في هذه الإستراتيجية، أي منطقة الشرق الأوسط الكبير. ولا شك أن أهم شهادة في هذا المنظور، هي الشهادة التي يقدمها المفكر الأمريكي الذائع الصيت فرانسيس فوكوياما، في كتابه الأخير «أمريكا في مفترق الطرق: الديمقراطية، السلطة، وتركة المحافظين الجدد». حيث يحكم بوضوح، لا لبس فيه، على الاستراتيجية الأمريكية في مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر بالإخفاق والفشل، منتقدا بقوة الخلفية الايديولوجية لهذه الاستراتيجية، التي بلورها المحافظون الجدد القريبون من دائرة صنع القرار. فهو يرى أن هذه الرؤية أفلست في الواقع العيني، ولم تنجح في جعل الولايات المتحدة والعالم أكثر أمناً، كما لم تؤد إلى نشر قيم الديمقراطية والحرية. ومن الواضح أن فوكوياما يراجع في كتابه الأخير مسلماته الأثيرة حول نهاية التاريخ وحتمية التوسع الديمقراطي مطالباً باستبدال القوة العسكرية بالقوة الرخوة (أي القيم والأفكار) لاستنبات النموذج الديمقراطي في الساحة الشرق أوسطية المتمنعة عليه." [1]

" ويؤكد بعض الخبراء، متأثرين بلا شك بالدعاية السائدة، أن واشنطن عازمة على التدخل ليس فقط فى العراق، بل أيضاً، بعده مباشرة، فى كل المنطقة، وعازمة على تخليصها من كل الديكتاتوريات التى تتفشى فيها. ولن يكون التخلص من صدام حسين سوى العينة الأولى ... على أن كل من يعرف وإن قليلاً تاريخ التدخلات العسكرية الأمريكية فى بلدان العالم الثالث لا يمكن أن يصدق هذه الحكاية الخرافية. فقد زرعت الولايات المتحدة دكتاتوريات فى كل مكان تقريباً ... ولكن أن يوجد فى الشرق الأوسط على وجه التحديد مشروع إقامة ديمقراطية فى العراق، فإنه لا يمكن تصديقه كثيراً، نظراً لأن واشنطن تقدم العون هناك، منذ عقود طويلة، لعدد من أشنع دكتاتوريات المنطقة ... وحجة الدعاية ممتازة: الموت فى سبيل الديمقراطية. غير أن الواقع أقل سمواً: غزو النفط العراقى." [2]

---

[1] السيد ولد أباه، المأزق الأمريكى بعيون أمريكية، جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢٠٠٦/٤/٦.

[2] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ١٦٧-١٦٨.

" ولا شك أن انتصار حركة حماس في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية، وحصدها لعدد كبير من المقاعد، وبالتالي تسلمها لإدارة السلطة الفلسطينية، قد كشف زيف الإدعاء الأمريكي بأن الحرب على الإرهاب تستهدف إشاعة الديموقراطية. فمنذ الوهلة الأولى لإعلان النتائج، اتخذت الإدارتين الإسرائيلية والأمريكية موقفا معاديا لفوز حماس، واخذت تمارس عقوبات جماعية بحق الشعب الفلسطيني، بسبب إقدامه على انتخاب قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس). لقد اتضح للقاصي والداني، أن شعار الديموقراطية الأمريكي، يعني الخضوع للسياسات الاستسلامية، وللابتزاز، وأن الانتخابات النزيهة وما تفرزه صناديق الاقتراع لا تعني شيئا بالنسبة لصانع القرار الأمريكي، إذا لم تتمخض عن وصول عناصر موالية لنهج الهيمنة والعدوان." [1]

وفى مقال رائع، جامع، قدم الكاتب الصحفى المصرى صلاح الدين حافظ تقييماً لنتائج الاستراتيجية الأمريكية فى محاربة الإرهاب، خلال السنوات الخمس الماضية، فى ضوء أهدافها التى قامت عليها، ونتائجها التى وصلت إليها، وقد خلص فى نهاية مقاله إلى وصف تلك السنوات بأنها **سنوات التخبط والفشل**. ولأهمية هذا المقال نعرض لأهم الأفكار التى تناولها. [2]

يؤكد صلاح الدين حافظ أنه بعد خمس سنوات نتذكر أن الرئيس بوش الابن المهووس بأفكار المحافظين الجدد، المعبأ بمشاعر دينية أقرب إلى التعصب والتطرف التى استقاها من نشأته فى البيئة الدينية لخدام الانجيل فى ولايات الجنوب الأمريكى، قد اطلق شرارة الحرب بعد أشهر قليلة من هجمات سبتمبر **مستهدفاً ثلاثة أهداف رئيسية: أولاً:** قتل الإرهابيين فى مكامنهم البعيدة والقضاء على شبكات ومنظمات الإرهاب الإسلامى. **وثانياً:** محاصرة دول محور الشر ومنعها من امتلاك واستخدام أسلحة الدمار الشامل. **وثالثاً:** تغيير العالم العربى والإسلامى

---

[1] د. يوسف مكى، مرجع سابق.

[2] صلاح الدين حافظ، أمريكا .. سنوات التخبط والفشل، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٠٦/٩/١٣.

بؤرة تفريخ الإرهاب والتطرف، من حال التخلف إلى حال التقدم، بنشر الديمقراطية وفرض قيمها على النظم الحاكمة الفاسدة المستبدة.

وبعد خمس سنوات من الحرب، يقول صلاح حافظ، أظن أن الساسة الأمريكيين أصبحوا الآن أكثر اقتناعاً ومجاهرة، بأن الحرب فشلت، وأنها لم تعد حرب الشعب الأمريكى، كما كانت فى البدايات، بل أصبحت حرب بوش وعصابة المحافظين الجدد. فلا استطاعت القوة العسكرية الفائقة أن تقضى على الإرهاب، ولا هى فرضت الاستقرار فى العراق وأفغانستان، ولا هى وفرت الحماية للطائرات والمرافق المدنية، وإنما حدث العكس إلى حد كبير، حيث صار العالم أكثر تخبطاً، وأكثر فوضى وعنفاً.

فاليوم عادت طالبان إلى واجهة القتال فى أفغانستان، وعاد بن لادن والظواهرى يهددان ويخططان. وسقط العراق فى مستنقع الدم والدمار مندفعاً نحو الحرب الأهلية الشاملة والتقسيم، ودخلت إيران على الخط لتستنزف الجهد الأمريكى سياسياً وعسكرياً، واليوم لم يعد العالم أكثر أمناً، كما يدعى الرئيس بوش، بل أصبح أكثر خوفاً وقلقاً من جراء التهديدات الإرهابية المتتالية، ابتداء من تفجيرات مدريد ولندن، مروراً بما أذيع أخيراً من ضبط خطة لتفجير عشرات الطائرات المتجهة من بريطانيا إلى أمريكا، وغيرها كثير مما لم يعلن عنه.!!

واليوم لم تكسر الحرب الصليبية أو الحرب ضد الفاشيين الإسلاميين على حد قول الرئيس بوش نفسه، المد الإسلامى بشقيه الجهادى القتالى والسياسى المعتدل، بل زادت موجات التطرف وصعود التيارات الإسلامية، من أفغانستان وباكستان شرقاً إلى المغرب والجزائر غرباً، مروراً بما يجرى فى فلسطين ولبنان والسودان والصومال وشبه الجزيرة العربية، امتداداً إلى إيران ودول القوقاز والشيشان.!

إضافة إلى ذلك، فقد اتسعت دوائر العداء والكراهية للسياسات الأمريكية، بين الدول العربية والإسلامية، عما كانت عليه قبل خمس سنوات، بسبب الممارسات الأمريكية المتغطرسة، والحروب التى تخوضها منفردة أو مع إسرائيل، ضد

مصالح شعوب المنطقة وعكس إرادتها، وهى كراهية امتدت إلى شعوب آسيوية وأفريقية عديدة، بل وصلت إلى أمريكا اللاتينية الفناء الخلفى للولايات المتحدة، حيث استطاع خصومها القدامى والجدد الوصول إلى السلطة فى ثمانى دول على الأقل هى فنزويلا وشيلى والأرجنتين والبرازيل وبنما وأراجوى وبوليفيا والدومينيكان إضافة إلى كوبا بالطبع. ولم يكن ذلك ليحدث لولا مناخ العداء الذى أوجدته الحرب الأمريكية عبر العالم، بما تحمله من نزعات إمبريالية.

واليوم تمددت بحيرة أسلحة الدمار الشامل، خاصة الأسلحة النووية، بشكل خطير لتحكم حصارها حولنا، ابتداء من الهند وباكستان، وصولاً لإسرائيل، وها هى إيران تدخل الحلبة متحدية، بعدما نجحت كوريا الشمالية من قبل فى التحدى.

وفى حين تصاعدت الأزمة الاقتصادية وضغوطها الاجتماعية على الأمريكيين فى الداخل نتيجة ارتفاع الانفاق العسكرى بسبب الحروب المندلعة إلى ٥٠٠ مليار دولار عام ٢٠٠٥، ووصول العجز السنوى إلى ٧٠٠ مليار دولار أخرى، فإن انتهاكات الحقوق المدنية والسياسية باسم مكافحة الإرهاب ومطاردة واجهاض محاولاته، قد أرهقت الأمريكيين، وأفقدتهم الثقة فى إدارة الرئيس بوش وسياساته ومغامراته العسكرية، دون أن يحقق هدفاً واحداً من الأهداف التى وعد الأمريكيين قبل سنوات بتحقيقها.

وأخيراً، فبعد خمس سنوات من كل هذا الذى جرى باسم الحرب الاستباقية، وحرب الأخيار ضد الأشرار، والحرب المقدسة ضد الإرهاب الإسلامى، يلخص المفكر الأمريكى اليهودى نعوم تشومسكى الموقف بقوله نصاً: " إن أمريكا أصبحت الدولة الإرهابية الأولى فى العالم، وإن إدارة بوش هى الإدارة الأخطر فى التاريخ الأمريكى كله".

وفيما تبقى من هذا الفصل، نحاول تتبع محطات الفشل الأمريكى المتتابعة، والتى توالت على رأس الإدارة الأمريكية منذ إعلان حربها العالمية ضد الإرهاب، بشىء من التفصيل.

محطات الفشل الأمريكى:

أولاً: الفخ الأفغانى:

كانت الخطوة الأولى بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرة هى التحضير لاحتلال أفغانستان، وجرى ذلك على وجه السرعة بعد أسابيع معدودة من حدوث عاصفة سبتمبر. وقد نُظر إلى غزو واحتلال أفغانستان على أنه كسب مبكر وهام للحرب على الإرهاب لصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد جاءت الخطوة الأولى، بالطلب من نظام طالبان الأفغانى الحاكم تسليم زعيم القاعدة أسامة بن لادن فى موعد أقصاه ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١، ولم يكن غريباً أن تسأل حكومة طالبان عن برهان لتهمة تورط القاعدة فى تلك الأحداث (حيث لم يكن بن لادن قد أعلن مسئوليته عن الأحداث بعد)، وقد عومل هذا الطلب من قبل الولايات المتحدة بالازدراء، وبدون إعلان رسمى للحرب بدأت الولايات المتحدة فى ٧ أكتوبر ٢٠٠١ قصفاً جوياً عنيفاً على أفغانستان.

وتساقطت المدن الأفغانية كحبات المسبحة، الواحدة تلو الأخرى. وكان الجنرلات الأمريكان يبحثون عن أهداف صالحة للقصف فى بلد أنهكته الحروب، وهد أبناءه الجوع والمرض. لم تكن هناك بنية تحتية قوية، ولا أهداف عسكرية واضحة. كانت الطائرات تقذف بحممها فوق جبال تورا بورا على أمل العثور على قادة طالبان فى أحد كهوفها، ولكن دون جدوى. ولم تكن كلفة الحرب فى الأيام الأولى، بالنسبة للأمريكيين عالية، لكنها كانت بالتأكيد كبيرة جداً فى صفوف الأفغان، حيث كلفتهم أضعاف أضعاف عدد الذين سقطوا فى نيويورك وواشنطن جراء أحداث سبتمبر الإرهابية.

فبعد ثلاثة أسابيع من القصف الأمريكى على أفغانستان، قتل خلالها ما يزيد على ٢٠ ألف أفغانى، " ولا إرهابى واحد متورط فى الهجمات على أمريكا تم القبض عليه أو قتله فى أفغانستان. بدلاً من ذلك فإن أحد أفقر وأكثر الأمم المنكوبة

تم إرهابها بواسطة الأقوى، حيث استنفد الطيارون الأمريكيون أهدافهم العسكرية المشكوك فيها، وبدءوا فى تحطيم البيوت الطينية والمستشفيات ومخازن الصليب الأحمر، والشاحنات التى تحمل اللاجئين." [(1)]

" ووفق القانون الدولي، لم تكن هذه الحرب شرعية. إن منطق هذا المبدأ الأمريكي يمكن أن يبرر للملكة المتحدة قصف الولايات المتحدة على أساس أن بعض أعضاء منظمة إيرا كانت تعيش في الولايات المتحدة خلال الثمانينيات أو أن تبرر لإسبانيا قصف فرنسا تحت مبرر أن بعض أعضاء منظمة إيتا- الباسك الانفصالية كانوا هناك. راقب العالم بصمت حالة واحدة من أفقر دول العالم وأكثرها تعرضاً للحروب المدمّرة تتعرض للقصف بأسلحة متطورة ومنها محرَّمة دولياً (كيميائية ويورانيوم منضب). الأفغان الذين لم يسمعوا أبداً بالقاعدة، قُتلوا جراء القصف أو أصبحوا مشوهين و/أو مقعدين، وكل ذلك بسبب أمر هم بعيدون وغير مسؤولين عنه. أظهرت الأحداث الأخيرة في أفغانستان كم أن نجاح الولايات المتحدة في حربها كان سطحياً، وكم أنها لم تعِ قدرة الأفغان وتمرُّسهم على شن حرب عصابات طويلة وناجحة. اعترف القائد العسكري للناتو أن أربعة أخماس البلد خارج سيطرتهم وأن قوة طالبان في نمو متزايد ومستمر. عينت الولايات المتحدة حامد كرازي رئيساً للبلاد، لكنه أصبح محل سخرية الأفغان لأنه لا وجود له خارج العاصمة، فسموه "محافظ كابول". بل أن الأحداث الأخيرة داخل كابول تبين أنه حتى هذه التسمية أكبر منه. أما من يحميه، فهم مرتزقة أمريكان لعدم ثقته بالأفغان. في حين نقل عائلته إلى خارج البلاد لضمان سلامتها!." [(2)]

---

(1) Pilger,John,The War against Terrorism is a Fraud, The Mirror, November 2001.

(2) ستيفن هاريس، فشل الحرب على الإرهاب، ترجمة عبد الوهاب حميد، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٠ على موقع: www. Arabvoice.com

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: " ماذا فعل الاحتلال الأمريكى وحلفاؤه من خير للشعب الأفغانى سوى تنصيب نظام دمى عميل للأمريكان برئاسة كرازاي؟ السنوات الخمس الماضية من احتلال أفغانستان تعكس معطياتها إن تطور وتطوير أفغانستان لم يدخل في حساب أولويات المحتل الأمريكي ولا يدخل ضمن أهدافه المرسومة، فالهدف الاستراتيجي من احتلال أفغانستان حول الهيمنة على نفط بحر قزوين كحلقة وصل تربط بين هذه المنطقة وبين النفوذ النفطي والسياسي الأمريكي في الجمهوريات السوفييتية السابقة القريبة من هذه المنطقة – جورجيا وأذربيجان وغيرهما. كما أن من الأهداف المركزية للحرب على أفغانستان بناء "سد أمريكي" في وجه الصين في جنوب شرق آسيا، تعزيز تحالف أفغاني – باكستاني – هندي تحت المظلة الأمريكية. والحقيقة اليوم هي أن احتلال أفغانستان لم يوفر لشعبها لا الأمن ولا الاستقرار ولا تحسين ظروف المعيشة، بل حياته أصبحت أسوأ، ولهذا لا ينعم المحتلون بالأمن والاستقرار، بل تتصاعد وتتسع يومياً المقاومة للمحتلين ولما يرتكبونه من جرائم ضد الشعب الأفغاني، وتزداد الكراهية للعدوان الأمريكي في أفغانستان وباكستان وغيرهما." [1]

وبعد خمس سنوات من الحرب الأمريكية ضد أفغانستان فإن " دوامه العنف تلف البلاد من أقصها لاقصها، وحركه طالبان أصبحت شوكة في جنب قوات حلف شمال الاطلنطي'الناتو' والقوات الأمريكية، وكل يوم يمر يشهد قتلي في صفوف هذه القوات، وتتضاعف وطأه الأزمة بما يتكشف من قصف متعمد لأماكن تجمع المدنيين. وبلغ الاحتقان الذروة لدرجة دفعت الرئيس الأفغاني حامد كرازي لمطالبة القوات المتعددة الجنسيات بتوخي الدقة عند القيام بغارات جوية والتحقيق فيما سبق من انتهاكات. وحينما تبحث عما أُنجز في السنوات الخمس المنصرمة في أفغانستان لا تدهش إذا عرفت أنها كانت في أضيق الحدود، فحال البلد لم يتطور عما كان عليه في حقبه طالبان، وما يزال علي تخلفه الاقتصادي والتكنولوجي والسياسي.

---

[1] أحمد سعد، مرجع سابق.

ولا يزال الافغان لا يجدون ما يحصلون منه علي قوت يومهم سوي زراعة الأفيون والاتجار في المخدرات، أحد الأسباب المبررة لغزوه. ويصعب علي المتابع للشان الأفغاني العثور علي ملمح محدد لسياسة أمريكا هناك، فالحديث يتواصل عن الرغبة في القضاء علي فلول طالبان والقاعدة، واخراجها من غياهب العصور الوسطي، والارتقاء بها علي كافه المستويات، ثم تنتظر الي ما تحقق لن تجد إلا أقل القليل."[1]

ثانياً: المستنقع العراقى:

كانت المحطة الثانية من محطات الحرب الأمريكية ضد الإرهاب، هى غزو واحتلال العراق فى مارس/إبريل من عام ٢٠٠٣، والحقيقة أنه " كان واضحاً عام ٢٠٠٢ أن إدارة بوش عاقدة العزم على إيجاد ذرائع لبدء تحركها نحو العراق. كانت مشكلتها في إيجاد أسباب تُبرر فعلها أمام الرأي العام الأمريكي والعالم. بدأت زعمها بوجود رابط بين القيادة السياسية العراقية وبين قيادة القاعدة وإلحاقها بزعم آخر هو أن العراق يُطور أسلحة الدمار الشامل (كيميائية وبيولوجية). عليه وجب إسقاط النظام العراقي أو منعه من تسليم مثل هذه الأسلحة إلى القاعدة. المفارقة هنا لم تقتصر على كذب هذه المزاعم، بل أن الحكومة الأمريكية كانت على علم بأنها كاذبة. حيث أثبتت الوقائع التالية عدم وجود أية علاقة للنظام العراقي مع القاعدة، وأكد هذه الحقيقة مرة أخيرة، تقرير الكونجرس الأمريكي في ٨ سبتمبر ٢٠٠٦.

أما أسلحة الدمار الشامل فقد التزم العراق بقرار مجلس الأمن ١٤٤١ بالسماح لمفتشي الأمم المتحدة بحرية الوصول وتفتيش أي مكان دون حدود أو قيود. وفي ديسمبر ٢٠٠٢ أرسل العراق ١٢ ألف طن من الوثائق إلى مجلس الأمن حسب طلب المجلس بموجب قراره المذكور. سيطرت الولايات المتحدة على هذه الوثائق

---

[1] محمد إبراهيم الدسوقى، العراق وأفغانستان عنوانان للفشل الأمريكى، جريدة الأهرام المصرية ، عدد ٢٠٠٦/٨/٢٥.

– النسخة الكاملة الوحيدة – بينما زودت بقية أعضاء مجلس الأمن بنسخ محررة موجزة (تتحمل الحذف والإضافة). زعم السفير الأمريكي في الأمم المتحدة نيجروبونتي أن الولايات المتحدة قدّمت "خدمة تقنية" لبقية أعضاء مجلس الأمن. وعندما رفض الوفد السوري قبول النسخة المحررة وطلب صورة كاملة من النسخة الأصلية، لم تستجب الولايات المتحدة لهذا الطلب أبداً! ومع اتضاح توجه مفتشي الأمم المتحدة لإصدار تقرير في منتصف عام ٢٠٠٣ يوضحون فيه خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل، أُصيبت حكومة الولايات المتحدة بالرعب. وأخذت تزعم أن رأس النظام العراقي يُناور من أجل كسب الوقت.. وبالمقابل تجهّزت لاتخاذ فعل سريع– غزو/ احتلال العراق– قبل أن يكون الوقت متأخراً بصدور القرار المُرتقب لمفتشي الأمم المتحدة.

ولم يكن متوقعاً أن يتمكن الجيش العراقي– الخاضع للحصار على مدى أكثر من عقد – أن يكون قادراً على مواجهة جيش مجهز بأكثر الأسلحة الحديثة المتطورة. لكن المقاومة أثبتت أنه حتى القوة العظمى لها قدر محدود من الفعل، وبفعل ما سببته المقاومة وتسببه لجيش الاحتلال من خسارة بشرية ومادية يومية – تقريباً– فقد دمَّرت أسطورة "القوة العسكرية الأمريكية التي لا تُقهر". منذ احتلال العراق، ورغم أن بوش أنشأ فريق تفتيش للبحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وبرئاسة صديق قديم له. وبعد حوالي ستة أشهر من التفتيش في كافة أنحاء العراق، حتى هذا الفريق استنتج في تقريره بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٤ خلو البلاد من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية قبل الغزو ولم تكن هناك أية خطة لتطوير أي منها.

وفي غياب قرار صادر عن مجلس الأمن الدولي يسمح بأي فعل عسكري، وكذا البراهين اللاحقة على أن تلك الادعاءات ضد العراق قبل الاحتلال كانت ذرائع مزيفة كاذبة، عندئذ ليس غريباً أن يُشكل العالم رأيه بأن إدارة بوش تصرفت على نحو غير قانوني. أما الحصيلة فكانت قتل وجرح مئات الألوف من العراقيين

الأبرياء، تدمير البنية التحتية، انهيار القانون والنظام العام في ظل الاحتلال، وهجرة آلاف العلماء والأساتذة ممن لم يستطيعوا الحياة في وطنهم أو لم يرغبوا العيش في ظل هذا الاحتلال الوحشي." [1]

وبعد ثلاث سنوات من احتلال العراق، ماذا كانت النتيجة ؟؟

أكدت دراسة أعدها فريق من الباحثين الأمريكيين والعراقيين العاملين فى مجال الصحة العامة، نشرت فى أكتوبر ٢٠٠٦، أن ٦٥٥ ألف شخص قد لقوا حتفهم فى العراق منذ الغزو الأمريكى فى مارس ٢٠٠٣، وعلى ضوء هذا الرقم يمكن القول أن معدل القتلى العراقيين هو ٥٠٠ شخص يومياً !!.

ورغم أن الرئيس الأمريكى قد رفض نتائج هذه الدراسة، ووصفها بأنها تفتقر إلى المصداقية، إلا أن ذلك لا يعنى التقليل من شأنها، خاصة فى ظل وجود مؤشرات أخرى تدعمها. فقد صرح البنتاجون فى وقت سابق على هذه الدراسة، أن أكثر من ثلاثة آلاف مدنى عراقى يموتون كل شهر، وبمعدل يصل إلى ١٢٠ قتيلاً يومياً !!. كما كشف وزير الصحة العراقى فى ٢٠٠٦/١١/٩، عن أن ١٥٠ ألف مدنى عراقى لقوا حتفهم فى أعمال عنف خلال السنوات الثلاث الماضية، إضافة إلى أكثر من ٦٠٠ ألف مصاب تعجز الحكومة عن توفير الرعاية الصحية لهم.

وأياً كانت حقيقة الأرقام، فإنه من المؤكد أن القتل والموت أصبح مقرراً يومياً على الشعب العراقى المنكوب، بمعدل يزيد على ٥٠ شخص يومياً !!.

أما فيما يخص القوات الأمريكية فى العراق، فقد نشرت وكالة CNN الإخبارية الأمريكية على موقعها الالكترونى يوم ٢٠٠٦/١٠/١١، أن الجيش الأمريكى أكد فى بيان له ارتفاع حصيلة القتلى من قوات الجيش الأمريكى فى العراق منذ الغزو إلى ٢٧٤٩ جندياً. أى ما يقارب عدد الذين لقوا حتفهم فى أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية !!.

---

[1] ستيفن هاريس، مرجع سابق.

وبعد ثلاث سنوات من الاحتلال، يبدو واضحاً بشكل لا يقبل الشك، أن أهداف أمريكا المزعومة لغزو العراق – القضاء على أسلحة الدمار الشامل ونشر الديمقراطية – إنما كانت أكذوبة كبيرة لتحقيق أهداف أخرى غير معلنة !!.

فبالنسبة لأسلحة الدمار الشامل، فقد اتضح كذب الإدارة الأمريكية فيما يتعلق بهذه المسألة، خاصة بعدما أكد فريق التفتيش الأمريكى الذى أنشأه بوش بنفسه للبحث عن هذه الأسلحة، وبرئاسة صديق قديم له – كما أسلفنا – فى تقريره الصادر بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٤، خلو العراق تماماً من أية أسلحة كيميائية أو بيولوجية أو ذرية، قبل الغزو، كما أكد أيضاً، أنه لم تكن هناك أية نية أو خطة عراقية لتطوير أياً من هذه الأسلحة.

إن الحقيقة التى لا مراء فيها أن هدف الأمريكان كان ولا يزال نهب نفط وثروات وخيرات العراق، وتحويل أراضيه إلى قاعدة انطلاق عسكرية عدوانية لإرهاب وتدجين الأنظمة والبلدان المجاورة للعراق، فى حظيرة خدمة المصالح الأمريكية واحتكاراتها العابرة للقارات.

ومما يؤكد ذلك أيضاً، ما أعلنه الرئيس الأمريكى فى خطابه للشعب الأمريكى بمناسبة الذكرى الخامسة لهجمات سبتمبر، من أن الحرب ضد الإرهاب أكثر من مجرد صراع عسكرى، ووصفها بأنها صراع أيديولوجى فاصل فى القرن الحالى. وأنه ليس صراع حضارات ولكنه صراع من أجل الحضارة، لأن الولايات المتحدة تقاتل للحفاظ على أنماط الحياة التى تتمتع بها الدول الحرة (!!)، وأضاف بوش: أنه سئل كثيراً لماذا غزا العراق مادام لم يكن نظام صدام حسين مسئولاً عن هجمات سبتمبر ؟، وقال: أن الإجابة هى أن نظام صدام كان يمثل تهديداً واضحاً، وأن الإدارة الأمريكية والكونجرس رأوا هذا التهديد (!!)، وأن نظام صدام كان يمثل خطراً بعد هجمات سبتمبر لا قبل للعالم به، وكرر بوش مقولته بأن العالم أصبح أكثر أمناً بعد سقوط نظام صدام. (!!)

وكما هو واضح من خطاب بوش، فإن الحقائق والوقائع لا تهم، وإنما المهم فقط هو ما يراه الكونجرس والإدارة الأمريكية.

أما **بالنسبة لمسألة نشر الديمقراطية،** فإن " درجة العبثية وفساد الذوق فى هذا الادعاء كان من المفروض أن تكون واضحة حتى قبل أن يبدأ الهجوم ... فمنذ متى تقبل دولة كبيرة أن تضحى بالمال والعتاد، ناهيك عن أرواح أولادها، من أجل سعادة ورفاهية شعب صغير لا ينتسب إليها لا برابطة الدم ولا بالثقافة، بل ولا تكف هذه الدولة الكبيرة من زمن طويل عن تحقير ثقافته والإساءة إلى الأمة التى ينتسب إليها ؟، وتاريخ الولايات المتحدة فى تأييد نظم ديكتاتورية فى العالم الثالث أطول من أن يحكى، وكذلك تاريخها فى تدبير الانقلابات الدموية وغير الدموية لقلب نظم ديمقراطية من أجل مصالح مادية بحتة لشركاتها. كما أن الأدلة هى أكثر من أن تحصى على أن مثل هذه المصالح هى أيضاً التى تقف وراء هذا الهجوم على العراق.

كل هذا كان من الممكن استنتاجه حتى قبل أن يقع الهجوم، ولكن الفضيحة الحقيقية حدثت بعد بداية الهجوم، إذ لم تستطع الشركات الأمريكية صبراً، ولم تطق الانتظار حتى تنتهى الحرب ويتم إرساء قواعد الديمقراطية، ثم تبدأ بعد هذا بتوقيع الاتفاقات وإرساء العطاءات التى تعطى الشركات الأمريكية الأولوية على ما عداها فى اقتناص فرص الربح المتولدة عن الاحتلال، بل شرعت القوات المهاجمة فى توزيع العقود وإرساء العطاءات بمجرد دخولها أرض العراق، وأحياناً كانت تعطى عقد المقاولة الخاص بإعادة تعمير مرفق أو إصلاح منشآت أو أنابيب بترول حتى قبل أن يتم تدميرها !!، خوفاً من أن تنازع هذه الشركات شركات أخرى غير أمريكية." [1]

---

[1] د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، مرجع سابق، ص ص ٢٦–٢٧

" وبالفعل صار تعمير العراق والاستثمارات الكبيرة التى يفترضها، الشاغل الرئيسى لأولئك الذين خططوا للغزو. والحقيقة أن الحرب نفسها، بافراطها فى استخدام الأسلحة الذكية، واسرافها فى استخدام الذخيرة الفائقة الدقة، مثلت سوقاً خرافية لعدد من شركات الأسلحة الأمريكية. وعلى وجه الإجمال فإنه خلال عام ٢٠٠٢، ومع توقع اندلاع الصراع المسلح، اشترى البنتاجون من هذه الشركات ما قيمته ٨٠ مليار يورو من الأسلحة، وهو يعادل الإنتاج المحلى لبلد مثل كولومبيا، وقد كلفت هذه الحرب الولايات المتحدة هذا المبلغ الفلكى: ٢ مليار دولار كل يوم، وخلال العشرين يوماً الأولى للقتال أنفقت واشنطن قرابة أربعين مليار دولار، أى ضعف القيمة السنوية لكل النفط الذى تنتجه بغداد، وهو مبلغ يفوق الناتج المحلى الإجمالى الكلى للعراق.

وتواصل واشنطن تأكيد أن التعمير سيتم تأمينه بصورة رئيسية على أيدى الشركات الأمريكية والبريطانية. وتبين القوائم الأولى بالمؤسسات المستفيدة أن الحكومة تريد أن تكافئ فى المحل الأول الشركات التى أسهمت أكثر فى تمويل حملة جورج بوش، دون أن تنسى الرفاق الأثيرين. فعلى سبيل المثال، فإن الرجل الذى قام بوش بتعيينه لعدة أسابيع حاكماً عاماً على بغداد، الجنرال السابق جاى جارنر، هو رئيس مؤسسة سلاح إس واى كولمان المرتبطة بشركة رايثيون من أجل تصنيع صواريخ باتريوت الشهيرة التى تم استخدامها بكل تلك الوفرة أثناء القتال.

مثال آخر: عندما كان ينبغى اطفاء آبار النفط المشتعلة فى جنوب العراق، تم اختيار شركة كيلوج براون آند رووت، التابعة لعملاق الأشغال العامة هاليبيرتون، التى كان مديرها، لأعوام عديدة، ديك تشينى النائب الحالى للرئيس، كذلك كشفت الصحافة أن أحد الأشخاص الذين كانوا الأكثر مطالبة بهذا العدوان ضد العراق، ريتشارد بيرل، الموالى لإسرائيل بشراسة، رئيس مجلس الدفاع فى البنتاجون، كان

يتفاوض آنذاك على امتياز عقود مهمة فى مجال الاتصالات فى العراق الجديد، لصالح شركة جلوبال كروسنج التى يعمل مستشاراً من مستشاريها الرئيسيين." [1]

إذن، فالهدف الحقيقى للأمريكان ليس هو الديمقراطية كما زعموا، وإنما هى المصلحة والمكاسب المادية الضخمة التى كانوا يخططون لاقتناصها والفوز بها والوصول إليها، حتى ولو كان ذلك على جثث العراقيين الأبرياء.

ولكن الفضيحة الأكبر للقوات الأمريكية بعد احتلال العراق، ظهرت عندما رأيناها تفرض حراسة مشددة على وزارة البترول العراقية، حيث الوثائق والرسوم والخرائط الضرورية لإحكام قبضتها على البترول، وفى نفس اللحظة تقف متفرجة لا تحرك ساكناً، وهى تشاهد عمليات نهب متحف الحضارة العراقية، وحرق المكتبة الوطنية فى بغداد، بترتيب خاص بلا شك، مع المسئولين عن الهجوم، لما يحققه هذا النهب والإحراق من فوائد لا تقدر بثمن لإسرائيل على وجه الخصوص، والتى تريد عراق بدون تراث أو ذاكرة. !!

فقد " شهدنا أعمال تخريب همجية بشعة للآثار، سمحت بها القوات الأمريكية، أدت إلى دمار جانب كبير من دلائل كل أمجاد الماضى: نهب متاحف الآثار، واحراق المكتبة القومية، ونهب متحف الفن الحديث، وتدمير الكونسيرفاتوار القومى للموسيقى، واحراق المكتبة القرآنية، وأكثر من خمسة آلاف موقع أثرى. آلاف من قطع متحف بغداد جرى تدميرها، وأكثر من ٧٥ ألف قطعة أثرية جرت سرقتها، مما دفع مارتن سوليفان مستشار الرئيس بوش للثقافة، وجارى فايكان عضو اللجنة الأمريكية للملكية الثقافية، إلى تقديم استقالتيهما بسبب سلبية القوات الأمريكية أمام هذه الأعمال البربرية." [2]

---

[1] ابنياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص ص ١٧٤-١٧٦

[2] المرجع السابق، ص ص١٧٣-١٧٤

ومن الناحية السياسية، فإن العراق بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الأمريكى، أصبح على شفا التقسيم إلى ثلاث دويلات منفصلة، بل أن الكاتب الصحفى المصرى مكرم محمد أحمد يؤكد فى مقال له نشر بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١١، أن العراق قد تم تقسيمه بالفعل ولم يبق إلا الاعتراف بذلك رسمياً، حيث يقول: [1]

لا أظن أن الأمر يحتاج إلى تدقيق النظر كى نتأكد بالفعل أنه فى شمال العراق تقوم الآن بالفعل دولة مستقلة فى كردستان العراق لها حكومتها المستقلة وموازنتها المنفصلة وجيشها المحلى وشرطتها الخاصة، ولها نشيدها الوطنى ويرفرف فى سمائها علمها الكردى بديلاً عن علم العراق.

وفى الجنوب يكاد يقوم إقليم عراقى شيعى يأخذ طريقه حثيثاً نحو الاستقلال، يضم ولايات الشيعة التسع فى جنوب العراق، له ميليشياته المسلحة ويستند إلى دستور رسم خطوطه العريضة بول بريمر أول حاكم مدنى أمريكى بعد سقوط صدام حسين، يسمح لكل اقليم بحق السيطرة على موارده الطبيعية كما يعطى لقرارات الحكومة المحلية أفضلية التطبيق ان تعارضت مع قرارات الحكومة المركزية.

ويكاد يكون السنة فى وسط العراق هم القوة الوحيدة التى ترفض تقسيم العراق وتقاتل ضده فى وجه أغلبية شيعية وكردية. واقع الحال إذن أن التقسيم قد أصبح واقعاً على الأرض، ولم يعد باقياً سوى الاعتراف بحقيقته. وواقع الحال أيضاً يقول أن التقسيم يكرس الآن حرباً أهلية مستعرة بين السنة والشيعة لا تريد أن تهدأ أو تتوقف قبل أن يتم فصل السنة عن الشيعة فى كل الأحياء المختلطة داخل العراق.

ويتساءل مكرم محمد أحمد فى نهاية المقال: هل كان تقسيم العراق ضمن النيات المخبأة منذ بداية الغزو، عمل الأمريكيين على انضاج ظروفه على نار هادئة لضمان نجاحه ؟ ويجيب بأن هذا غير مستبعد، خاصة مع تعمد القوات

---

[1] مكرم محمد أحمد، لم يبق إلا الاعتراف، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/١١.

الأمريكية العمل على تفكيك الجيش والنظام العراقى منذ بداية الغزو، وتعمد وضع قانون تعتبر بنوده الأساسية بمثابة خارطة طريق لتقسيم العراق، وتفكيك وحداته إلى حد يجعل فى إمكان كل ولاية أن تشكل اقليماً بذاتها !!.

والنتيجة، أنه بعد ثلاث سنوات من الاحتلال، أصبح الفشل هو اللافتة المرفوعة على أرض العراق، وانعدام الأمن هو السمة السائدة فى أرض الرافدين، حيث " لا تشرق شمس صباح يوم جديد علي هذا البلد المنكوب بابنائه ومحتليه بدون سماع دوي انفجار القنابل والسيارات الملغومة وسقوط الآلاف من القتلى المدنيين بلا ذنب ولا جريرة. ولن يكون من التجاوز القول بأن العراق عملياً يعيش وسط حرب أهلية غير معلنة بين الشيعة والسنة، بفضل تأجيجها وعن عمد من جانب الولايات المتحدة التي غذت النعرة الطائفية اعتماداً علي أن الشيعة ظلموا لعقود متتالية في عهد صدام وأن من حقهم تعويضهم عما فات بايصالهم لسدة الحكم. وبعد خراب مالطا كما يقولون فوجئت أمريكا بأنها ساعدت علي تقوية شوكة الشيعة، الذين تحولوا لمخلب قط تستغله إيران وقتما تشتهي مع اشتداد تأزم نزاعاتها مع واشنطن والغرب.

وفي الشق العملي فشلت الحكومة العراقية المطعون جماهيرياً في ولائها للعراق، وفي استقامة شخوصها، ومهما فعلت حكومه نوري المالكي وغيرها يكاد يستحيل أن تفوز برضا العراقيين، مع تقديم عناصرها الولاء للطائفة والقبيلة علي ما عداه، حتى ولو كان مستقبل العراق. والفشل كذلك كان من نصيب القوات المتعددة الجنسيات بقياده القوات الأمريكية، التي لم تستطع وقف العنف، حتى مع تذرعها بحجج شتي حاولت من خلالها المداراة علي تخبطها واخفاقها. فحيناً تذرعت بأن صدام قبل اعتقاله ومعاونيه يقفون خلف أعمال العنف، وحيناً آخر أن أبو مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم القاعدة في العراق مسئول عنها، وها هو الزرقاوي قتل منذ مدة، ومع هذا تزيد نار العنف اشتعالا. وتتكبد أمريكا الخسائر البشرية يومياً، وتبحث عن باب للخروج من المستنقع العراقي مع محافظتها علي

ماء وجهها المفقود. ولذا نراها دوما تعلن أن انسحابها المبكر سيلحق ضرراً بالغاً بالعراق وستظهر فيه دولة إرهابية. أما عن خزي وجرائم وانتهاكات الجنود الأمريكيين بحق المدنيين العزل فحدث بلا خجل، ويضاف إليها إخفاء وطمس أدلة تثبت جرائمهم المشينة."[1]

وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة كما يقولون، فقد اعترف الرئيس الأمريكى جورج بوش بفشل سياساته فى العراق، وبأنها ليست ناجحة بالشكل الكافى، عقب هزيمة حزبه الجمهورى أمام الديمقراطيين فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى والتى جرت فى السابع من نوفمبر ٢٠٠٦، كما اعترف وزير دفاعه المقال دونالد رامسفيلد بأن الجهود الأمريكية لإحلال الاستقرار فى العراق لا تسير على نحو طيب !!.

وهكذا يبدو واضحاً، أن الرئيس الأمريكى جورج بوش الذى فقد ثقة الرأى العام الأمريكى فى أن يكون قادراً على النهوض بأعباء منصبه، قد فشل أيضاً فى اقناع الأمريكيين المنقسمين على أنفسهم بوجود علاقة حقيقية بين حربه على العراق وحربه على الإرهاب، أو دفعهم للتوحد مرة أخرى خلف سياسات إدارته كما فعلوا عقب أحداث ١١ سبتمبر، أو استعادة بعض من هذا التعاطف العالمى الواسع الذى حظيت به الولايات المتحدة عقب تلك الأحداث.

وأخيراً، يرى الدكتور رءوف عباس – أستاذ التاريخ ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – أنه إذا كانت المقاومة الشعبية فى بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وراء إعاقة تحرك قوى العدوان لاحتلال منطقة القناة كلها حتى السويس واسقاط النظام الثورى الذى جرؤ على قاعدة المصالح الاستعمارية (قناة السويس) واستردها من الغاصبين. فإنه وبعد خمسين عاماً من هذا الحدث التاريخى العظيم، جاءت المقاومة العراقية لتُفشل المشروع

[1] محمد إبراهيم الدسوقى، مرجع سابق.

الامبراطورى الأمريكى الذى كان يخطط لاحتلال سوريا ثم إيران بعد نجاحه فى احتلال العراق، حتى يعيد رسم خريطة الشرق الأوسط بما يخدم المصالح الصهيوأمريكية.

فلم يفت الدمار الذى أصاب العراق ومئات الألوف من الشهداء فى عضد المقاومة، كما لم تنجح اختراقات الموساد وإثارة الفتن الطائفية فى جعل جيش الاحتلال الأمريكى ينعم بالراحة، فحولت المقاومة العراق إلى مستنقع غاصت فيه أقدام المحتلين وكلفتهم نحو الثلاثة آلاف قتيل وما يزيد على العشرين ألف جريح ومعوق. ولولا المقاومة العراقية الباسلة لما سارت الأمور على هذا النحو، ولما مات مشروع الشرق الأوسط الجديد قبل أن يولد.

فقد حددت المقاومة العراقية – فى واقع الأمر – نهاية المشروع الامبراطورى الأمريكى تماماً كما حدث لبريطانيا فى حرب السويس قبل نصف قرن. وهذه النتيجة ليست من اجتهادى – يقول الدكتور رءوف عباس – ولكنها خلاصة ما توصل إليه ريتشارد هاس – رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية – فى مقال له نشر الأسبوع الماضى فى مجلة الشئون الخارجية، حيث يرى أن السياسة التوسعية الأمريكية قد فشلت بسبب المقاومة العراقية التى جعلت من العراق (سويس) أخرى بالنسبة لأمريكا على حد تعبيره. [1]

ثالثاً: القاعدة بعد ٥ سنوات:

من الصعب اعتبار ١١ سبتمبر ٢٠٠١ هو تاريخ اندلاع المواجهة بين القاعدة والولايات المتحدة الأميركية، فقد كانت المواجهة قائمة بين الطرفين قبل ذلك بسنوات، تحديداً منذ إعلان أسامة بن لادن وأيمن الظواهري عن تشكيل الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين في يناير ١٩٩٨.

---

[1] د. رءوف عباس، المجد للمقاومة، جريدة الكرامة المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/٢١.

بل إن مزيداً من التدقيق قد يفضي بنا إلى أن المواجهة قد بدأت منذ طرد أو إخراج أسامة بن لادن من السودان، ودفعه إلى العودة إلى أفغانستان عام ١٩٩٦، ومن ثم مبايعته للملا محمد عمر والشروع في تفكير جديد يتمثل في اعتبار الولايات المتحدة أصل الشرور في المنطقة، وأنها هي لا غيرها العدو الألد للأمة الإسلامية، ليس فقط تبعاً لاستهدافها الإسلام والمسلمين، بل أيضاً بسبب دعمها للأنظمة الفاسدة في العالم العربي التي تقوم بمهمة المواجهة مع الظاهرة الإسلامية.

ومن عمليات نيروبي ودار السلام أغسطس ١٩٩٨ إلى عملية المدمرة كول في ميناء عدن عام ٢٠٠٠، أطلق أسامة بن لادن حربه ضد الولايات المتحدة. وفي الإستراتيجية الكامنة تقول أدبيات القاعدة إن أسامة بن لادن قد سعى إلى استدراج الولايات المتحدة إلى ساحات قريبة يكون بوسعه استنزافها فيها استناداً إلى تجربة ضرب الإمبراطورية السوفيتية في أفغانستان، وفي استعادة تجربة هزيمة الولايات المتحدة في الصومال. ومما ينقله بعض القريبين من دوائر حركة طالبان والقاعدة أن الملا محمد عمر كان على علم بهجمات ١١ سبتمبر، وأنه وافق عليها قناعة منه بأن الحرب على دولته وصولاً إلى إسقاطها كانت واقعة لا محالة تبعاً لرفضها التبعية للخيارات الأميركية. خلاصة القول أن حرب الولايات المتحدة على القاعدة تحت مسمى الحرب على الإرهاب كانت قائمة قبل هجمات ١١ سبتمبر، لكنها أخذت شكلا آخر بعد ذلك التاريخ. (1)

ومنذ اندلاع المواجهة العالمية بين الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة " اعتادت الإدارة الأمريكية على الحديث عن أنها قتلت أو أسرت ثلثي قادة تنظيم القاعدة منذ الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١. لكن هذه الأرقام تبدو غير ذات صلة في ضوء تكيف القاعدة مع الأوضاع الجديدة، حيث برز جيل جديد من المسلحين والقادة خلال السنوات القليلة الماضية، بالاضافة إلى حقيقة بقاء أبرز قادة التنظيم طلقاء." (2)

---

(1) ياسر الزعاترة، مرجع سابق.

(2) كوريرا جوردن، هل تحقق أمريكا انتصارات فى الحرب على الإرهاب، مقال منشور على موقع: www.news.bbc.co.uk

ورغم أن وكالات المخابرات الغربية تدعى أن منظمة القاعدة قد تلقت ضربات قاسية، لكنها تعترف أيضاً أنها لازالت قادرة على ممارسة نشاطاتها، كما أنها أصبحت مصدر حفز وإلهام لمنظمات أخرى تشاركها نفس أهدافها.

والحقيقة " أن الولايات المتحدة وفرت كل الظروف المادية والسياسية لتوسيع مجال الإرهاب وإعطاء فرص أقوى لتشكيل قواعد جديدة لتنظيم القاعدة. ذلك أن قرار الولايات المتحدة غزو العراق وتفكيك أجهزة الدولة العسكرية والأمنية والمدنية سهل على تنظيم القاعدة ليس فقط توسيع مجال عملياته خارج بيئة أفغانستان، بل اتخاذه من العراق مجالاً مركزياً لمواجهة أمريكا بغاية تحقيق من الانتصارات ما لم يستطعه في أفغانستان. وعلى هذا الأساس تشكل فرع القاعدة لبلاد الرافدين. ورغم أنه امتداد لتنظيم القاعدة إلا أنه يمتلك من المقومات وأساليب القتل والتدمير ما لم يعتده العالم مع تنظيم القاعدة الأصلي في أفغانستان، الأمر الذي يوحي بأن فرع العراق هو تنظيم مواز لتنظيم القاعدة لكنه أشد خطراً .

إذن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أمام أوضاع جديدة في العراق لا تزيد تنظيم القاعدة إلا قوة مقابل سلسة الهزائم وحجم الخسائر التي تراكمها الولايات المتحدة أكبر قوة عسكرية في العالم. بل إن فشل العمليات العسكرية في القضاء على أعضاء تنظيم القاعدة وضع الولايات المتحدة في مأزق يمس مباشرة كبرياءها أكثر مما فعلت حربها على فيتنام. ذلك أن هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام كانت ضد شعب مسنود من أنظمة. أما هزيمتها في العراق فهي ضد تنظيم لا تسنده أية قوة إقليمية أو دولية." **(1)**

ويرى الدكتور على الطراح – أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت – أن " القاعدة حققت انتصارات تمثلت في تغيير خريطة العالم واستراتيجية الأمن القومي

---

(1) سعيد الكحل، أحداث سبتمبر واستراتيجية نشر الإرهاب، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١١ على موقع: www.rezgar.com

لكثير من البلدان وتسببت أعمالها في زيادة الإنفاق المالي على نظم الحماية الأمنية. وجعلت العالم في حالة تأهب دائم. والأكثر من ذلك استطاعت القاعدة أن تهز ديمقراطيات عريقة في العالم وجعلتها تغير من قوانينها ودساتيرها العريقة فقلصت من الحريات العامة التي كفلتها هذه الدساتير. فالولايات المتحدة الأمريكية تغيرت أوضاعها القانونية الخاصة بموضوع الحريات العامة، وأصبح الاعتقال دون توجيه الاتهام أمر لا غبار عليه بل وصل الأمر إلى التنصت وتضييق حرية الاجتماع. كما هو الحال في بريطانيا وبلدان أخرى التي أثرت فيها هجمات القاعدة وجعلتها تلجأ إلى مزيد من التضييق على الحريات العامة. ربما يرد علينا البعض بقوله إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما ترتب عليها يبرر تلك الإجراءات، إلا أننا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى. فالعالم الحر كما يقال قدم كثيراً من التضحيات لما وصل إليه، وكان يفترض فيه أن يبحث عن بدائل أخرى توفر الحماية دون الإضرار بالثوابت. فالديمقراطيات العريقة لا تتراجع عن انجازاتها بل دائما تسعى لتطويرها لمزيد من الضمانات لقيم الحرية الإنسانية، وهذا لم يحدث مع حالة الحرب على الإرهاب.

نحن أمام حرب جديدة، حرب لا ينتصر فيها من يملك التقنية الحديثة، فالسلاح الذي تحارب به القاعدة هو الموت. الموت هو الوسيلة والغاية، فهم تواقون لفكرة الموت بقدر ما الطرف الآخر يتوق للحياة، إذن نحن أمام معادلة غير متوازنة، إذ لا يمكن أن تنتصر التقنية الحديثة التي يملكها العالم المتقدم على القاعدة وأنصارها طالما العالم الحر أو المتقدم الذي تتزعمه الولايات المتحدة يستخدم الأدوات الخاطئة في حربه على الإرهاب. والقاعدة تشعر بالفرح لما وصل إليه العالم الحر من تراجع في الحريات العامة، بل هي تعتبر التغيير في القوانين بمثابة انتصار لها وأنها أجبرت العالم الحر على القبول بمنطقها." [1]

[1] د. على الطراح، من المنتصر فى الحرب على الإرهاب، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٦/٥/٨

وفى دراسة حديثة أصدرها المعهد الملكى للشئون الدولية فى بريطانيا بمناسبة ذكرى هجمات ١١ سبتمبر تحت عنوان (القاعدة بعد ٥ سنوات .. التهديد والتحديات) [1] أوضحت الباحثة والخبيرة فى شئون الشرق الأوسط مها عزام، أنه على الرغم من التراجع في شعبية القاعدة، إلا أن هناك تزايد في ظواهر التشدد في الشارع الإسلامي، ولكنه يعبر عن نفسه في إطار الجماعات الإسلامية، التي تسعى وتحرص على استعمال الآليات الديمقراطية في التعبير عن نفسها. كما اعتبرت أن أهم ما نجحت فيه القاعدة هو تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين السياسات الغربية في الشرق الأوسط والإرهاب. وأوضحت الباحثة أن قوة القاعدة ليس في خطابها الديني وإنما في رسالتها السياسية التي تعبر فيها عما يعتمل في الشارع العربي من غضب إزاء السياسات الغربية. كما نبهت إلى أن الغرب يواجه تحدي الإرهاب داخل حدوده، وهو تحدي ستكون له تداعياته على العلاقات بين مختلف الجاليات، وعلى الحريات المدنية.

واعتبرت الدراسة أن القاعدة وبعد ٥ أعوام على هجمات سبتمبر، تعرضت لضربات موجعة، أضعفت من قدراتها العسكرية إلى حد كبير، بل وأفقدتها الكثير من الشعبية في مناطق من العالم الإسلامي. بيد أن الباحثة تنقل عن نشطاء في القاعدة أن نجاة زعيما التنظيم، أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري من محاولات القتل المتتالية التي استهدفتهما هي في حد ذاتها انتصار للقاعدة. إلى جانب ذلك، يمثل ظهور مجموعات من الإرهابيين في الدول الغربية ينفذون أعمالاً إرهابية، على غرار ما وقع في العاصمة الإسبانية مدريد، ثم في العاصمة البريطانية لندن، تحدياً ومشكلاً حقيقياً يتجاوز مجرد المشكلات الأمنية، ليطال إشكاليات أخرى، تمس السياسات نفسها.

وتعتقد الباحثة أن جماعة القاعدة كتنظيم قد تم إضعافه إلى حد كبير، لاسيما بعد الحرب على أفغانستان، المعقل الرئيسي للتنظيم، وما تبعها من إجراءات حازمة جداً على

---

[1] انظر عرض لهذه الدراسة على موقع: www.qudspress.com

الصعيد الدولي. وعلى الرغم من المؤاخذات القانونية والحقوقية التي سجلت ضد السياسة الأمريكية والإجراءات التي اتبعتها في التعامل مع القاعدة، كفتح معتقلات سرية، وأخرى غير سرية كجوانتنامو، وما صاحبها من إجراءات أمنية صارمة داخل البلاد وخارجها، إلا أن ذلك ساعد إلى حد كبير في إضعاف القاعدة، وأوهن من قدرات خلاياها التي كانت تفكر في تنفيذ هجمات جديدة.

ولكن ورغم كل تلك النجاحات في التضييق وإفشال العديد من المخططات الإرهابية في العالم، إلا أن استمرار الهجمات هنا وهناك، يكشف عن فشل الأجهزة الأمنية ذات الإمكانيات المتطورة جداً في القضاء على تلك الجماعات، التي تبرز هنا وهناك، مفاجئة خصومها بتكتيكات جديدة وغير تقليدية. إضافة إلى إن استمرار العمليات الإرهابية، يرجع أيضاً إلى تزايد انتشار ظواهر التشدد والتطرف في العديد من الدول الغربية، بسبب بعض السياسات المتبعة.

وكما يؤكد المحلل السياسى المصرى ضياء رشوان فقد شاعت أفكار القاعدة فى كثير من الدول لتجذب الآلاف من الشباب إليها وتتحول إلي نموذج سعي بعض من هؤلاء إلي محاكاته في الدول والمجتمعات التي يوجدون فيها وبحسب الامكانيات المحلية المتوافرة لهم في الحرب التي يخوضونها من جانبهم ضد التحالف الغربي. ولا تقتصر العمليات التى تشنها تلك الجماعات الدائرة فى فلك القاعدة على دول التحالف الغربى ضد الإرهاب، وإنما تمتد لتشمل الدول الإسلامية والعربية أيضاً. وقد أوضحت تفاصيل تلك العمليات الإرهابية والتحقيقات التي أجريت حولها أنه ليس هناك صلة تربط بين القائمين بها في كل بلد أو منطقة ومن قاموا بعمليات مشابهة لها في بلدان ومناطق أخري بعيدة عنها، وأنه لا صلة تربط بين كل هؤلاء وتنظيم القاعدة. [1]

---

[1] ضياء رشوان، الإرهاب من المواجهة الغربية إلى المواجهة العالمية، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٨/١٤.

وهو نفس الأمر الذى تؤكده مها عزام فى دراستها، من أن الكثير من تلك المجموعات لا ترتبط بصلات تنظيمية حقيقية مع القاعدة، وإنما كل ما فى الأمر أنها تحمل فكرها ومنهجها فى العمل، وبالتالى أصبح رصد تلك المجموعات ينطوى على صعوبة كبيرة.

واعتبرت الباحثة أن الأوضاع السياسية المأزومة في الشرق الأوسط، لاسيما في فلسطين، والعراق ولبنان، واستمرار الأنظمة الحاكمة في المنطقة كلها ساهمت في تقوية وإعطاء تبرير للكثير من الغاضبين للجوء إلى العنف كأسلوب للتعبير عن رفض الواقع والاحتجاج عليه. ومما زاد من تعقيد الوضع في المرحلة التي تلت هجمات سبتمبر على الولايات المتحدة، احتلال العراق، الذي بدلاً من أن يتحول إلى نموذجاً للدولة الديمقراطية المسالمة، تحول إلى خلفية وقاعدة رئيسية لتنظيم القاعدة، الذي فقد معقله الأساسي في أفغانستان. بل وظهر مقاتلو القاعدة في العراق لا كإرهابيين، وإنما كمقاتلين للاحتلال الأجنبي.

ورغم مقتل أبو مصعب الزرقاوى قائد تنظيم القاعدة فى العراق، فى غارة جوية أمريكية ناجحة بعد معلومات استخباراتية عن تواجده فى اجتماع سرى مع بعض أعوانه، إلا أن ذلك لم يحد من نشاط القاعدة فى العراق، فبعد مقتل الزرقاوى بعدة أسابيع، ظهر شريط فيديو لخليفته فى قيادة التنظيم يبرز تدريبات قتالية عالية لأعضاء القاعدة فى العراق، ويتعهد باستمرار القتال ضد العدو الأمريكى، ويتوعده بخسائر أكبر وعمليات أضخم من عمليات ١١ سبتمبر.

وتؤكد دراسة مها عزام أن سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها الدول الغربية، تثير غضب وسخط الكثير في الشارع العربي والإسلامي، لدرجة أن الكثير من الرأي العام في المنطقة، من الإسلاميين وحتى من العلمانيين، يبرر العمليات الاستشهادية في فلسطين، ويعتبرها سلاح الضعيف في مواجهة القوي. وفيما يبدو فإنه بقدر ما فشلت القاعدة في استقطاب الغالبية من الرأي العام الإسلامي، الذي يفضل العمل السلمي، فإنها نجحت بخطاب تعبوي، يلامس قضايا جوهرية في

إحداث إرباكات كبيرة في الأوضاع القائمة، سواء فيما يتعلق بأوضاع الأنظمة العربية، أو فيما يتعلق بعلاقة تلك الأنظمة بالولايات المتحدة، التي ظهرت بشكل فج وغير مسبوق. وأخيراً تؤكد الباحثة أنه رغم فشل تنظيم القاعدة في التحول إلى حركة جماهيرية، إلا أنه بقي بحسب وصفها حركة إرهابية، استطاعت أن تعبر عن هموم الغالبية المسلمة.

وهكذا يمكننا القول فيما يخص تنظيم القاعدة وخطابها المناوئ للسياسة الأمريكية، إن الأمور تسير على نحو يستحق الاحتفاء من قادتها، من الفشل في الوصول إلى قادتها، إلى ما يجري في العراق وأفغانستان من استنزاف للولايات المتحدة، إلى التخبط الأمريكى الإسرائيلي على مختلف الأصعدة.

وكل ذلك مما يرضي قادة القاعدة الذين يبدون سعداء بتحولات المشهد، ويطلون بين الحين والآخر صوتا أو صورة يناكفون قادة واشنطن ويعرون خطابهم. ومن المؤكد أن برنامج القاعدة القائم على رفض الهيمنة الأميركية على المنطقة والعالم، ورفض التدخل في شؤون المسلمين وسواهم قد غدا أكثر انتشاراً، بدليل ما يحدث في أميركا اللاتينية، وبدليل الوعي الشعبي الواسع بهذه المعادلة في شتى أنحاء العالم. بل إنه بالإمكان القول إن الكراهية التي تعاني منها الولايات المتحدة في العالم العربي والإسلامي لم تتوفر في أي وقت من الأوقات، مما يعني أن مشاريعها ستمضي من فشل إلى آخر، في مقابل تقدم الخطاب الآخر، خطاب القاعدة.

رابعاً: **تصاعد المواجهة مع الإسلام**:

بعد أسبوع واحد من أحداث سبتمبر كتب الكاتب الصحفى المصرى صلاح الدين حافظ فى جريدة الأهرام المصرية عدد ٢٠٠١/٩/١٩ قائلاً: " إن ما جري من كابوس يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ورد الفعل الأمريكى والأوروبي عليه، قد حقق الهدف الاستراتيجي، الذي تصوره البعض ضد أمريكا وهو بالفعل كذلك من الناحية الظاهرية، ولكنه حقق الهدف الاستراتيجي ضد العرب والمسلمين عامة،

لأنه أحيا وأعاد إنتاج منظومة العداء لكل ما هو عربي ومسلم، فيما أصبح يعرف بظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب!. وها هي آلة الاعلام والدعاية الجبارة، تدور بقوة رهيبة في الغرب الأوروبي الأمريكي، مركزة حملة عداء وكراهية مهولة ضد الوحوش البرابرة أي ضد العرب والمسلمين عموما، المتهمين بارتكاب الهجمات الإرهابية علي مراكز القرار والهيبة والقوة في نيويورك وواشنطن، وهي حملة لا أظن أنها ستخمد أو تتوقف في المستقبل المنظور، لكنها بالقطع وطبقاً للمزاج العام السائد ستستمر طويلاً وتتعمق كثيراً في المستقبل البعيد، لأنها مقصودة ولأن نتائجها مطلوبة الآن وغداً !!."

وهو ما حدث بالفعل، حيث تصاعدت موجات الكراهية والعداء فى الغرب ضد العرب والمسلمين، وزادت حدة الإسلاموفوبيا التى تجتاح العالم الغربى خلال السنوات الخمس الماضية بشكل غير مسبوق.

و" الإسلاموفوبيا ظاهرة أذكت نيرانها جملة الأحداث الإقليمية والدولية التى شهدتها منطقة الشرق الأوسط فى بدايات الألفية الثالثة من عمر الإنسانية ومعناها: الخوف المرضى وغير المبرر من الدين الإسلامى، فأى شخص يدين بهذا الدين سيكون بالضرورة – وبحسب هذا المعنى – مجرماً وإرهابياً، ومن ثم يتعين الحذر منه والابتعاد عنه." [1]

وفى دراسة للكاتب المصرى **علاء بيومى** بعنوان (صعود الإسلاموفوبيا فى المجتمعات الغربية)[2]، يؤكد أن المراجعة السريعة لتكرار ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا في بعض أشهر الجرائد الغربية يكشف عن الزيادة المطردة في استخدامه خلال السنوات الخمس الأخيرة بشكل عام وفي العام الحالي بشكل خاص.

---

[1] د. سعيد اللاوندى، الإسلاموفوبيا .. لماذا يخاف الغرب من الإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٦. ص٩

[2] علاء بيومى، صعود الإسلاموفوبيا فى المجتمعات الغربية، دراسة منشورة على موقع: www.aljazeera.net

استخدام وسائل الإعلام الغربية لمصطلح الإسلاموفوبيا يرتبط في العادة بظواهر عدة مثل وقوع أو إحباط أحداث إرهابية تستهدف المجتمعات الغربية، مما يثير تساؤل الغربيين حول وجود توجهات معادية للغرب وسط الأقليات المسلمة بالبلدان الغربية، وحول توجهات المجتمعات الغربية ذاتها تجاه الإسلام والمسلمين.

وعن **معنى ومظاهر الإسلاموفوبيا** فى الغرب يقول علاء بيومى أن شيوع مصطلح الإسلاموفوبيا هو في حقيقته انعكاس لتنامي ظاهرة يبحث لها الغرب عن تسمية، وقد يختلف البعض حول دقة المصطلح، ولكن هناك شعوراً متزايداً بالظاهرة نفسها. ظاهرة الإسلاموفوبيا ترتبط بتنامي المشاعر السلبية تجاه الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية وتشكل هذه المشاعر أساساً لانطلاق سلوكيات غربية مجحفة بحقوق الأطراف المسلمة. ظاهرة الإسلاموفوبيا على المستوى الفكري ترتبط بنظرة اختزالية للإسلام كدين وكثقافة من خلال تصور الإسلام كمجموعة محدودة وجامدة من العقائد التي تحض على العنف والرجعية والنظرة السلبية للآخر وترفض العقلانية والمنطق وحقوق الإنسان، وهي معتقدات يؤكد المصابون بالإسلاموفوبيا أنها انعكاس مباشر لرسالة الإسلام نفسها، كما تظهر في القرآن الكريم وفي سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وينظر المصابون بالإسلاموفوبيا إلى المسلمين على أنهم مجموعة واحدة تؤمن بتشدد بالفهم الاختزالي السابق للإسلام، وهم منخرطون في حركة سياسية عالمية لفرض هذه الرؤية على الآخرين في حرب حضارية لا تتوقف. وانطلاقاً من الرؤى السابقة يرى المصابون بالإسلاموفوبيا أن العداء للإسلام والمسلمين والتحيز ضدهم أمر طبيعي ورد فعل تلقائي على طبيعة المسلمين الشريرة، لذا فهم يساندون التمييز ضد المسلمين وحشد قوى الغرب في حرب ضد الإسلام وأتباعه.

وبالطبع تمثل المعتقدات السابقة أساساً لتصرفات تمييزية ضد المسلمين، وقد تأخذ هذه التصرفات صورة المطالبة بسياسات تحد من حقوق وحريات مسلمي الغرب المدنية، أو تخضعهم لمراقبة متزايدة من قبل السلطات الأمنية، وقد تأخذ

صورة انتشار لمشاعر سلبية تجاه المسلمين داخل المجتمعات الغربية كرفض العيش بجوار جيران مسلمين ورفض بناء المساجد والمؤسسات المسلمة. وقد تنفجر أحياناً في صورة أحداث عنف وتمييز وجرائم كراهية ضد المسلمين، وهي أحداث توثقها بعض المنظمات المسلمة ومنظمات الحقوق المدنية الغربية.

أما عن **أسباب تنامى هذه الظاهرة** مؤخراً فيؤكد الباحث علاء بيومى أن هناك قراءات مختلفة لأسباب صعود ظاهرة الإسلاموفوبيا خلال الآونة الأخيرة، منها قراءة ثقافية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا هو انعكاس لمشاعر سلبية عميقة دفينة في وعي المواطن الغربي ضد الإسلام والمسلمين، وتعبير عن تحيز تاريخي وثقافي ضد الإسلام كدين وضد المسلمين وحضارتهم.

وقراءة ثانية ترى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا هي نتاج لبعض الأحداث الدولية التي أثرت بقوة على العلاقات بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية خلال السنوات الأخيرة، وعلى رأس هذه الأحداث هجمات ١١سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية وما تبعها من هجمات إرهابية – رفع مرتكبوها شعارات إسلامية – ضربت مجتمعات غربية مختلفة مثل إسبانيا وبريطانيا. إضافة إلى بعض المشكلات الثقافية الدولية التي أثرت سلباً على العلاقات الإسلامية – الغربية، مثل أزمة الرسوم الدانماركية، وأزمة تصريحات البابا بنديكت السادس عشر، وأزمة الحجاب في فرنسا، وتصريحات بعض القيادات الغربية الدينية والسياسية المسيئة إلى المسلمين.

أما القراءة الثالثة المطروحة في هذا المجال فهي قراءة سياسية اقتصادية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا خلال السنوات الأخيرة انعكاس لبعض التغيرات المجتمعية الكبرى التي لحقت بالمجتمعات الغربية والإسلامية خلال العقود الأخيرة، وعلى رأس هذه التحولات تراجع قوى اليسار الغربي التقليدية التي سادت خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وصعود قوى اليمين الثقافي والديني في الغرب والعالم الإسلامي خلال الفترة ذاتها.

وينتقد الباحث القراءة الثقافية لظاهرة الإسلاموفوبيا فى طبيعتها القدرية التي تفترض أن الخلاف الثقافي بين المسلمين وأبناء المجتمعات الغربي خلاف حتمي، وتكاد تعفي المسلمين من مسؤولية فهم المجتمعات الغربية وتفاصيل ما يدور فيها. كما تعفيهم من سبل توعيتها بصورة الإسلام الصحيحة خاصة في ظل تنامي أعداد المسلمين في الدول الغربية، وانفتاح أعداد متزايدة من أبناء تلك المجتمعات على فهم الإسلام والمسلمين، وتنامي قوى العولمة والاتصالات بما يسهل عملية التواصل مع الآخر وتوعيته.

كما يعيب القراءة الثانية أنها تقتصر على الأحداث المادية وتصورها منزوعة عن سياقها وكأنها ولدت لحظياً وليست نتاجاً لتراكمات حدثت عبر عقود. لذا فهو يرى أن القراءة الثالثة تمثل أسلوباً أكثر ديناميكية لفهم أسباب صعود ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية خلال العقود الأخيرة.

وهي قراءة ترى أن للمسلمين والعرب دوراً يمكن أن يلعبوه للتأثير على مسار تلك الظاهرة الخطيرة. وعلى رأس هذا الدور التحالف – على المدى البعيد – مع قوى اليسار الغربي لإحياء الأجندة اليسارية القائمة على نشر قيم العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الآخرين والأقليات. ويكون ذلك عن طريق فهم طبيعة هذه الأجندة، وما تعنيه على المستويات المختلفة، والتوفيق الإيجابي غير التلفيقي بين عناصر تلك الأجندة والفكر الإسلامي على مختلف المستويات بما في ذلك المستويات الفكرية والأخلاقية. أما على المدى القريب والمتوسط، فيمكن أن يلعب العالم الإسلامي دوراً في مكافحة الإسلاموفوبيا على مستويين أساسيين، **أولهما** تبني بعض البرامج العلمية المنظمة لتوعية المواطن الغربي على نطاق واسع ومدى طويل نسبياً، بصورة الإسلام والمسلمين الصحيحة. **وثانيهما** التعاون مع الأقليات المسلمة في الدول الغربية لتأهيل وتدريب أكبر عدد من السفراء المدنيين القادرين على تقديم صورة الإسلام الصحيحة للمواطن الغربي بشكل يومي ومحلي ومؤسسي منظم. فبدون عدد كاف من هؤلاء السفراء وبدون اضطلاعهم بدورهم المنتظر في

التواصل مع نظرائهم الغربيين على أرض المجتمعات الغربية ذاتها، تكاد تكون مواجهة الإسلاموفوبيا أمراً بعيد المنال إن لم يكن مستحيلاً.

ويؤكد الكاتب السورى **الدكتور هيثم مناع** أن موضوع الحرب على الإرهاب شكل " الغطاء الإيديولوجي لكل نزعات العداء تجاه العرب والمسلمين، وحقق حالة شك عام بالجاليات الإسلامية في الغرب وأعاد فكرة تفوق الثقافة الغربية والإنسان الغربي وازدراء الآخر. حيث يصبح هذا الآخر لطيفا فقط عندما يكون عبداً، وبقدر ما بحث عن استقلاليته الاعتبارية والثقافية والسياسية بقدر ما كان موضوع شك وريبة وبالتالي محاصرة. ومن هنا فالإرهاب الحقيقي اليوم ليس نتاج مجموعات صغيرة موزعة في أرجاء المعمورة بقدر ما هو سياسة دولة عظمى تعتبر العنف الوسيلة الفضلى والأسرع لتحقيق برنامج إعادة معالم السيطرة في البطن الرخو المدعو بالعالم العربي." [1]

والحقيقة التى لا شك فيها أن ظاهرة العداء للإسلام والمسلمين، ليست نتاج أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية وإنما هى سابقة على ذلك بكثير، حيث تضرب بجذورها العميقة، فى العقل الجمعى الغربى بأسره. وتقرر هذه الحقيقة المؤلفة البريطانية كارين أرمسترونج صاحبة كتاب (محمد) قائلة: " إن علينا أن نتذكر أن الاتجاه العدائى ضد الإسلام فى الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية التى بدأت فى التشكل مع عصر النهضة والحملات الصليبية، وهى بداية استعادة الغرب لذاته مرة أخرى." [2]

---

[1] د. هيثم مناع، مرجع سابق.

[2] وسوف نناقش تفصيلياً بإذن الله أسباب هذا العداء وجذوره وتطوره حتى بلغ ذروته بعد أحداث سبتمبر الإرهابية فى مطلع الألفية الثالثة، فى كتابنا القادم **(لعبة خلط الأوراق .. مقاومة الإرهاب أم إرهاب المقاومة ؟!)**.

ويكفينا للتدليل على ذلك هنا، أن نورد نموذجين للكتابات المحرضة ضد الإسلام والمسلمين، والتى ساعدت فى إذكاء روح العداء ضد المسلمين، وتصاعد حدة الإسلاموفوبيا فى الغرب.

ففى دراسة قدمها عام ١٩٩٧ المستشرق اليهودى برنارد لويس وهو الرجل المعروف بأنه جليس المحافظين الجدد الكبار وصفيهم ومرشدهم الفكري. قال: «إن الإرهاب يكمن في صميم العقيدة الإسلامية التي يعتنقها المسلمون. وإن الشعوب العربية والإسلامية قد اعتادت الاستعمار ولا تستطيع الاستغناء عنه. فحين انحسر الاستعمار في القرن العشرين، واجهت الأنظمة في العالم العربي الإسلامي مشكلة غياب القوى الاستعمارية التي كانت توجه شؤونها ومصائرها.. والنتيجة هي: أن المنطقة العربية ما زالت تستجدي وتطالب بتدخل القوى الأجنبية في كل قضية من قضاياها. ومن هنا يجب إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، والاعتماد في ذلك على اسرائيل باعتبارها رهان المستقبل».

كما يقول المفكر الأمريكى صموئيل هنتنجتون فى كتابه الأخير (من نحن؟.. تحديات الهوية الوطنية الأمريكية) وهو يتحدث عن دور الإسلام كدين وحضارة في تحديد معالم الهوية الأمريكية في الحاضر والمستقبل. قال: «ان العداء للإسلام والحضارة الإسلامية، ودخول أمريكا في حروب مع دول وجماعات مسلمة في السنوات القادمة، عوامل من شأنها أن توحد صفوف الأمريكيين من جديد، وأن تجعلهم يعثرون على هويتهم المفقودة والمتمثلة في خصائص أربع هي: العرق الأبيض.. والاثنية الانجليزية.. والدين المسيحي البروتستانتي.. والثقافة الانجليزية البروتستانتية».[1]

ولا يقتصر الأمر على المستشرقين والكتاب، وإنما " تنتشر فى الغرب التصريحات المسيئة للإسلام والمسلمين على لسان السياسيين وصناع القرار أيضاً.

---

[1] زين الدين الركابى، مرجع سابق.

فمثلاً: شن شارلى هاجن – رئيس الحزب التقدمى النيرويجى – هجوماً على المسلمين وشبههم بالنازيين، واتهم أعضاء من الحزب القومى البريطانى فى التليفزيون الفاتحين المسلمين الأوائل بأنهم قوم من المجانين والمعتوهين، بل أن عضو الكونجرس الأمريكى جون هوكس شبه عمامات علماء المسلمين بحفاضات الأطفال. أما النائب العام السابق للولايات المتحدة جون أشكروفت فقد قال: إن الإسلام هو الدين الذى فيه يطلب منك الله إرسال ابن للموت من أجله، أما المسيحية فهى الدين الذى فيه يرسل الله ابنه للموت من أجلك." [1]

" ولئن كانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ هى التى خلطت الأوراق وجعلت كل ما هو إسلامى تحوم حوله الشبهات، فلا شك أن الرسوم الكاريكاتورية المشئومة، هى التى كشفت جذور ومخاطر الإسلاموفوبيا التى فجرتها الصحف الدنمركية – عندما نشرت ١٢ رسماً كاريكاتورياً للنبى محمد صلى الله عليه وسلم فى سبتمبر ٢٠٠٥، وأعادت نشرها صحيفة نرويجية فى ١٠ يناير ٢٠٠٦، وفعلت الشىء نفسه صحيفة فرانس سوار الفرنسية وبعض الصحف الأوروبية الأخرى – واشعلت حريقاً احتجاجياً امتدت ألسنته إلى أماكن كثيرة فى العالم الإسلامى وخارجه. وقد رجح رئيس وزراء الدانمارك – فى عناد – كفة الفتنة عندما اعترف بأنه لا يستطيع أن يمنع الصحافة فى بلاده أن تكتب أو ترسم أو تنشر ما تراه، مؤكداً أنه يقف إلى جانب حرية الفكر." [2]

وبعيداً عن هذه المكابرة، وذلك الإصرار على إهانة المسلمين فى قدس أقداسهم فإن الحجج التى ساقها رئيس الوزراء الدانمركى بشأن انتصاره لحرية التعبير هى حجج واهية، فضلاً عن أنها غير صحيحة؛ لأن هناك جملة من القضايا ذات الصلة بتاريخ اليهود فى أوروبا محظور حظراً باتاً على جميع وسائل الميديا أن تتعاطى

---

[1] د. باسم خفاجى، لماذا يكرهونه؟ .. الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبى الإسلام، كتاب مجلة البيان السعودية، اكتوبر ٢٠٠٦. ص٥٠

[2] د. سعيد اللاوندى، مرجع سابق، ص ص ١٠–١١

معها لا تلميحاً ولا تصريحاً. وهذا معناه ببساطة أن أى مسئول دانمركى أو ألمانى أو نرويجى أو فرنسى، يمكنه أن يتصل بإدارة التحرير فى أية صحيفة ليملى ما يشاء، بل ويتطوع بالمشاركة فى وضع قواعد النشر !!.

والذى يبعث على الحنق والغيظ – خصوصاً فى قضية الرسوم المسيئة للإسلام ولرسوله الكريم – أن الغرب يزعم أنه ينتصر لحرية الرأى مع أنه فى أحداث مشابهة ذبح حرية الرأى دون أن يبالى !. فعندما أبدت إسرائيل انزعاجها من نتيجة استطلاع الرأى الذى تبين منه أن ٥٩% من الشعوب الأوربية ترى أن إسرائيل بممارساتها العدوانية تمثل خطراً على الأمن والسلم الدوليين، لم تتردد المفوضية الأوربية فى تقديم الاعتذار إلى الحكومة الإسرائيلية، مؤكدة أن استطلاعات الرأى فى عمومها رغم أنها أحد أشكال الممارسة الديمقراطية المباشرة لا تؤثر على القرارات السياسية الأوربية.!!

وعندما أصدر وزير التعليم الفرنسى قانون جايسو الشهير الذى يجرم أى باحث أو كاتب يعالج من قريب أو بعيد قضية المحرقة أو الهولوكوست، لم يبك الباكون فى الغرب على حرية البحث العلمى التى أهدروا دمها. ولم ينبس أحد ببنت شفة عندما سحبوا من الباحث روبير فوريسون وزميله هنرى لوك لقب دكتور، وطردوهما من مواقعهما العلمية فى جامعتى ليون ونانت فى فرنسا، عقاباً لهما على أبحاثهما فى تاريخ اليهود. كما دفع أستاذ فرنسى آخر منصبه كأستاذ كرسى للتاريخ المعاصر ثمناً لعناده عندما صرح قائلاً: أن أحداً ليس فوق البحث العلمى والأكاديمى، وغاب عن بال المسكين أن زميلاً له سبقه فى العناد فلقى حتفه مخنوقاً فى سريره !!.

" فالثابت انطلاقاً من كل هذه الوقائع، أن الحديث عن حرية الفكر هو حديث إفك، وكلمات حق يراد بها باطل؛ لأن ازدواجية المعايير التى يرتع فيها الغرب السياسى تُمارس فقط وبقوة ضد الإسلام والمسلمين. ولسنا فى حاجة إلى التذكير بأن إصرار كثير من الصحف الأوربية على نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله

عليه وسلم بحيث تظهر فى هذه الصحيفة اليوم، ثم تظهر فى الصحيفة الثانية غداً، والثالثة والرابعة بعد غد وهلم جرا، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن النية مبيتة مع سبق الإصرار والترصد لتداول الأزمة أو عولمتها، بحيث تصدق فى النهاية نظرية هنتنجتون الخاصة بصدام الحضارات، والحرب الصليبية التى حدثنا عنها – عن عمد وليس زلة لسان – الرئيس الأمريكى جورج بوش." [1]

وليت الأمر أقتصر على الصحف ووسائل الإعلام، وإنما تجاوزه إلى رموز الدين المسيحى الغربى أنفسهم، حيث تزعم **البابا بيندكت السادس عشر بابا الفاتيكان** مؤخراً الهجوم على الإسلام من جديد، عندما اختار أن تكون مقدمة محاضرته التى ألقاها فى جمع من العلماء الألمان فى جامعة ريجينسبرج يوم ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ عبارة عن هجوم صريح على نبى الإسلام – نقلها عن غيره – قائلاً: أرنى ماذا قدم محمد من جديد، وسوف لن تجد إلا أموراً شيطانية وغير إنسانية، مثل أوامره التى دعا إليها بنشر الإيمان عن طريق السيف.!!

وفى تعليقه على هذه الواقعة كتب الشاعر والكاتب المصرى **فاروق جويدة** قائلاً: " لا يمكن لنا أن نقرأ محاضرة البابا بعيداً عن مسار الفكر الغربى وموقفه من العقيدة الإسلامية تاريخاً وتأثيراً. إن المحاضرة تدخل فى سياق تاريخ طويل يحكم نظرة الغرب للإسلام بكل ما فيها من حساسيات ... وفى تقديرى أن الهجوم الذى أورده البابا فى محاضرته على الإسلام – حتى وإن لم يكن على لسانه – إلا أنه يمثل صلب المحاضرة، لأنه يقارن بين الإسلام والديانات الأخرى فى عدة قضايا أساسية من بينها موقف الخالق سبحانه وتعالى فى كل دين، ومدى اقترابها من لغة العقل، هذا بجانب قضية العنف التى حاول البابا أن يلصقها بالإسلام كما فعل كثيرون غيره كان أخرهم الرئيس الأمريكى بوش عندما قال أنه يحارب الفاشيستية الإسلامية." [2]

---

[1] المرجع السابق، ص ص ١٢–١٣.

[2] فاروق جويدة، بابا الفاتيكان بين الدين والسياسة، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٩/٢٢

والحقيقة أنه يمكننا فهم موقف البابا، وهجومه على الإسلام ونبيه، عندما نعلم أن هذا البابا هو من عارض وبشدة دخول تركيا إلى الاتحاد الأوربى، ولم يتنازل عن موقفه هذا حتى الآن، وكان مبرره أن تركيا تنتمى إلى دائرة ثقافية أخرى، وأن دخول تركيا إلى الاتحاد الأوربى سيكون خطأ جسيماً يسير عكس أمواج التاريخ !! وهو الذى كتب عام ١٩٩٦ أن الإسلام لا يمكن أن يتعايش مع العالم المتمدن. كما أنه نفس البابا الذى هاجم عام ٢٠٠٥ قيادات المسلمين فى ألمانيا بدعوى أنهم قد فشلوا فى إبعاد أبنائهم عن ظلام البربرية الجديدة !!." [1]

وبعد أقل من شهر من تصريحات بابا الفاتيكان، عرض التليفزيون الدانماركى شريطاً مصوراً لأحد الهواة، يظهر شباناً من أعضاء حزب الشعب الدنماركى المشارك فى ائتلاف الحكومة، يشاركون فى مسابقة لرسم صور مسيئة للنبى صلى الله عليه وسلم. وتصور احدى الرسوم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتبول ويشرب الجعة، وأخرى تصوره كإرهابى يقصف كوبنهاجن. كما عرضت صحيفة أفنيسن الدانماركية فى ٢٠٠٦/١٠/٦ الصور المسيئة التى تم رسمها فى حفل لرسم ما وصفته بأبشع صورة للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم، وتنص المسابقة على أن من يخسر فيها يرتدى برقعاً كنوع من المزيد من السخرية والاستهزاء بالإسلام.

أما فيما يخص **الخطاب الأمريكى الرسمى تجاه الإسلام** والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر، فالجميع لازال يذكر أنه فى بداية سلسلة حروبه الكونية ضد الإرهاب، أفلتت من الرئيس الأمريكى بوش عبارة **الحرب الصليبية**، لكنه تراجع عنها وسحبها بسرعة حين تم تنبيهه إلى خطورتها، فى وقت كانت الولايات المتحدة تبدو فى حاجة ماسة إلى بناء أوسع تحالف دولى ممكن ضد الإرهاب.

---

[1] د. باسم خفاجى، مرجع سابق، ص ص ٤٥-٤٦

إلا أنه وبعد مرور خمس سنوات على الأحداث، عاد الرئيس الأمريكى ليطلق مصطلحاً جديداً يبرر به حروبه الفاشلة ضد الإرهاب، حينما قال فى يوليو ٢٠٠٦ أنه يحارب ما أسماه **(الفاشية الإسلامية)**، ولم يتراجع بوش هذه المرة.

" فهو، وبعد هذه السنوات الخمس من التركيز على مسرح عمليات لم يتغير، هو مسرح الشرق الأوسط، لم يعد لديه ما يخفيه. الحرب الكونية على الإرهاب هي إذاً، وببساطة شديدة، حرب إخضاع منطقة الشرق الأوسط برمتها للإرادة الأمريكية وسحق كل من يتصدى لمقاومتها: دولاً كانت أم تنظيمات أم تيارات. ولأن التيار الإسلامي بات هو التيار الرئيسي الذي يحمل راية المقاومة في هذه المرحلة فلا بأس من نعته بالفاشية كي يسهل تبرير الحرب عليه." [1]

" ولكى لا يكون هناك وهم بشأن ما يقصده الرئيس بوش، فقد أوضح لنا كاتب خطاباته أن الفاشية الإسلامية خليفة النازية والفاشية والشيوعية، التى كافحها العالم الغربى كله خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها حتى انتهاء الاتحاد السوفيتى وسقوطه." [2]

والفاشية Fascism مصطلح مشتق من الأصل الإيطالى Fascismo وهو يشير إلى مبادئ الحركة الفاشية التى نظمت فى مارس عام ١٩١٩، واستولت على مقاليد الحكم فى إيطاليا تحت رئاسة بينيتو موسولينى فى أكتوبر ١٩٢٢. والفاشية حركة سياسية تنطوى فى نفس الوقت على مذهب فكرى يبررها، وهى تستهدف إقامة نظام ديكتاتورى يعارض الأسس البرلمانية ويناصب الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية العداء.

ويذهب موسولينى إلى أن الفاشية تعارض تماماً فكرة السلام، وتعتقد أنها مسلمة عديمة الجدوى، بل ويمكن أن تُلحق أضراراً بالمجتمع، كما تعارض تماماً الأيديولوجية الديمقراطية على المستويين النظرى والتطبيقى، وهى لا تؤمن

---

[1] د. حسن نافعة، مرجع سابق.

[2] رضوان السيد، من حرب الأفكار إلى الفاشية الإسلامية، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٦/٩/١٢

بالليبرالية بصورتيها السياسية والاقتصادية. ويحتفظ هذا المصطلح بمعناه الدقيق داخل تراث علم الاجتماع السياسى، حيث يشير إلى الأحزاب أو الأيديولوجيات أو الدول التى تتبنى أو تجسد سيطرة إرهابية حقيقية لجهاز الدولة القوى، وهى الدولة التى لا يظهر فيها الفصل بين القوة وحكم القانون، وتخضع لحزب سياسى واحد يتبنى أيديولوجية عنصرية أو قومية. وعلى هذا الأساس أصبح الحزب النازى الذى أسسه أدولف هتلر فى ألمانيا، والأيديولوجية التى طورها، والدولة التى أقامها بعد اعتلائه السلطة فى ألمانيا، أصبحت جميعاً النماذج الطرازية للفاشية، وحلت محل نظائرها الإيطالية. [1]

وتؤكد الباحثة الفلسطينية **الدكتورة نهى خلف** أنه نتيجة الفشل الذي حظيت به إدارة بوش في حربها الكونية ضد الارهاب، سواء كان ذلك في العراق أو بشكل صارخ في الحرب التي خاضتها اسرائيل ضد حزب الله في لبنان، بدأت الولايات المتحدة البحث عن مصطلح لغوي جديد لتهيئة أجواء الحرب ضد إيران دون فقدانها الدعم الدولي والاوروبي بشكل خاص. وعلى هذا الأساس بدأ مصطلح الفاشية الاسلامية يظهر ويردد بشكل مجدد في قاموس المحافظين الجدد حيث لم يكن وارداً في قاموسهم عام ٢٠٠٢، ومن الواضح أن الهدف من اختيارهم لهذا المصطلح هو تخويف ثم توريط أوروبا في الحربين: اللغوية في المرحلة الأولي والعسكرية في المرحلة الثانية. وذلك لأن أوروبا هي التي عانت أكثر من غيرها من الفاشية في الحرب العالمية الثانية. إن استخدام هذا المصطلح القديم (الفاشية) وتطويره الى (الفاشية الاسلامية) يأتي كمقدمة لتبرير الحروب القادمة والمرجح أن تشن على إيران.

---

(1) **فى تحديد مفهوم الفاشية أنظر**: د. محمد عاطف غيث (محرراً)، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٩. ص١٨٣. وأيضاً: جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثانى، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، المشروع القومى للترجمة، العدد ٢٥١،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،٢٠٠٠. ص ١٠٥٣

وقد بين مقال للصحفي جيم لوب وهو من الباحثين المناهضين للحرب بعنوان (الفاشية: الاطار المفبرك في صحافة المحافظين الجدد) بتاريخ ٢سبتمبر ٢٠٠٦، ان الصحافة اليمينية والتي يسيطر عليها المحافظون الجدد واليمين المسيحي الصهيوني قد بدأت بترديد ذلك المصطلح بشكل مكثف في الأشهر القليلة الماضية. وفي رأيه أن الحملة العدوانية الجديدة التي تديرها إدارة بوش قد بدأت تعرّف أعداء الولايات المتحدة علي أنهم فاشيون من جهة وتسمي نقاد الحرب المهدئين من جهة أخرى استناداً إلي مصطلح التهدئة، وذلك في محاولة لخلق أجواء نفسية مشابهة للأجواء السائدة في الثلاثينات من القرن العشرين حيث استخدمت كلمة التهدئة بشكل ساخر لوصف محاولات اللورد تشامبرلين البريطاني الفاشلة لتفادي الحرب مع ألمانيا قبل احتلالها لبولونيا.

ومن الشبكات الإعلامية الأساسية التي بدأت بترويج مصطلح الفاشية شبكة فوكس نيوز ومجلتها ويكلي ستاندارد التي يمتلكها اليهودى روبرت مردوخ، وجريدة واشنطن تايمز الخاصة بالكنيسة التوحيدية التي يقودها القس سان ميونج مون وجريدة نيويورك صن التابعة للمحافظين الجدد. كما أن مجلتين يمينيتين اخريين وهما ناشيونال ريفيو و أمريكان سبكتيتيور بدأتا أيضاً بترويج مصطلحات النازية والفاشية والتهدئة بشكل مفرط لوصف ايران ورئيسها أحمدي نجاد. فبعد ان استخدمت واشنطن تايمز مصطلح الفاشية في ٩٥ مقالاً في العام الماضي وخاصة في الثلاثة أشهر الاخيرة، وبعد أن استخدمت ناشيونال ريفيو نفس المصطلح ٦٦ مرة وأمريكان سبكتيتور ٤٨مرة، جاء دور بوش نفسه الذي استخدم هذا التعبير منذ اسبوعين ليشمل تعريفه المبهم للفاشية كل شيء بدءا بتنظيم القاعدة وحماس ومروراً بحزب الله وايران وسورية. ثم جاء منذ اسبوع دور دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الذي تحدث بشكل أدق عن خطر تواجهه الولايات المتحدة وهو نوع جديد من الفاشية، مضيفاً أنه يجب الاستفادة من دروس الماضي وهي أنه لا يمكن التوصل الى تهدئة مع الفاشيين.

وهكذا تحول الخطر الأساسي الذي يواجه العالم في المنظومة الفكرية الأمريكية من الخطر الشيوعي كما كان عليه الحال قبل انهيار الاتحاد السوفييتي، الي خطر الارهاب العالمي بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ليصبح اليوم الخطر الفاشي حيث يعود الحال الي ما كان عليه في الثلاثينات من القرن العشرين. [1]

وهكذا، وبعد مرور خمس سنوات على حربها الامبراطورية ضد الإرهاب، فإن ممارسات الولايات المتحدة لم تزد العداء الغربى ضد الإسلام إلا اشتعالاً، وكما يقول الكاتب الصحفى المصرى صلاح الدين حافظ، لم تكسر الحرب الصليبية أو الحرب ضد الإسلاميين الفاشيين، على حد قول الرئيس بوش نفسه، المد الإسلامى بشقيه الجهادى القتالى والسياسى المعتدل، بل زادت موجات التطرف، وصعود التيارات الإسلامية، من أفغانستان وباكستان شرقاً، إلى المغرب والجزائر غرباً، مروراً بما يجرى فى فلسطين ولبنان والسودان والصومال وشبه الجزيرة العربية، امتداداً إلى إيران ودول القوقاز والشيشان !!.

سادساً: هل العالم أصبح أكثر أمناً ؟

بعد خمس سنوات من أحداث سبتمبر وإعلان الحرب الأمريكية المفتوحة ضد الإرهاب، يطرح السؤال نفسه بإلحاح: هل أصبح العالم أكثر أمناً ؟

الحقيقة أن هناك انقساماً حول الإجابة على هذا السؤال؛ فهناك من يرى أن العالم أصبح أكثر أمناً، بسبب اليقظة الدائمة من أجهزة الأمن والمخابرات حول العالم، والتنسيق الفعال بينها فيما يتعلق بمراقبة الإرهابيين وتعطيل مخططاتهم الشريرة حول العالم.

ولكننى أعتقد أن الأمر على العكس تماماً من ذلك؛ وهذا الاعتقاد ليس جزافياً، وإنما هو مبنى على العديد من الدلائل والمؤشرات التى تؤكد بما لا يدع مجالاً

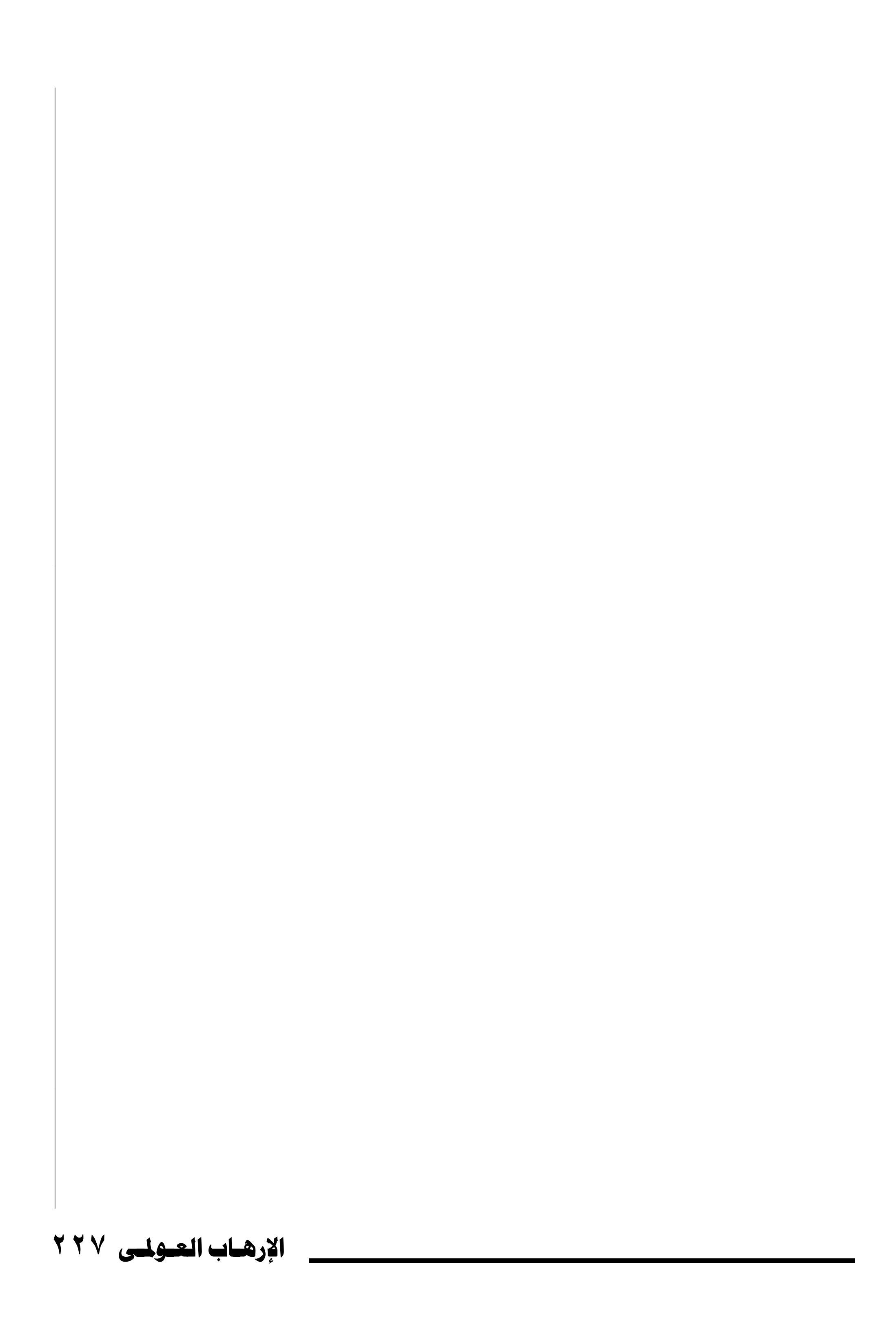
---

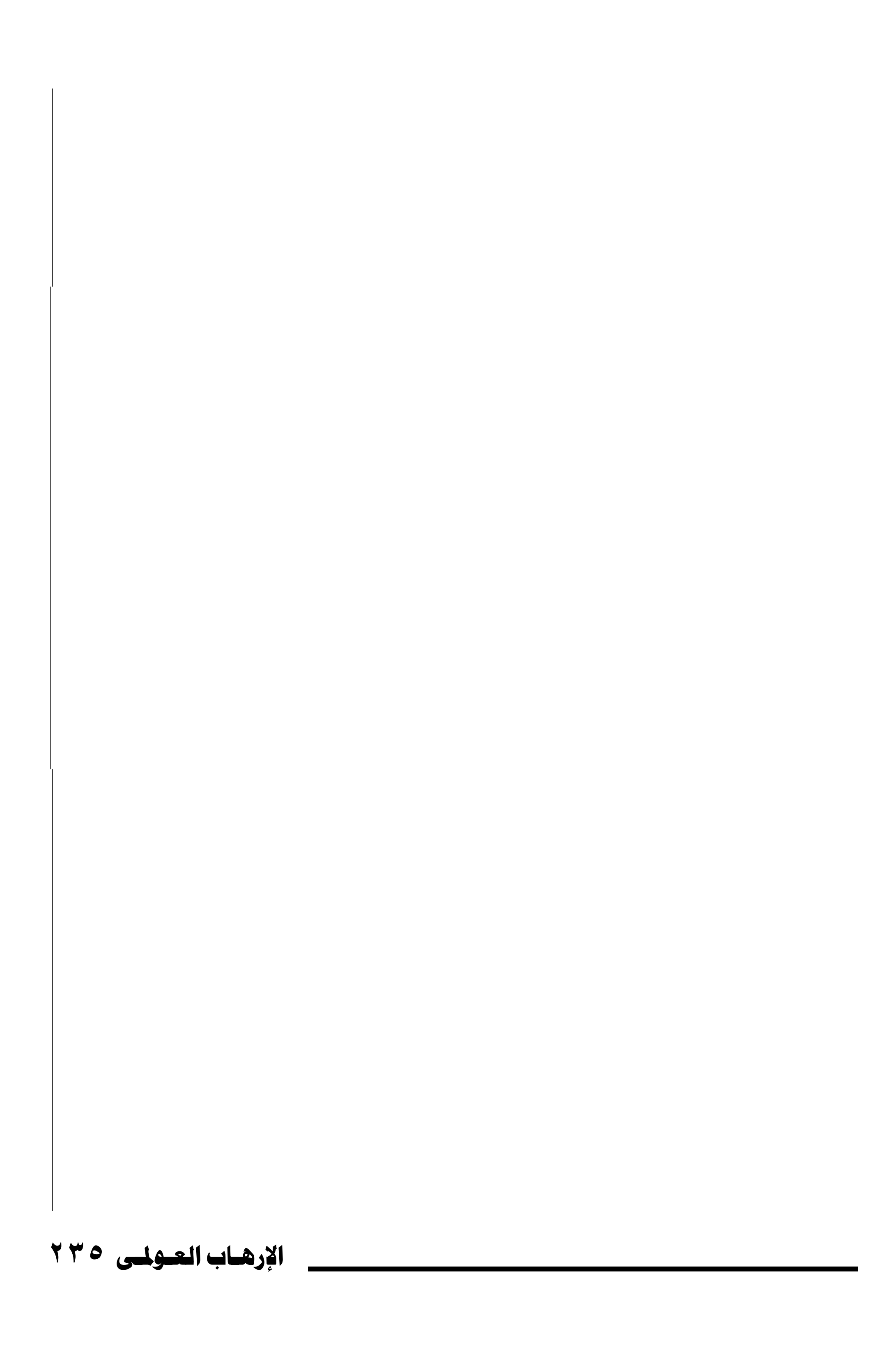
[1] د. نهى خلف، قاموس الحرب الأمريكى: من الإرهاب الكونى إلى الفاشية الإسلامية، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٨ على موقع: www.amin.org

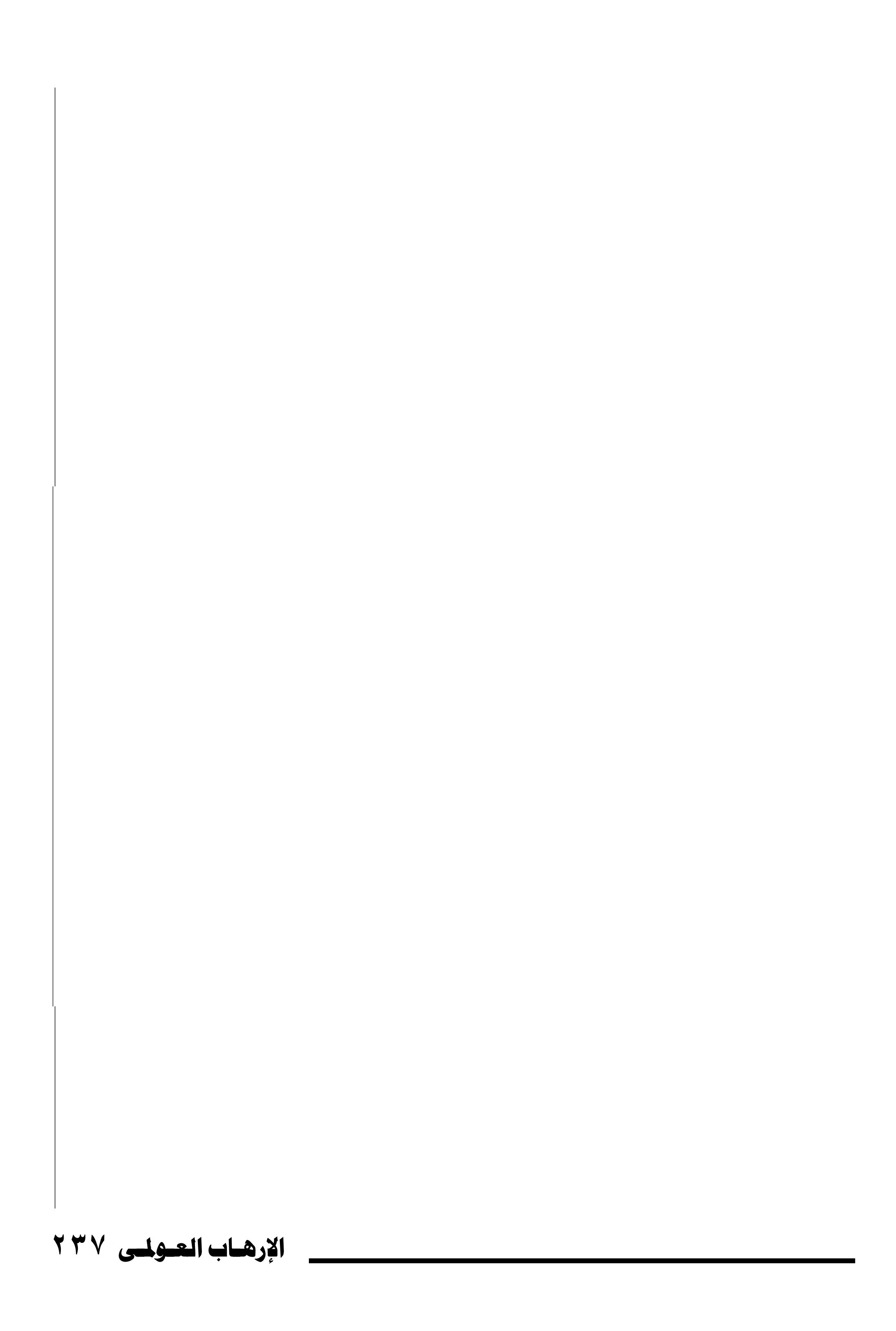
للشك أن العالم بات أقل أمناً وأكثر خطراً من ذى قبل، والسبب فى ذلك ليس تقصير أجهزة الأمن أو وكالات المخابرات، والتى تقوم بجهد خرافى للسيطرة على سرطان الإرهاب وتمويله، وإنما السبب يعود إلى أن المواجهة أصبحت مفتوحة عبر الزمان والمكان، فهى مواجهة بين أطراف عديدة ومتنوعة، بكل ما تحمله هذه المواجهة من مخاطر وضحايا.

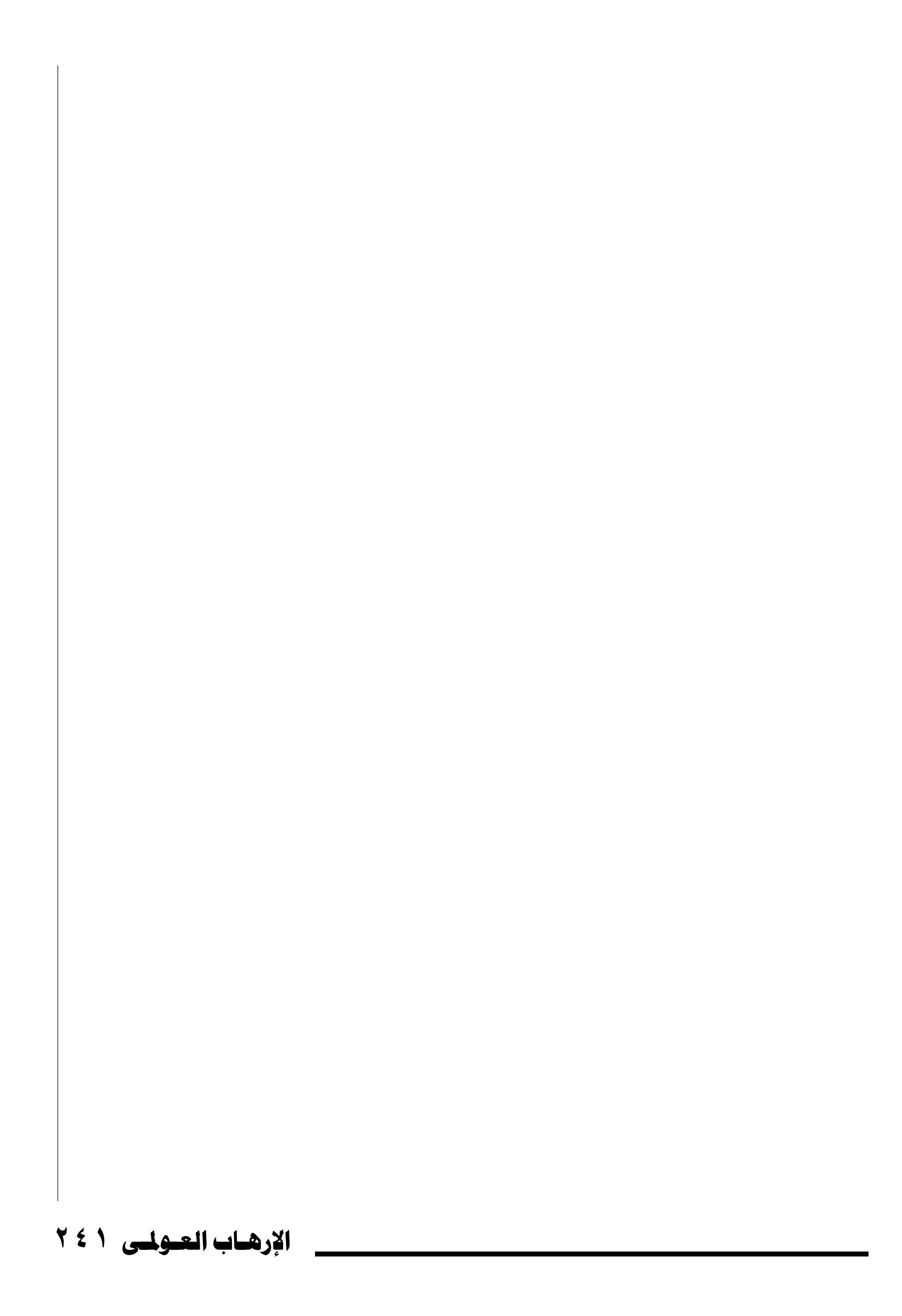
وبنظرة سريعة للسنوات الخمس الماضية يمكننا إحصاء كل تلك الأعمال الإرهابية التى جرت حول العالم، والتى يوضحها الجدول التالى من خلال التسلسل الزمنى لها منذ أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ وحتى ١٠أكتوبر ٢٠٠٦. مع ملاحظة أننا **استبعدنا كل أعمال العنف التى جرت فى أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان،** لإيماننا القوى بأن هذه الأعمال ليست إرهاباً، وإنما هى مقاومة مشروعة للاحتلال والقهر الأجنبى.

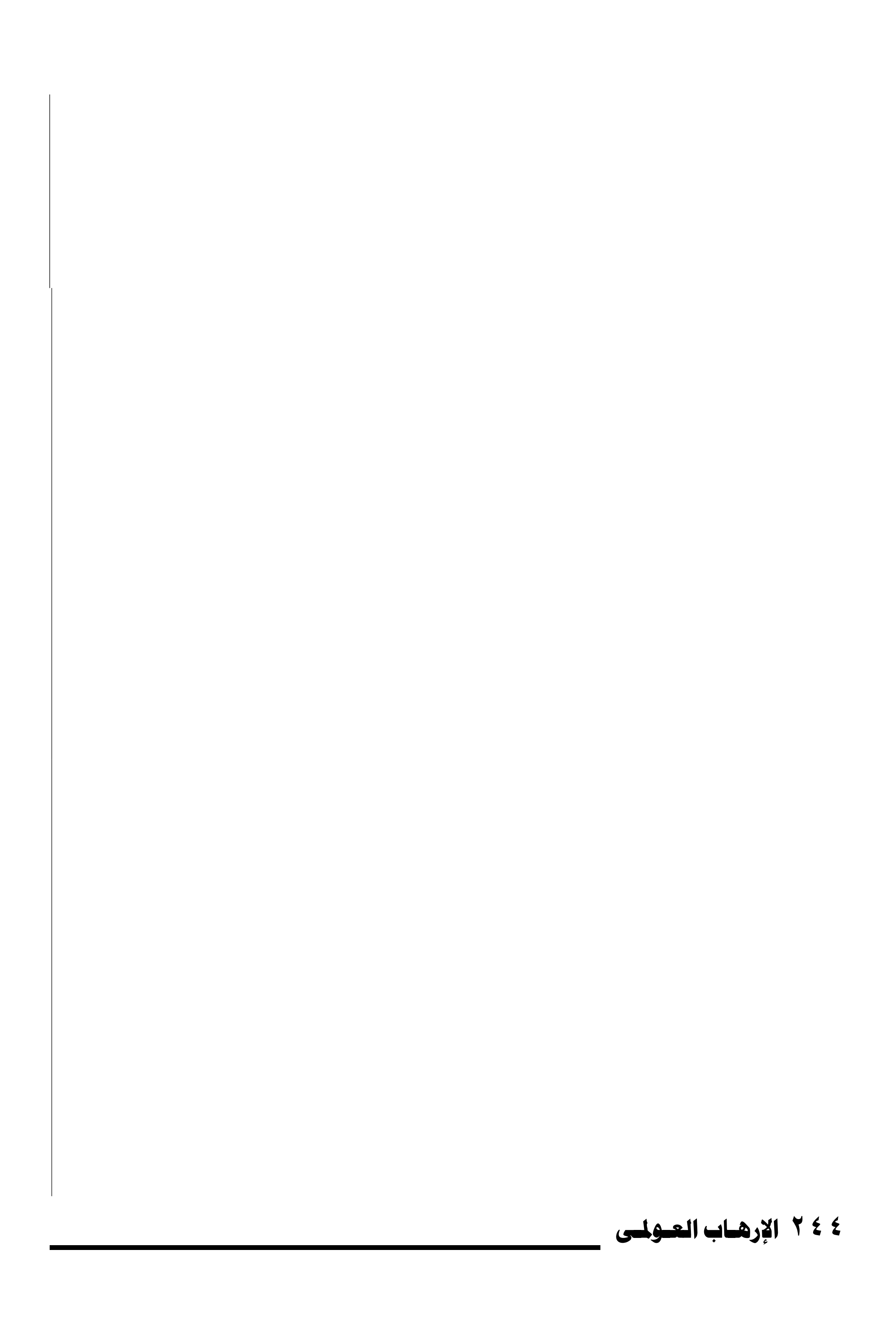
ترتيب زمنى للحوادث الارهابية بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وحتى أكتوبر ٢٠٠٦:

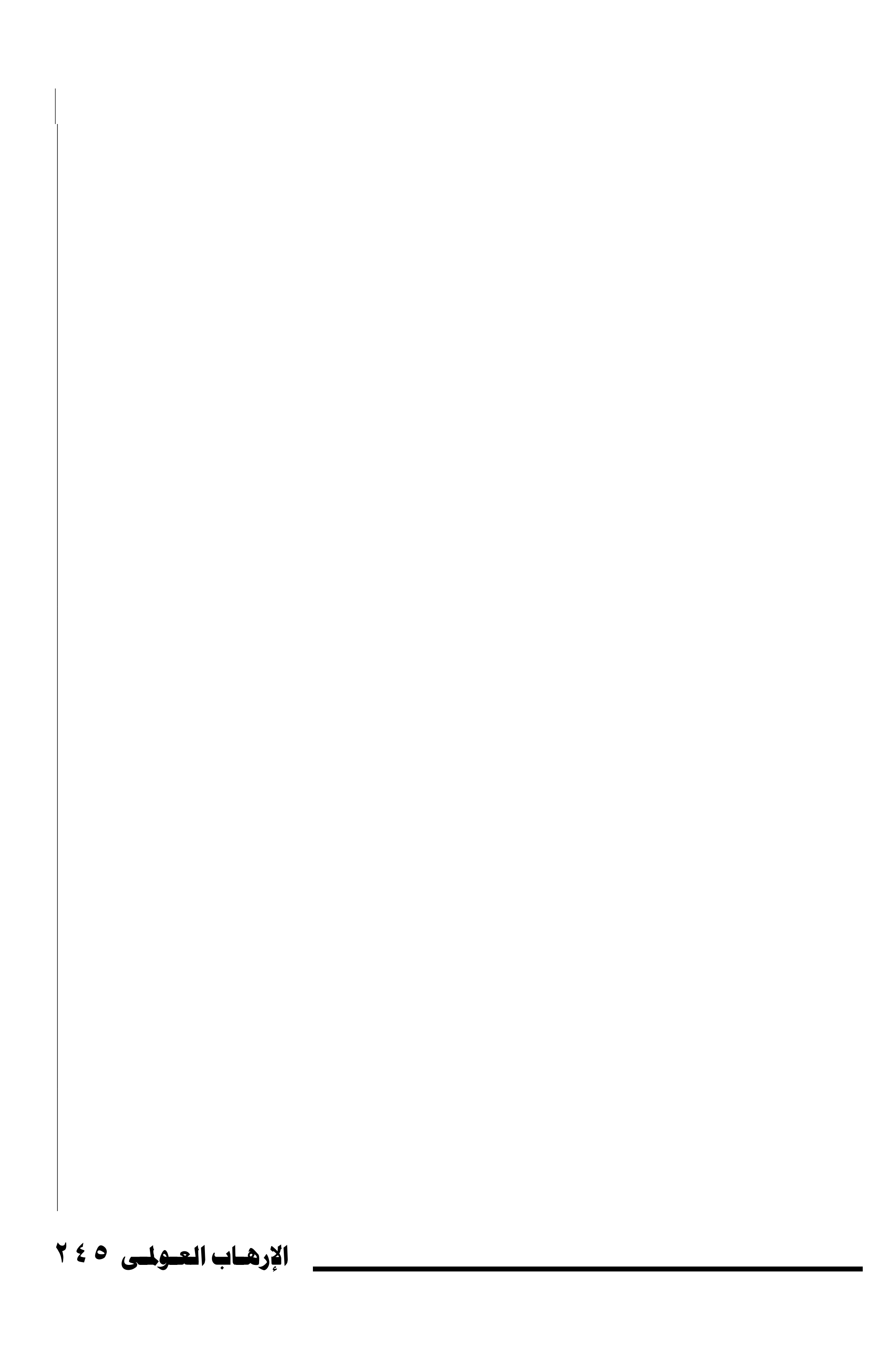


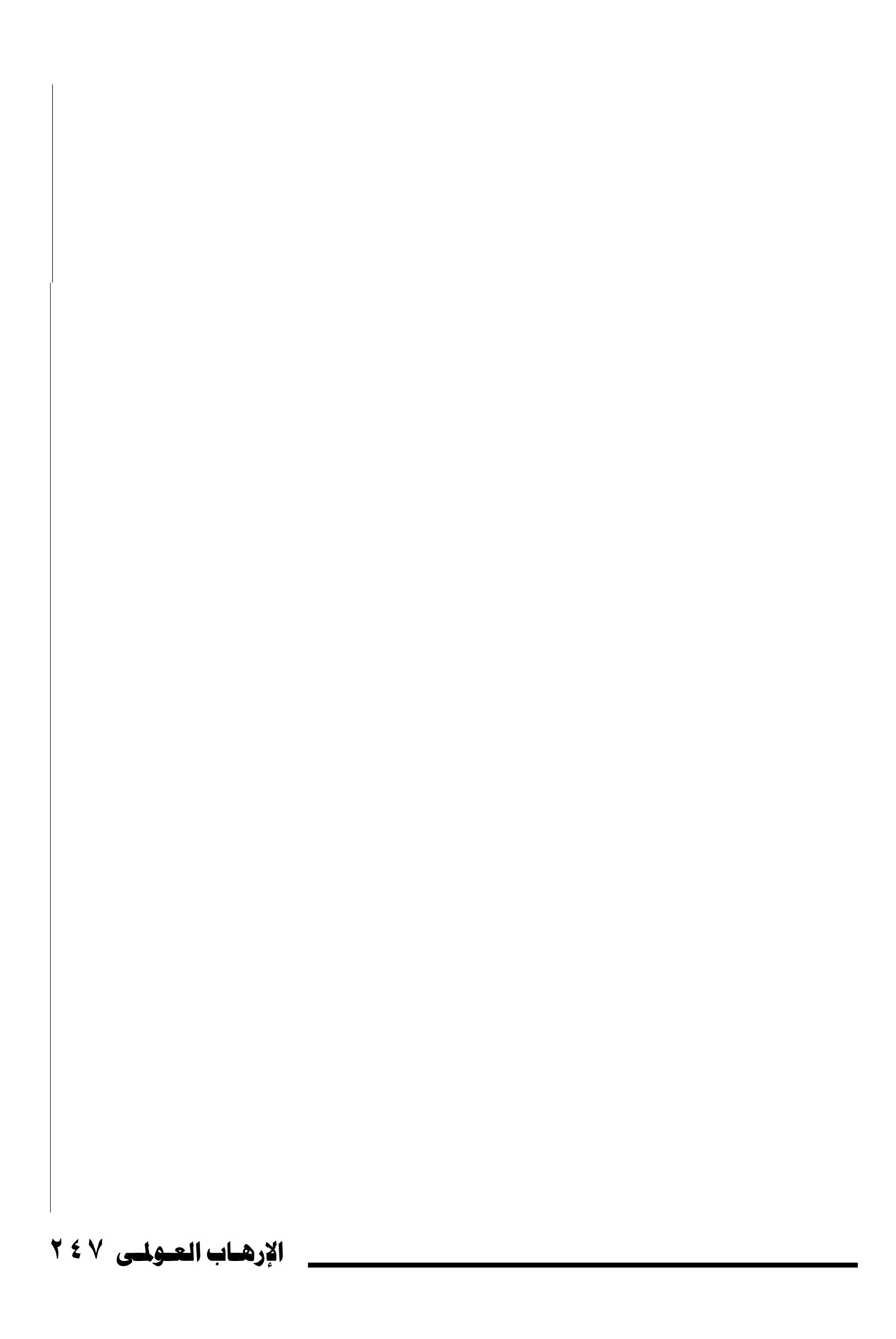


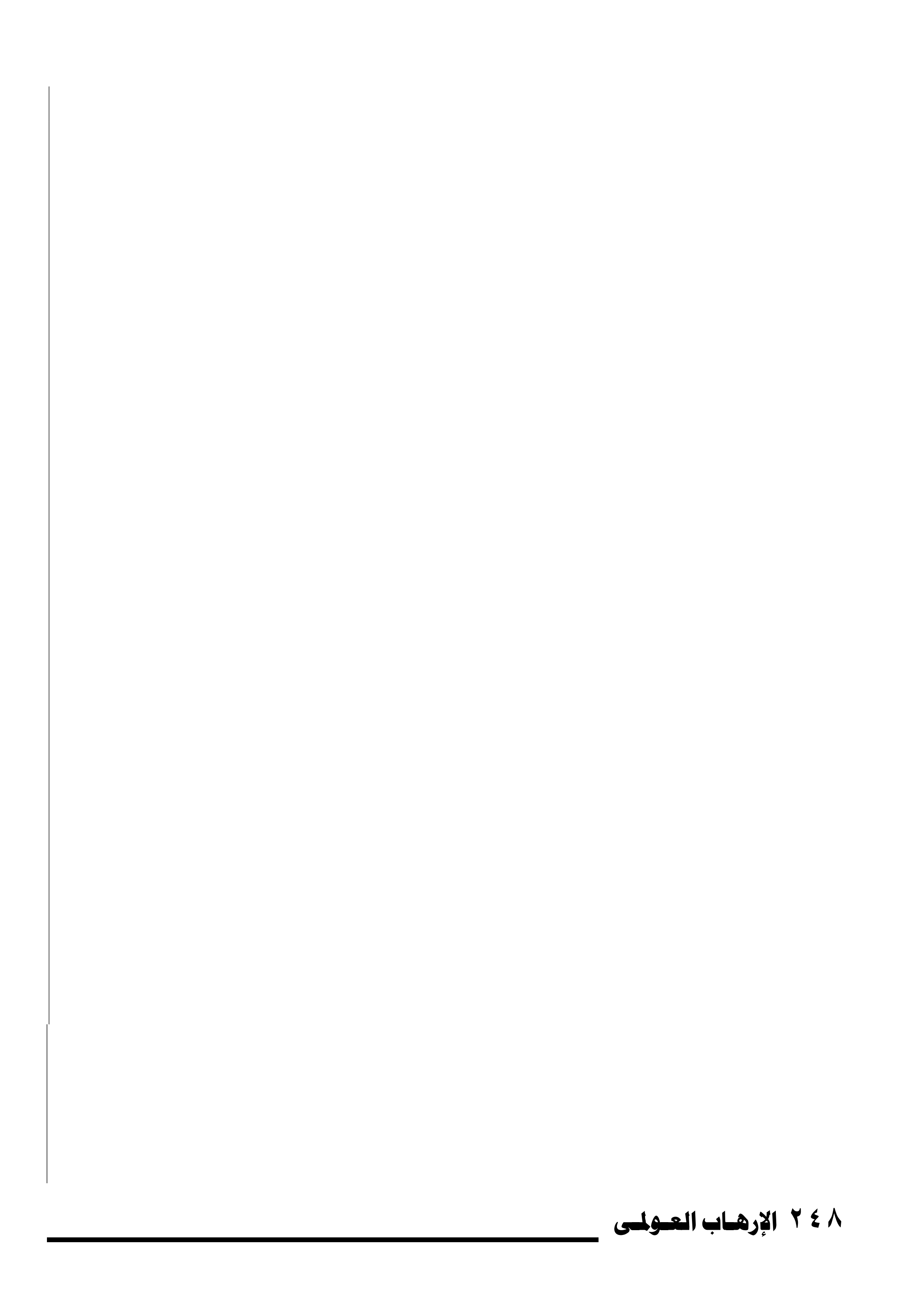


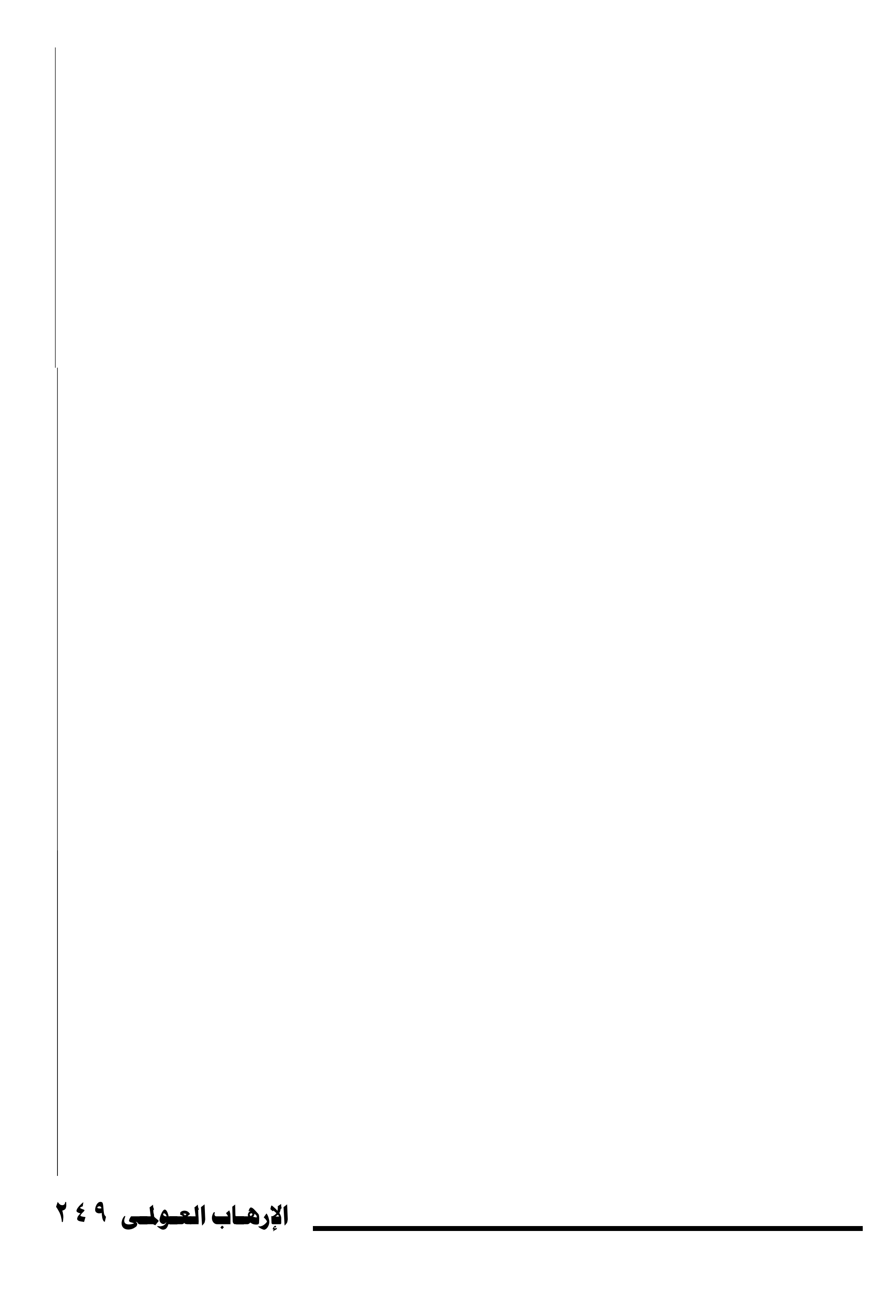












الفصل الثالث

كيف يمكن مواجهة الإرهاب العولمى ؟



الإرهاب العولمى

وانهيار الإمبراطورية الأمريكية

مراجع الكتاب



المراجع العربية

أولاً: الكتب:

١. إبراهيم نافع، **انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.

٢. د. أحمد جلال عز الدين، **الإرهاب والعنف السياسى**، كتاب الحرية، العدد ١٠، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مارس ١٩٨٦.

٣. أنطونى جيدنز، **بعيداً عن اليسار واليمين، مستقبل السياسات الراديكالية**، ترجمة: شوقى جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٦، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٢.

٤. أيان دوشسن، **العولمة وتأثيرها الشديد على المنشأة**، فى: ايف ميشو (مشرفاً)، جامعة كل المعارف، الجزء الثالث: ما المجتمع؟، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧١٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٥. ابنياسيو رامونيه، **حروب القرن الحادى والعشرين .. مخاوف وأخطار جديدة**، ترجمة: خليل كلفت، دار العالم الثالث، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٦.

٦. د. السيد عقيل حسين المنور، **مستقبل الحضارة الإسلامية فى ظل العولمة**، فى: مستقبل الأمة الإسلامية، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣.

٧. السيد يسين، **الحرب الكونية الثالثة**، عاصفة سبتمبر والسلام العالمى، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣.

٨. ---------، **الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.

٩. ---------، **الحوار الحضارى فى عصر العولمة**، دار نهضة مصر للطباعة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٥.

١٠. د. باسم خفاجى، **لماذا يكرهونه؟ .. الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبى الإسلام**، كتاب مجلة البيان السعودية، اكتوبر ٢٠٠٦.

١١. برجيت سترن، **دول وسيادات، سياسة الدولة فى مواجهة العولمة،** فى: ايف ميشو (مشرفاً)، جامعة كل المعارف، الجزء الثالث: ما المجتمع؟، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧١٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٢. تشارلز تلى، **الحركات الاجتماعية ١٧٦٨-٢٠٠٤،** ترجمة وتقديم: ربيع وهبه، المشروع القومى للترجمة، العدد ٩٥٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥

١٣. ج. تيمونز روبيرتس، أيمى هايت، **من الحداثة إلى العولمة، رؤى ووجهات نظر فى قضية التطور والتغيير الاجتماعى،** ج١، ترجمة: سمر الشيشكلى، مراجعة: محمود ماجد عمر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٩، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٤.

١٤. جاك دريدا، **ما الذى حدث فى حدث ١١ سبتمبر؟،** ترجمة: صفاء فتحى، مراجعة: بشير السباعى، المشروع القومى للترجمة، العدد ٥٣١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٥. د. جلال أمين، **العولمة،** سلسلة اقرأ، العدد ٦٣٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨.

١٦. ----------، **عصر التشهير بالعرب والمسلمين، نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١،** دار الشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.

١٧. جوردون مارشال، **موسوعة علم الاجتماع،** المجلد الثانى، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، المشروع القومى للترجمة، العدد ٢٥١،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،٢٠٠٠.

١٨. جون جراى، **الفجر الكاذب، أوهام الرأسمالية العالمية،** ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المشروع القومى للترجمة، العدد ١٢٤، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.

١٩. د. حامد عمار، **الحادى عشر من سبتمبر وتداعياته التربوية والثقافية فى الوطن العربى،** الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٤.

٢٠. د. حسن بن فهد الهويمل، **الثقافة وتحديات العولمة،** فى: العولمة وحوار الحضارات، صياغة عالم جديد، أعمال المؤتمر الدولى الأول للحضارات المعاصرة، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣.

٢١. د. حسن عزوزى، **الإسلام وتهمة الإرهاب**، سلسلة دعوة الحق، العـــدد ٢٠٩، رابطة العالم الإسلامى، اكتوبر ٢٠٠٥.
٢٢. رولند روبرتسن، **رسم خارطة للوضع العالمى، العولمة كفكرة محورية**، فـــى: مايك فيذرستون (محرراً)، ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة، ترجمـــة: عبد الوهاب علوب، المشروع القومى للترجمة، العدد ١٣٢، المجلـــس الأعلـــى للثقافة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٥.
٢٣. د. سعيد اللاوندى، **الاسلاموفوبيا .. لماذا يخاف الغرب من الإسلام**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٦.
٢٤. د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، **الإسلام والعولمة الرأسمالية**، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٠٣، رابطة العالم الإسلامى، اكتوبر ٢٠٠٣.
٢٥. عبد الرحمن عمار، **قضية الإرهاب بين الحق والباطل**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣. (نسخة إلكترونية)
٢٦. د. عبد العاطى محمد، **شيوخ بلا خناجر .. تحولات الإســـلام الـــسياسى فـــى مصر**، دار مصر المحروسة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.
٢٧. د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى، **مستقبل الحضارة الإســـلامية فـــى ظـــل العولمة**، فى: مستقبل الأمة الإسلامية، أبحاث ووقائع المؤتمر العـــام الخـــامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢٨. عطيه صقر، **الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه**، سلسلة قضايا إسلامية، العـــدد ١٤٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٦.
٢٩. د. على ليلة، **النظام العربى المعاصر، متغيرات الإصـــلاح وحـــدوده**، سلـــسلة الوافى الثقافية، العدد الأول، دار الوافى للنشر، القاهرة، مارس ٢٠٠٦.
٣٠. د. فتحى عبد الفتاح، **الثقافة والعولمة**، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣.
٣١. فرانسيس بويل، **تدمير النظام العالمى، الإمبريالية الأمريكية فى الشرق الأوسط قبل وبعد ١١ سبتمبر**، ترجمة: سمير كريم، مراجعـــة وتقـــديم: محمـــد نـــور فرحات، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧٤٨، المجلـــس الأعلـــى للثقافـــة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٣٢. د. محمد إبراهيم منصور، **العولمة والهوية الوطنية**، فـي: العولمـة وحـوار الحضارات، صياغة عالم جديد، أعمال المـؤتمر الـدولى الأول للحـضارات المعاصرة، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣.
٣٣. د. محمد عاطف غيث (محرراً)، **قاموس علم الاجتماع**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٩.
٣٤. د. محمود حمدى زقزوق (مشرفاً)، **الموسوعة الإسـلامية العامـة**، المجلـس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٣٥. د. مصطفى الفقى، **العرب الأصل والصورة**، دار الشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٢.
٣٦. ----------، **محنة أمة، خطايا النظم ومعاناة الـشعوب**، دار الـشروق، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣.
٣٧. د. مصطفى دسوقى كسبة، **المستقبل الاقتصادى للعـالم الإسـلامى فـى ظـل العولمة**، فى: مستقبل الأمة الإسلامية، أبحاث ووقائع المؤتمر العـام الخـامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٣٨. هانى خلاف، أحمد نافع، **نحن وأوربا: شواغل الحاضر وآفاق المستقبل**، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٩٧.
٣٩. د. وحيد عبد المجيد، **الإرهاب وأمريكا والإسلام من يطفئ النار؟**، دار مـصر المحروسة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.
٤٠. ويليام بلوم، **الدولة المارقة، دليل إلى الدولة العظمـى الوحيـدة فـى العـالم**، ترجمة: كمال السيد، المشروع القومى للترجمة، العدد ٤٦٣، المجلس الأعلـى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
٤١. د. يونان لبيب رزق، **شئون وشجون تاريخية**، ، الهيئة العامة للكتاب، مكتبـة الأسرة، ٢٠٠٥.

ثانياً: المقالات:

١. إبراهيم علوش، **ماذا تعنى الحرب على الإرهاب؟**، دراسة نشرت فى الملحق الأسبوعى لجريدة (العرب اليوم) الأردنية فى ٨/٢٩ و ٢٠٠٥/٩/٥

٢. إبراهيم غرايبة، **المأزق الأمريكى فى مكافحة الإرهاب**، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

٣. د. أبو يعرب المرزوقى، **البديل الإسلامى للإرهاب العولمى**، مقال منشور على موقع: www.balagh.com

٤. أحمد السيد النجار، **تكاليف حروب بوش المبنية على الكذب والتعصب الطائفى**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/١٨.

٥. أحمد سعد، **فى الذكرى السنوية الخامسة لـ١١ سبتمبر: ممارسة عولمة إرهاب الدولة الأمريكية المنظم ينسف قواعد الاستقرار والأمن العالميين**، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٢ على موقع: www.rezgar.com

٦. د. أحمد مجدى حجازى، **أمركة العولمة ورد الفعل المضاد**، جريدة الأهرام المصرية، عدد السبت ٢٠٠٦/٢/٤.

٧. أحمد محمد إبراهيم، **الإرهاب نشأ يهودياً والأمريكيون ألصقوه بالإسلام كعدو بديل**، مقال منشور على موقع: www.lahaonlin.com

٨. إدواردو غالينو، **مسرح الخير والشر**، فى: الإرهاب قبل ١١ أيلول وبعده، مجلة الكرمل، العدد ٦٩، خريف ٢٠٠١.

٩. **إعلان بيروت لدعم المقاومة**، المؤتمر العربى العام الرابع لدعم المقاومة تحت شعار (سلاح المقاومة شرف الأمة)، بيروت، ٣٠ مارس ٢٠٠٦، مجلة المستقبل العربى، العدد ٣٢٧، مايو ٢٠٠٦.

١٠. أمين هويدى، **إدارة الأزمات فى عصر الهيمنة الأمريكية**، جريدة الأهرام المصرية، عدد الثلاثاء ٢٠٠٦/٥/٢٣.

١١. إياد أبو شقرا، **١١ سبتمبر المفصل الكارثى فى تعايش الحضارات**، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، عدد ٢٠٠٦/٩/١١.

١٢. الأمم المتحدة، **كلمة الأمين العام بمناسبة إعلان الاتحاد فى مواجهة الإرهاب** فى ٢٠٠٦/٥/٢، موقع المنظمة على الشبكة الدولية: www.un.org

١٣. السيد ولد أباه، **المأزق الأمريكى بعيون أمريكية**، جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢٠٠٦/٤/٦.
١٤. السيد يسين، **الإرهاب كظاهرة عالمية**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٥/٤/٢١
١٥. د. بطرس بطرس غالى، **الأمم المتحدة ومواجهة الإرهاب**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير ١٩٩٧. الموقع الإلكترونى
١٦. بهى الدين حسين، **واقع الحرب ضد الإرهاب قبل وبعد ١١ سبتمبر**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٢/٩/١١.
١٧. جان بودريار، **روح الإرهاب**، فى: إرهاب الحرب/ الحرب على الإرهاب، مجلة الكرمل، العددين ٧٠/٧١، ٢٠٠٢.
١٨. د. جلال أمين، **العولمة كمثال لصناعة الأفكار**، رد على مقال جلال صادق العظم، مجلة وجهات نظر، العدد ١١، ديسمبر ١٩٩٩.
١٩. د. حسن بن فهد الهويمل، **الإرهاب وإشكاليات المفهوم والانتماء والمواجهة**، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. www.alminbar.al-islam.com
٢٠. د. حسن محمد وجيه، **رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠١/٩/٢٧.
٢١. د. حسن نافعة، ذكرى **٩/١١ كيف تحولت الحرب على الإرهاب حرباً على العرب والمسلمين**، جريدة الحياة اللندنية، عدد ٢٠٠٦/٩/٦.
٢٢. د. رءوف عباس، **المجد للمقاومة**، جريدة الكرامة المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/٢١.
٢٣. رابطة العالم الإسلامى، **الإرهاب**، ملف خاص من موقع الرابطة الإلكترونى. www.themwl.org
٢٤. رضوان السيد، **من حرب الأفكار إلى الفاشية الإسلامية**، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٦/٩/١٢

٢٥. زبير سلطان، **الإرهاب صناعة غربية أمريكية صهيونية**، بحث مقدم إلى الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات بعنوان (العرب والعالم اليوم)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٦-١٧ /١٢/ ٢٠٠٣.
٢٦. زين الدين الركابى، **من أجل قراءة جديدة لزلزال ١١ سبتمبر وتوابعه**، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، عدد ٢٠٠٤/٩/١١.
٢٧. د. سامى الشيخ، **الإرهاب وأشكاله**، فى: مناقشة قانونية وتحليلية لتعريف الإرهاب، ملف خاص منشور بموقع: www.balagh.com
٢٨. ستيفن هاريس، **فشل الحرب على الإرهاب**، ترجمة عبد الوهاب حميد، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٠ على موقع: www. Arabvoice.com
٢٩. سعيد الكحل، **أحداث سبتمبر واستراتيجية نشر الإرهاب**، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١١ على موقع: www.rezgar.com
٣٠. د. سليم الحص، **العروبة والعولمة**، مجلة المستقبل العربى، العدد ٣٢٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، إبريل ٢٠٠٦.
٣١. د. سمير أمين، **الهيمنة الأمريكية والرد على الإرهاب**، فى: إرهاب الحرب/ الحرب على الإرهاب، مجلة الكرمل، العددين ٧٠/٧١، ٢٠٠٢.
٣٢. د. صالح الرقب، **العولمة**، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢. نسخة الكترونية من موقع: www.aklaam.com
٣٣. صلاح الدين حافظ، **اندلاع الإرهاب بين القهر السياسى والظلم الاجتماعى**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٥/١١/١٦.
٣٤. -------------، **أمريكا .. سنوات التخبط والفشل**، جريدة الأهرام، عدد ٢٠٠٦/٩/١٣.
٣٥. ضياء رشوان، **الإرهاب من المواجهة الغربية إلى المواجهة العالمية**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٨/١٤.
٣٦. د. طارق مترى، **العولمة والصحوة الدينية**، مجلة العربى الكويتية، العدد ٥٧٢، يوليو ٢٠٠٦.
٣٧. د. طه عبد العليم، **خطيئة التعريف الأمريكى للإرهاب**، فى: مناقشة قانونية وتحليلية لتعريف الإرهاب، ملف خاص من موقع البلاغ.www.balagh.com

٣٨. د. عبد الله العشى، **ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً**، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية.
www.alminbar.al-islam.com

٣٩. عصام عز الدين، **جدلية العلاقة بين العولمة والإرهاب**، جريدة النور السورية، عدد ٢٠٠٥/٣/٢٤. الموقع الالكترونى: www.an-nour.com

٤٠. عصام مفلح، **مفهوم الإرهاب والموقف الدولى، إرهاب الدولة وإرهاب المنظمات**، مجلة الفكر السياسى، العدد ١٧، خريف/شتاء ٢٠٠٢. الموقع الإلكترونى للمجلة.

٤١. علاء بيومى، **صعود الإسلاموفوبيا فى المجتمعات الغربية**، دراسة منشورة على موقع: www.aljazeera.net

٤٢. د. على الطراح، **من المنتصر فى الحرب على الإرهاب**، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٦/٥/٨

٤٣. د. على عقلة عرسان، **مفهوم الإرهاب ومفهوم المقاومة**، مجلة الفكر السياسى، العدد ١٤/١٣ عدد مزدوج، ربيع وصيف ٢٠٠١. الموقع الإلكترونى للمجلة.

٤٤. غرانت وردلو، **مشكلة تعريف الإرهاب**، فى: الإرهاب قبل ١١ أيلول وبعده، مجلة الكرمل، العدد ٦٩، خريف ٢٠٠١.

٤٥. فاروق جويدة، **بابا الفاتيكان بين الدين والسياسة**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٩/٢٢

٤٦. كامبردج بوك ريفيوز، **عرض كتاب (ساعتان هزتا العالم)**، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

٤٧. كمال توفيق حطاب، **رؤية إسلامية نحو العولمة**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٣٥. الموقع الإلكترونى للمجلة.

٤٨. كوريرا جوردن، **هل تحقق أمريكا انتصارات فى الحرب على الإرهاب**، مقال منشور على موقع: www.news.bbc.co.uk

٤٩. مجلة المختار الإسلامى، **مفهوم العنف وعلاقته بمصطلح الإرهاب والمقاومة المشروعة**، الموقع الإلكترونى للمجلة www.islamselect.com

٥٠. محمد إبراهيم الدسوقى، **العراق وأفغانستان عنوانان للفشل الأمريكى**، جريدة الأهرام المصرية ، عدد ٢٠٠٦/٨/٢٥.

٥١. د. محمد الحسينى مصيلحى، **الإرهاب: مظاهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب**، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. www.alminbar.al-islam.com

٥٢. محمد السماك، **الحرب المتأخرة على الإرهاب**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٣/٥/٢١

٥٣. د. محمد السيد سليم، **العولمة وبدائلها، رؤية للعالم الإسلامى**، دراسة منشورة على موقع: www.islamonline.net

٥٤. د. محمد الهوارى، **الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج**، بحث منشور على موقع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية. www.alminbar.al-islam.com

٥٥. محمد بن عبد الله بن حجر الغامدى، **الإرهاب وجدلية التعريف**، مجلة الشورى السعودية، السنة السادسة، العدد ٦٤، ذو الحجة ١٤٢٥هـ.

٥٦. د. محمد عابد الجابرى، **العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات**، مجلة فكر ونقد، الموقع الإلكترونى للمجلة. www.fikrwanakd.aljabriabed.net

٥٧. مكرم محمد أحمد، **فى ذكرى أحداث سبتمبر**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/٩/١٣.

٥٨. ------------، **لم يبق إلا الاعتراف**، جريدة الأهرام المصرية، عدد ٢٠٠٦/١١/١١.

٥٩. د. نهى خلف، **قاموس الحرب الأمريكى: من الإرهاب الكونى إلى الفاشية الإسلامية**، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٨ على موقع: www.amin.org

٦٠. هانى السباعى، **الإرهاب فى المنظومة الغربية**، مقال منشور على موقع مجلة المختار الإسلامى www.islamselect.com

٦١. د. هيثم مناع، **مقاربة غير نمطية للإرهاب والحرب عليه**، مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net

٦٢. ياسر الزعاترة، **أمريكا والقاعدة .. تحولات الخطاب منذ هجمـــات ســـبتمبر،** مقال منشور على موقع: www.aljazeera.net
٦٣. يحيى اليحيـــاوى، **فـــى إشـــكالية العولمـــة،** مقـــال منـــشور علـــى موقـــع: www.elyahyaoui.org
٦٤. -----------، **فى الإرهاب والعولمة أو فى عولمة الإرهاب،** مقال منشور على الإنترنت بموقع:www.elyahyaoui.org/mondial_terror.htm
٦٥. -----------، **فى الإرهاب والعولمة ونهاية التاريخ،** مقال منشور علـــى موقع: www.elyahyaoui.org/fin-histoire.htm
٦٦. د. يوسف مكى، **بعد خمس سنوات من سبتمبر: محطات ما بعد العاصفة،** مقال منـــــشور بتـــــاريخ ٢٠٠٦/٩/١٣ علـــــى موقـــــع التجديـــــد العربى:www.arabrenewal.com

المراجع الأجنبية

1- Coker, Christopher, **Globalization and Terrorism**, Paper prepared for seminar on “The Prospects for the Canadian Summit”, Sponsord by the Canadian Embassy in Tokyo, Japan, June 10, 2002.

2- Giddens,Anthony,**Sociology**, 3rd ed, Polity Press, Cambridge, 2000.

3- Khan, Muqtedar, **Terrorism and Globalization**, http://www.glocaleye.org/terglo.htm

4- Maskliunaite,Asta, **Terrorism and Globalization: Recent Debates**, http://venus.ci.uw.edu.pl/

5- Mazari, Shireen M., **Terrorism: A Consequence of Globalization**, http:// www.issi.org.pk/journal

6- Naim,Moises, **Post-Terror Surprises**, The Foreign Policy Magazine, September/October 2002.

7- Pilger,John, **The War against Terrorism is a Fraud**, The Mirror, November 2001.

8- Rosa, Jean-Jacques, **Why Globalization Breeds Terrorism**, The Wall Street Journal, January 30, 2003.

9- Shah, Anup, **War on Terror**, http://www.globalissues.org

10- Teschner,George,**Globaization,Universalization, and the Origine of Terrorism**, http://h06.cgpublisher.com

المحتويات

الباب الثانى: **الإرهاب العولمى**.

الباب الثالث: **انهيار الامبراطورية الأمريكية**.

رقـــم الإيداع :	**٢٠١٣٠/ ٢٠٠٦**
الترقيم الدولى I.S.B.N. :	**977 - 6220 - 00 - 2**

هذا الكتاب

يأتى هذا الكتاب بعد مرور خمس سنوات على أحداث ١١ سبتمبر، وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية حربها العالمية ضد الارهاب، ليؤكد على أمرين أساسيين:

الأمر الأول : أنه رغم أن الارهاب ظاهرة قديمة، إلا أن الإرهاب بالشكل الذى شاهده العالم أجمع، وأعلن عن نفسه صبيحة ١١سبتمبر ٢٠٠١، هو إرهاب من نوع خاص، ارتبط بتصاعد تيار العولمة الامبريالية المتوحشة، التى غرست بذوره، وخلقت دوافعه، وأمدته بأدواته التى أحسن استغلالها، ليظهر نمط جديد يمكن تسميته بالارهاب العولمى، يفوق خطره كل أشكال الارهاب التى عرفها التاريخ.

والأمر الثانى : أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب، ربما تكون آخر حروب الإمبراطورية الأمريكية المتغطرسة، والمؤذنة بأفول نجم الولايات المتحدة وزوال قوتها، فالفشل الذريع والإخفاقات المتتالية التى تواجهها الإمبراطورية الأمريكية على كل جبهاتها، إضافة إلى تصاعد تيار الكراهية والعنف ضدها، وتجرؤ العديد من الدول على الخروج من عباءة السيد الأمريكى، بل والشروع فى مواجهته، كل ذلك يمكن اعتباره بمثابة الألواح الخشبية التى صنعت نعش الإمبراطورية الأمريكية والذى بات فى انتظار المسمار الأخير !!

الناشر



E-mail:alwafyy@hotmail.com